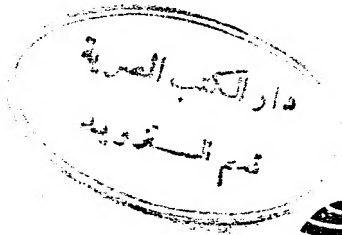


محمد حسن الأعظمي
أمين السر العام للمؤتمر الإسلامي

عِبْرَةُ الْفَاطِمِيِّينَ

أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين



منشورات
دار
مكتبة
الحياة

مقدمة

بقلم : عارف نامر

كم يطيب لي ان اتحدث في هذه المقدمة عن موضوع خطير يحتل ناحية هامة في تاريخنا الشرقي ، وعن فكرة نشأت في العالم الاسلامي فأحدثت فيه دويماً وانقلاباً ، وحولته من عالم ضيق منكش بأفكاره وعاداته الى عالم طليق يسير باتجاه مستقيم على اسس من القوة والعبقرية والعقل والاعتزان . هذا الموضوع هو الحركة الاسماعيلية . واذا كانت مقدمتنا هذه سوف تقتصر على الناحية التاريخية فلأن المواضيع الاسماعيلية ذات فروع وشعب مختلفة يجب ان يكون لكل منها طابعه وموضوعه ، ومهما يكن من امر فلا بد لي من القول بان تراثنا التاريخي الشرقي لا يزال بحاجة ماسة الى ان يدرس درساً منظماً على ضوء الحقيقة والتجرد والواقع ، وان تحقق موضوعاته بطرق البحث الحديثة العميقة ، وان يكشف عما فيه من كنوز ثمينة وثروات عظيمة وذخيرة غالية من علوم ومعارف كانت ولا شك هي الاسس الثابتة والدعائم القوية لكل تقدم وازدهار وحضارة .

يعتبر المؤرخ الكبير (ابر جعفر محمد جرير الطبري) المتوفي سنة ٣٢١ هـ اول من بحث تاريخ الحركة الباطنية والدعوة الاسماعيلية ، وجاء بعده (عريب ابن سعد القرطبي) المتوفي سنة ٣٨٠ هـ . فوضع ذيلاً لكتاب الطبري استعرض ما جاء فيه من معلومات وأضاف اليها بحثاً عن قرامطة البحرين ولكنه كان

كاستاذ الطبري سطحياً فلم يربط بين الحركتين الاسماعيلية والقرمطية وانما **سلك في اتجاه معوج** فأخطأ الهدف وضل في صحراء من الاخطاء لا نهاية لها .

وجاء (المسعودي) المتوفي سنة ٣٤٤ هـ في كتابه : التنبيه ومروج الذهب فدوّن في صفحات قليلة حوادث القرامطة ومن الجلي الواضح ان معلوماته جاءت احدث من معلومات الطبري ، أمّا ابن رزام الذي عاش في اوائل القرن الرابع الهجري فقد اطلع على مبادئ الحركة الباطنية حتى نظام التأويل لديها فكتب **ولكنه** ظل بعيداً عن الحقيقة والواقع بركونه للاستنتاج العقلي وللخيال ، وأهم من كل من ذكرناهم المؤرخ (حمزة الاصفهاني) الذي عاش في القرن الرابع الهجري **انتقرباً** كتب على اعمال القرامطة الحربية ولم يشر الى دعوتهم الفلسفية **والعقائدية** ولا الى صلاتهم بغيرهم ؛ ثم ان (الصابي) المتوفي سنة ٤٤٧ هـ ومسكويه المتوفي سنة ٤٢١ هـ فقد كتباً بحثاً طويلة وبافعة في هذا الموضوع ، ومن الذين نهجوا نهج ابن رزام وسار على طريقته ونهجه في كتاباته نظام الملك وابن شدّاد وابو الفداء ورشيد الدين ثم جاء النويري وبعده المقرئ في وهذا الاخير يعتبر في **طليعة** المؤرخين الذين بحثوا الحركة الاسماعيلية بحثاً مستفيضاً قائماً على اهداف **مليئة** من التجرد والانصاف والواقع ، وجاء المتكلم الكبير (ابو الحسن الاشعري) المتوفي سنة ٣٢١ هـ فوضع اجاباً مفصلة عن الاسماعيلية جاءت مفيدة على وجه العموم ، أمّا (الملطي) المتوفي سنة ٣٧٧ هـ فقد عني بالتفنيد اكثر من عنايته بالشرح والتوضيح ، وأمّا من هو اكثر اسهاباً في هذا الموضوع فهو (ابو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادى) المتوفي سنة ٤٢٩ هـ والشهرستاني الذي ذكر مصادر اسماعيلية فاستفاد منها وأفاد، ونستطيع ان نضيف الى هؤلاء جمال الدين بن الجوزي الحنبلي المتوفي سنة ٥٧٧ هـ لانه اعطانا فكرة عامة ونبذة موجزة عن الحركات الباطنية . وهناك مصادر اخرى بحثت هذه الحركة بحثاً عرضياً غير مقصود اقدمها كتاب « معرفة اخبار الرجال » لابي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي وهذا المؤرخ عاش في القرن الرابع الهجري وهو تلميذ للعالمين الشيعيين الكبيرين « ابي القاسم نصر بن صباح البلخي » ، و« ابي نصر

محمد بن مسعود العياشي السمرقندي » أمّا النجاشي المتوفي سنة ٤٥٠ هـ ، والطوسي المتوفي سنة ٥٨٨ هـ فقد بحثا الحركة الاسماعيلية بحثاً مستفيضاً وقرباً الى الازهان شيئاً من الواقع .

هذا وان النوبختي المتوفي سنة ٣١٠ هـ والاسترابادي المتوفي سنة ١٠٢٨ هـ وابن خلدون والسيوطي ، وابن القلانسي ، وابن النديم ، والنيسابوري ، وابن خلكان ، وابن حوقل ، وثابت بن سنان فانهم جميعاً قد بحثوا الحركة الاسماعيلية واعتبروها من اهم الحركات الفكرية التي ولدت في العالم الاسلامي فأحدثت فيه تأثيراً واضطراباً وانقلاباً في الآراء والمعتقدات .

وننتقل بعد ذلك لنأتي على ذكر العلماء والمستشرقين والباحثين المعاصرين فنقول :

ان الكتابة عن الاسماعيلية بدأت بالفعل عندما جمعت بعض مقتطفات من اسماعيلية سوريا الوسطى نشرها (ستانيسلاس غويارد) وقد نشرت بعض المجلات الروسية قطعة أو قطعتين وجدتا عند اسماعيلية آسيا الوسطى ، وعثر (غريفي) سنة ١٩٠٥م على عدد من مصنفات الاسماعيلية في اليمن وقد اجمل بعضها في مقال عام ثم جاء دوزي ، وارنولد ، وسليفستر دي ساسي ، ودي فرييري ، ومامور برنس ، وموريس باريس ، وبروكلمن ، وشتروتمان ، ومينورسكي ، وبراون ، وبرنارد لويس ، وكراوس ، وسترن ، وماسينيون ، وحتى ، وهودكسن ، فكتبوا عن الحركة الاسماعية و اضافوا الى مصادرها ذيولاً كانت جداً موفقة ومن الاهمية بمكان وقد اعطت نتيجة مثمرة . أمّا (ايفانوف) فيعتبر في طليعة الباحثين الذين كتبوا التاريخ الاسماعيلي وقد برهن عن فهم عميق ومعرفة واسعة ، وجاء الدكتور محمد كامل حسين ، والدكتور حسين هذاني ، والدكتور حسن ابراهيم حسن ، والدكتور طه احمد شرف ، فكتبوا بحثاً مستفيضاً عن الاسماعيلية لا نستطيع إلا ان نهنئهم عليها فهي والحق يقال قد سدّت فراغاً واسعاً وكشفت عن بعض النواحي الغامضة ، أمّا العلامة الهندي الأستاذ آصف فيضي فيعتبر من الاختصاصيين في الفقه والقانون الاسماعيلي ،

ويعتبر الدكتور المرحوم (زاهد علي) من الاختصاصيين بالأدب الاسماعيلي ايضاً، ويوجد هناك مستشرق كبير وعلامة عظيم تفهم الفلسفة الاسماعيلية حق الفهم ووصل الى اعماق هذه الفلسفة هو الاستاذ «هنري كوربان» مدرس الدراسات الفلسفية العالية في جامعة «السوربون» فكثيراً ما كانت اجابته تتخذ طابع الجد والاهتمام وتفيض بالفهم والعقل والغوص في الاعماق. ومهما يكن من امر فان الدراسات الاسماعيلية قد تطورت تطوراً ملحوظاً حتى شملت مختلف النواحي الفكرية من عقائدية وفلسفية واجتماعية وسياسية ، فظهرت الى عالم الوجود مصادر تاريخية جديدة ومخطوطات علمية قيمة كانت في طي الخفاء فألقت بعض الأنوار على هذه الفلسفة المستورة ومن المصادر التي ظهرت لعالم الوجود كتاب (عيون الاخيار) وهو **مجلد** لتاريخ الدعوة الاسماعيلية وضعه الداعي الاسماعيلي اليميني الاصل (ادريس عماد الدين) وهناك مخطوطات الفقيه الاسماعيلي الكبير العلامة القاضي النعمان بن محمد بن حيّون المغربي التميمي ، وما خطه الرحالة الاسماعيلي الفارسي (ناصر خسرو) في كتابه (سفرنامه) مضافاً الى ذلك بعض المخطوطات لتاريخ الاسماعيلية السورية فضلاً عن المخطوطات العلمية والفلسفية التي طبعت وهي **المجلد** من ان تحصى .

رجعت بلاد الخلافة العباسية اثناء العصور الوسطى للإسلام حركة دينية اجتماعية فلسفية وسياسية معاً هددت كيان الخلافة الاسلامية زمنياً ما ، وقد توفقت عندما بلغت الذروة من ان تنشئ في القطر المصري خلافة فاطمية شيعية مناوئة للخلافة العباسية السنية في بغداد وأقل ما يقال عنها انها تساويها قوة وتفوقها عزة ومضاءً وانها كانت صاحبة الشوط الاول في مجال العلم والمدينة وفي طليعة الدول العاملة لبناء حضارة عالمية تقوم على أساس من العلم وعلى دعائم من القوة ، اقول : قوة .. لانه من الواضح اننا قلما نجد في المجتمع الاسلامي مذهباً او دعوة الى تغيير نظم عقائدية كانت او سياسية او اجتماعية إلا استندت على القوة والعنف وقامت بمجد السيف . وإني قبل ان ابدأ بالحديث عن هذه الحركة لا بد لي من تقديم هذا العرض الموجز فأقول :

كانت الدولة الاموية عربية النزعة والطابع وعلى الرغم من خضوع كثير من الشعوب الاسلامية غير العربية ذات التاريخ الحافل اليها فلم يُعَمَّ بنو امية بغير العرب فمنهم كان الولاة والقواد ورؤساء الدولة والحكام والامراء ولهذا كره الموالي حكمهم وعملوا على اسقاطهم وكان العلويون وشيعتهم اعظم اعداء الامويين خطراً وقوة فالخلاف بينهم قديم منذ عهد علي بن ابي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وقد اضطهد الامويون بني هاشم جميعاً وقابلهم هؤلاء بان عملوا على تقويض دولتهم ، وقد كانت الدعوة في بادئ الامر لآل البيت دون تخصيص بعلويين او عباسيين ثم لما تنازل ابو هاشم بن محمد الحنفية زعيم الحزب الكيساني الى محمد بن عبدالله بن عباس ازدادت قوة الحزب العباسي واشتد ساعده ولكن ابا مسلم الحراساني كان يدعو لآل البيت بلا تعيين وانتهى الامر بتغلب العباسيين وتولية ابي العباس السفّاح الخلافة بؤازرة الفرس خاصة والموالي عامة وكان ابو العباس برّاً بال علي قريتهم اليه واغدق الأموال عليهم ولكنه بالوقت ذاته كان يخشاهم ويرقبهم عن كثب ويغري بهم من يحصي عليهم الاخطاء ، ولما يئس العلويون من الخلافة خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب المعروف «بالنفس الذكية» على ابي جعفر المنصور بالمدينة وغلب عليها فحبس المنصور اياه عبد الله وأهله من بني الحسن في سجن الكوفة وقد ماتوا فيه ووجه الى النفس الذكية الذي كان قد خرج الى الحجاز وتلقب (بالمهدي) جيشاً بقيادة ابن اخيه « عيسى ابن موسى» وكانت الغلبة لجيش المنصور فقتل «النفس الذكية» وحمل رأسه الى المنصور سنة ١٤٥ . وعندئذ قال بعض الزيدية: ان الامام من بعده هو اخوه ادريس الذي فر الى المغرب الاقصى واختط مدينة فاس وأسس دولة الادارسة ، وقد كانت هذه الحادثة انذاراً بالغاً للعلويين بعهد طويل من الاضطهاد الشنيع دونه مساوقه من بني امية ، وهذا سبب رئيسي لهذا النزاع الداخلي والسبب الآخر هو اقضاء بيت الرسول بعد وفاة النبي محمد عز زعامة المسلمين وقد كان هذا الاقضاء سبباً للحروب الدامية مع بني امية وظهرت الفرق الشيعية تناصر الحسن والحسين وتلتف حول زيد بن علي وابنه يحيى وتقوم بدور كبير محاولة ازالة سلطان الامويين ولكنها اخفقت في الجولة الاولى فسُمَّ الحسن وقتل

الحسين، وقد ظهر انها عجزت في عهد الامويين عن تحقيق اهدافها في سيادة العلم الاسلامي، ومرد ذلك كما هو جلي وواضح الى انقسام الشيعة الى حننيين وحسينيين وحنفية ثم الى هاشميين، ولأن الدولة الاموية كانت في ابان قوتها واتحادها اضاف الى ذلك انتقال حق الامامة من ابي هاشم بن محمد بن الحنفية الى محمد بن عبد الله العباسي وجاءت الدولة العباسية كما اسلفنا لتحكم العالم الاسلامي فحمل لواء المعارضة بنو الحسن ومنهم محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الذكية» واخوه ابراهيم فضاق ذرعاً بهم ابو جعفر المنصور ثم قتلها وقد كان ذلك سبباً حاداً بالفرع الحسني لان ينضم الى جعفر الصادق الحسيني ثم الى ابنه اسماعيل ولكن الانقسام بينها فيما بعد عاد سراً حول القيادة مما دعا جعفر الصادق الى تكوين جماعة ذات طابع خاص في تفكيرها ونظامها الاجتماعي والديني والسياسي تلك الجماعة هي الاسماعيلية.

اجل... اقام العباسيون دولتهم على غير اساس ثابت لانهم تنكروا للعرب ولم يعتمدوا عليهم مع انهم ركنهم الذي يأوون، وشجرتهم التي يستظلون واصطفوا الفرس وركنوا اليهم وجعلوا منهم الولاة وقواد الجيش وعمال الخراج ورؤساء الدولة وظهرت العصبية العباسية باجلى مظاهرها وانضمت للفرق الشيعية وألفت كتلة كبيرة اتحدت وشكلت الدولة العباسية فكان اركانها والقائمون عليها هم الذين ذاقوا صنوف الاضطهاد بعهد الدولة الاموية ومنهم الشيعة والفرس وكافة العناصر المسلمة غير العربية فذب الفساد وكثر الحسد وقامت المؤامرات بالسر والعلانية واستقلت عدة ولايات واصبح كل امير يطمع في ان يكون والياً على ولاية يتصرف بقدراتها ويتحكم بشؤونها وكانت الحادثة التي هزت كيان العالم الاسلامي عامة والشيعة بجمع فروعها خاصة ما فعله المنوكل بالله العباسي سنة ٢٣٧هـ يهدمه قبر الحسين بن علي بكر بلاء وبحو ما حوله من المنازل والدور وتعسف في معاملة الشيعة تعسفاً خطيراً وكانت هناك دعوة تقسام في الستر لهدم هذه الخلافة لتشييد على انقاضها خلافة ترتكز على دعائم من العلم والقوة، هذه الدعوة هي الاسماعيلية.

نشأت الاسماعيلية نشأتها الاولى سنة ١٢٨هـ في العراق وفارس كدعوة دينية من قبل الفقيه المشرع العلامة الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب ويذهب بعض علماء الاسماعيلية الى القول بان دعوتهم قديمة منذ عهد اسماعيل بن ابراهيم الخليل وبالرغم من وجود ما يثبت هذا الزعم عقائدياً فاننا لا نجد بين ايدينا مصادر تاريخية تؤيده تأييداً قاطعاً وهذا ما يجعلنا مع اكثر الباحثين والمهتمين تولي اهتمامنا عند بحث الاسماعيلية مبتدئين بعهد اسماعيل بن جعفر الصادق وما بعده فنقول :

ان هذه الدعوة قد بدأت تتحول الى حركة سياسية سنة ٢٥٩هـ ثم الى دعوة سياسية اجتماعية عامة تأخذ طريقها لتحرك العقول من جمودها الضيق وتخرجها من عزلتها وانكماشها وتضفي عليها الانطلاق الرحيب ونبد البدع والتمسك بعقيدة واقعية بنظمها وقوانينها، فاجتمع نفر من الدعاة المجتهدين بعد وفاة الامام جعفر حول نجله اسماعيل ورفضوا الاعتراف بامامة اخيه موسى الكاظم وعاهدوا اسماعيل وقاموا بالدعوة له وهذا حسب اعتقاد الاسماعيلية الذين يقولون بان اسماعيل لم يميت بحياة ابيه، وبعد موته ساقوا الامامة بولده «محمد» وكان يقيم في فارس وأطراف العراق وتدمر، ثم بولده (عبدالله) الذي انتقل الى «سلمية - سوريا» واقام فيها مستتراً بعيداً عن الانظار يحيط به رجال دعوته البارزون، وفي هذه الفترة ظهر كتاب «رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا» ونشر فكان دعوة عامة عجلت بالقضاء على المجتمع العباسي القائم على تعاليم جامدة سطحية لا اثر فيها للفلسفة، وفي هذه الفترة تماماً ظهرت الفرقة القرمطية الاسماعيلية تدعو الى مبادئ اشتراكية متطرفة كانت ترمي الى احداث ثورات شعبية وعمالية وزراعية وصناعية ضد الملاكين والاقطاعيين والأثرياء، وكانت هذه المبادئ من وضع الامام «محمد بن اسماعيل»، وقد انتشرت سريعاً في المغرب سنة ٢٩٦هـ على يد «ابي عبد الله الشيعي»، وفي اليمن ٢٧٠هـ على يد «ابن حوشب منصور اليمن» و«أبي الفضل الجدني»، وفي البحرين على يد «الحسين الاهوازي» و«حمدان بن الاشعث» و«ابي سعيد الجنابي» الحسن بن بهرام و«زكرويه بن مهرويه».

المرجح (بأن الكاشاني) وفي مصر على يد «ابي علي» الداعي النقيم ، وفي فارس «نصر بن احمد الساماني» امير خراسان وبلاد ما بين النهرين ومرداويخ سديسي امير طبرستان ، ويوسف بن البايغ امير اذربيجان ، وعند ما تم ظهور الامام الحادي عشر (محمد بن المهدي بالله) او (عبيد الله) نقل عاصمة دعوته من **سلمية** - سوريا الى المهديّة في المغرب وجعلها عاصمة الخلافة الفاطمية ، وبعد ان استمر حكمه ورسخت اقدام دولته مات فتسلمها ولده القائم ، ثم المنصور ، ثم المعز لدين الله الذي فتح القطر المصري سنة ٣٥٩ هـ ونقل عاصمة خلافته من **الى القاهرة** وبعد ذلك تعاقب على شؤون الخلافة الفاطمية بعد المعز لدين الله ولده العزيز ، ثم الحاكم بامر الله ، ثم الظاهر لاعزاز دين الله ، ثم المستنصر بالله ، وفي نهاية عهد الاخير طرأ على الدولة الفاطمية الانحطاط وبدأ نجمها يميل نحو الافول ، فبعد ان انتقل الامام المستنصر بالله لدار الآخرة وقع الاختلاف على الخلافة بين ولديه نزار والمستعلي ولما كان المستعلي وهو الابن الاصغر تربطه **بيدر الجمالي** قائد جيوش الدولة الفاطمية المصرية اوامر القرابة لجهة والدته **تكن** من الانتصار وانتزاع الخلافة من نزار وهكذا انقسمت الاسماعيليه الى فوتين : «مستعلية ونزارية» فأما النزارية فقد ودّعت ربوع وادي النيل وانتقلت الى فارس وجعلت عاصمة ملكها قلعة « ألموت » وقام على شؤونها الداعي الكبير « حسن بن الصباح » وكان انصارها يقيمون في سوريا والعراق وفارس ، وأما المستعلية فقد انتقل حكمها بعد المستعلي الى الأمر ثم الى الحافظ وبعده الى الظاهر ثم الى الفائز ثم الى العاضد وفي عهد آخرهم العاضد انتزع صلاح الدين الايوبي الملك وهكذا انتهت الدولة الفاطمية من ربوع الكنانة وانتقلت بفرعها النزارية والمستعلي لتتخذ شكلاً جديداً ، والمستعلية الاسماعيليه هي « البهرة » الآن بفرعها السايانية والداودية وتقيم في الحجاز بوادي نجران في السعودية وبعض الأمكنة النائية في اليمن وفي صنعاء وفي افريقية والهند وباكستان وعددها يقارب المليون ، أما النزارية التي استقرت دعوتها في فارس فقد تسلسل منها سبعة ائمة بعد المستنصر بالله آخر خليفة فاطمي في مصر ، وقد اقاموا جميعهم في « ألموت » الفارسية وكان آخرهم شمس الدين بن محمد وبعد موته انقسمت النزارية.

الى قسمين هما « المؤمنية » و « القاسمية » فالمؤمنية هي التي قالت بامامة « مؤمن شاه » نجل شمس الدين الاكبر وبعده انتقلت الامامة الى ولده رضي الدين ثم الى طاهر وحيدر وصدر الدين ومعين الدين وخداي بنحش وعزيز ومعين الدين ومحمد مشرف وحيدر ومحمد الباقر ، وهذا الامام الاخير عاش حتى عام ١٢١٠ هـ وبعده انقطعت الفرقة المؤمنية الاسماعيليه عن الاتصال بهذه الاسرة الفاطمية الاصل العلوية النسب وقالت بان الامام يعيش الآن في الستر الكثيف وسيعود يوماً ليملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، أما القاسمية فقد ساقطت الامامة بنجل شمس الدين الثاني وهو قاسم شاه وبنجله اسلام ثم محمد ثم المستنصر بالله وعبد السلام وغريب ميرزا وابو الذر علي ومراد ميرزا وذو الفقار علي ونور الدين علي وخليل الله علي ونزار علي والسيد علي وحسن علي وابو الحسن علي وخليل الله علي ومحمد حسن علي وعلي شاه وسلطان محمد وهو « آغا خان » المعروف وبعده محفيدة الامير كريم آغا خان وهذه الفرقة تقيم الآن في الباكستان والهند وافريقيا الشرقية والجنوبية ومدغشقر وسليمة والحوابي قرب طرطوس وفارس ولا يمكن تقدير عددها .

هذه لمحة خاطفة عن تاريخ الدعوة الاسماعيليه قدمناها الان لننتقل منها الى القول بانه بعد هذا التطور بالدراسات وبعد ظهور هذه المصادر والمخطوطات اصبحت الحركة الاسماعيليه معروفة بانها رسالة فلسفية مستقلة ودعوة سياسية ايمية ذات اثر ظاهر بمرئى الحياة العامة وفكرة عقائدية باطنية تخفي وراءها اهدافاً ومقاصد لا يزال الفكر يسعى لجلاء غوامضها وسبر غورها واكتشاف كنهها وليس ادل على ذلك من ان هذه الرسالة الفلسفية كانت تغزو الاقطار الشرقية والغربية على السواء فيسارع الى اعتناقها كل من يستسيغ مبادئها وتعاليمها بصرف النظر عن الاقليم او البلد او الجنس او العرق وهذا ما جعلها تسمو وترتفع على ايدي ائمة اعلام صادقين وحجج كبار كانوا على جانب عظيم من الثقافة والعبقريّة فتصل الى مصاف الدعوات الاممية الكبرى التي اثرت في العقول وأخرجتها من حيز الجمود الى الانطلاق الرحيب .

لقد قلنا ان الشيعة الامامية انقسمت بعد موت جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ
فريقين فريق نادى بامامة اسماعيل وهم الاسماعيليه وفريق نادى بامامة موسى
الكاظم الابن الاصغر لجعفر الصادق وابناؤه من بعده وهم علي الرضا ومحمد الجواد
وعلي الهادي والحسن العسكري ومحمد المنتظر وهو الامام الثاني عشر الذي
اختفى في سامراء سنة ٢٦٠ هـ ولا يزال انصاره ينتظرون عودته ويعرفون
ابناء الموسوية نسبة الى موسى الكاظم بن جعفر الصادق ثم يعرفون بالاثني
عشرية نظراً لانتظارهم امامهم الثاني عشر ولا أريد ان ادخل في بحث قصة
اسماعيل ووفاته في عهد أبيه وتقولات الموسوية والسنة وأقوال الاسماعيليه الى
ما هنالك لان هذه القصة تشكل موضوعاً مستقلاً ولكن هناك ناحية يجب
الاتيان على ذكرها وهي/ هل قامت الدعوة الاسماعيليه في عهد اسماعيل ؟ ام في
عهد ولده محمد ؟ أم في حياة أبيه جعفر الصادق ؟ الواقع ان بذور هذه الحركة
قد بذرت بعهد جعفر كما قلت ولا يوجد هناك من يستطيع انكار هذه الحقيقة ،
وقد كانت هذه الدعوة سرية وكان يعمل لها في الخفاء اسماعيل بحياة أبيه يعاونه
الداعية الكبير ابو الخطّاب وجاء بعد اسماعيل ولده محمد وكان على جانب كبير
من العبقرية والثقافة راجح الفكر ثاقب النظر وكانت حياته سلسلة من الجهاد
في سبيل الدعوة وقد فر من المدينة الى العراق ثم الى الري ومنها الى دومانند
وهو جبل قريب من الري واستقر هناك بقرية تدعى (سملا) اطلق عليها فيما
بعد اسم (محمد اباد) نسبة اليه ومن الواضح ان فرار محمد بن اسماعيل من المدينة
لم يكن خوفاً من العباسيين وانما كان لنشر الدعوة الاسماعيليه في كافة أنحاء
العام الاسلامي ولذلك لا نراه يستقر في مكان حتى يذهب الى آخر فطوراً في
فرغانة والري وطوراً في العراق وسوريا ينشر التعاليم ويبذر البذور ، ومحمد بن
اسماعيل حسب ترتيب الدعوة الاسماعيليه الفلسفي يعتبر امام سابع والامام
السابع له اعتبار خاص فهو صاحب نشرة علمية انتقالية وناسخ عهد وفتاح عهد
ومن القاء نظرة على تاريخ حياة محمد بن اسماعيل يتبين لنا انه هو موجد دور
الستر وان امامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الاسماعيليه ونذهب الى أبعد
من ذلك فنقول بانه جاء بتعاليم جديدة نسخت بعض تعاليم الشريعة التي سبقته

وهو أيضاً بالحقيقة اول امام رفع التكليف الظاهرية ونادى بالتأويل وبالمعنى
الباطني وقد كان يعتمد في نشر دعوته على حجته الداعي الكبير ميمون بن قداح
وسنرى عندما نتوسع بالدرس ان اسرة القداح لعبت دوراً هاماً في تاريخ
الاسماعيليه .

وفي الواقع ان محمد بن اسماعيل ترك عدداً من الاولاد ومنهم عبد الله الذي
ولاه ولاية عهده وكان أكبرهم وأما الآخرون فهم علي بن الليث واحمد والحسين
الذين قتلهم العباسيون في خوارزم وكان ولده عبد الله يلقب بالرضي والناصر
والعطارد وقد ولد في عهد الرشيد العباسي وأحاطه والده بفريق من دعاة
المخلصين وغلا هو وانصاره في اخفاء أمره حتى لا يقع في أيدي العباسيين
وهكذا نصب محمد بن اسماعيل ولده عبد الله ولياً لعهد و امر حججه ودعاة
وخاصة الاربعة الحرم ان يتسمى كل منهم باسمه أي (عبد الله) فكان حين
يحين وقت اخذ العهد على أحد المستجيبين يسمي أحد أولئك الحرم باسمه
وهو عبد الله وهكذا أصبح تحقيق شخصية الامام متعذراً حتى على أقرب
الناس وحتى على الدعاة انفسهم في الجزر والامصار البعيدة والقريبة على السواء
وصار الجميع يقولون ان عبد الله بن ميمون القداح هو الامام وقال غيره بل هو
عبد الله بن مبارك وجاء فريق يسمي عبد الله بن حمدان او عبد الله الحسين الى ما
هنالك من اقوال وتخربات جاءت جميعها تطعن بنسب الفاطميين واني لا أجد
أبلغ من رد الشاعر الكبير الشريف الرضي على هؤلاء واثباته نسب ابناء
عمومته الائمة الفاطميين :

ما مُقامي على الهوان وعندي	مقول صارم وانف حي
واباء محلتى بي عن الضيم	كما راغ طائر وحشي
اي عذري له الى المجد ان ذل	غلام في غمده المشرفي
ألبس الذل في ديار الاعادي	وبصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولاي	اذا ضامني البعيد القصي
لن عرقي بعرقه سيدي	الناس جميعاً محمد وعلي

ان جوعي بذلك الربع شعب
كل من يركب الظلام وقد اسرى
قد يذل العزيز ما لم يشمر
وأوامي بذلك الطل ري
ومن خلفه هلال مضي
لانطلاق وقد يضام الابي

قد لا اكون مغالياً اذا قلت بان هذه الحركة الاسماعيلية التي نتحدث عنها **جبرية** بالدراسة والبحث ففي تاريخها ما يُثير الاعجاب وفي فلسفتها ما يغذي الفكر ولا شك ان نظامها يقوم على الاخاء والمودة ويربط الفرد بالمجتمع بوشائج **قريبة** بحيث يرى هذا الفرد ان حياته في تماسك الجماعة ولذلك نرى الاسماعيلية **في كل مكان** وفي كل عصر وزمان تربطهم جامعة واحدة ونرى مجتمعهم يتكون من افراد مختلفي المشارب والنزعات يقيدهم رباط الحب والالفة والتفاني في سبيل النهوض بدعوتهم والدفاع عن عميد دعوتهم الذي هو (الامام) .

ويرجع نجاح الدعوة الاسماعيلية في بدء ظهورها الى عوامل مختلفة منها ضعف العالم الاسلامي عامة والدولة العباسية خاصة وتحاذل الطوائف الشيعية الأخرى وتحمس الناس لنظرية المدي الذي يأتي لينقذ البشرية من الظلم والطغيان وتطلعهم بشغف الى ظهوره ، ثم الصبر والمهدوء والكتمان والصدق والثقة بالفسر وقد غمرت الدعوة الاسماعيلية امواج من السرية الدقيقة حتى التبس الامر على المؤرخين فلم يقفوا على حقيقة القائمين عليها اهم من الدعاة ؟ أم من الائمة الحقيقيين من ابناء اسماعيل ؟ والحق ان رئاسة الدعوة في عهد الامام « محمد المهدي بالله » وقبل عهده وضعت لمخطط الدعوة السرية وان القائمين عليها **سجّوا** نجاحاً كبيراً في تكوين مجتمع اسماعيلي قوي عماده التقية والتخفي الكثيف ، فانظر إلى أبي عبد الله الشيعي الداعي الاكبر يكتّم أمره فلا يدري الاغالبه عنه شيئاً حتى يدهمهم يحيوشه سنة ٢٩٨ هـ . وانظر إلى أبي سعيد الجنابي يكون دولة سنة ٣٠١ هـ او ما يشبه الدولة في بلاد البحرين التي كانت تابعة للعباسيين دون ان يعرفوا في بادئ الامر شيئاً عنه ، واني لا اتخطى الحدود وأزور الحوادث التاريخية اذا قلت بان النجاح الكبير الذي وصلت اليه لاسماعيلية في تقويض اركان الدعوة العباسية مرده الى المنظمات السرية التي

بذر بذورها وتعهدها ائمة الاسماعيلية الاربعة : عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، واحد ، والحسين ، ومحمد المهدي بالله مؤسس الدولة الفاطمية وان اعظم ما في الحركة الاسماعيلية تنظيمها واساليب دعائها العجيبة التي تدل على ادراك عميق لنفسيات شعوب الشرق الادنى وعلى فهم دقيق لمصادر التذمر عندهم فقد كانوا يعتنون باختيار دعائهم كل الاعتناء ويزودونهم بإرشادات مهمة تتفق وروح البيئة التي يدعون اليها وقد كان من تعاليم هذه الحركة ان يدمج المغلوبون والغالبون في هيئة واحدة وان يجمع في حظيرة جمعية سرية هائلة ذات مراتب عديدة بين احرار المفكرين الذين لا يرون في الدين وسيلة لسيادة الشعب وبين الغلاة من جميع الطوائف وان يجعل من المؤمنين آلات صماء تم التشكيك بالقوة وان يحمل الظافرون على قلب الدولة التي شادوها وان ينشئ حزباً كبيراً مؤتلفاً يرفع في الوقت المناسب ان لم يكن هو فعلى الأقل ابنائه وهي فكرة عجيبة نفذت بحذق مدهش وبراعة نادرة وخبرة عميقة وقد كانت تشتمل على برنامج سياسي واجتماعي منظم يقوم على العقل والتسامح والمساواة الاجتماعية والاقتصادية وهذه الناحية التي طغت على المجتمع كانت ثورة على التعاليم الاسلامية . وبالحقيقة ان الحركة الاسماعيلية لم تتخذ شكلاً واحداً ولا اقتصرت على اسم معين بل ظهرت بأشكال وصور متعددة في نظرياتها وتنظيماتها فكانت دائبة على ضم فرق جديدة الى صفوفها وازافة اراء جديدة الى مذهبها . وزيادة على ذلك كانت تتجزأ الى شعب متنافرة في الغالب .

ولا يقل اثر التحمس في نجاح الدعوة بعهد امامة المهدي عن اثر التعق في السرية فقد كان من سياسة المهدي الاستعانة بسيوف انصاره لتحقيق مآربه التي تتلخص في تكوين دولة اسماعيلية أولاً . وهدم الدولة العباسية ثانياً . نعم لقد قام انصار المهدي الامام المستور بحركات حربية رائعة تذكرنا بشجاعة الخوارج وثباتهم فنجح ابو سعيد الجنابي في هزيمة العباسيين هزائماً متوالية كما نجح في قرمطة بسلاط القظيف والبحرين وهاهم اولاد ذكرويه بن مبرويه يهزمون جيوش الطولونيين والعباسيين ويلقون الذعر في بلاد الشام وباديتها وفي شمال العراق

الغربي وقد استطاع ابو عبد الله الشيعي ايضاً بفضل هذه الدعاية المنظمة ان يهزم كتوم الكتامين فيندفعون وراءه كالسيل المنهمر يحرقون دولة الاغالبية التي لم تستطع الصمود الا قليلاً أمامهم وبفضل هذه الحماسة الحربية استطاع الامام محمد المهدي بالله ان يحقق ما غرسه آباؤه وأجداده ويقم الدولة الفاطمية في المغرب كل هذا اذا استثنينا الدولة الاسماعيلية في اليمن والدولة التي أقامها حسن الصباح في فارس وامارة الاسماعيلية في جبال السّماق في سوريا . ومهما يكن من امر فان التاريخ الاسلامي لا يعرف مذهباً ثورياً لا يستند الى مذهب روحي او حركة ثورية عامة لا ترجع الى الدين وان الحركة الاسماعيلية التي هزت أسس المجتمع الاسلامي الى الاعماق وصعدت من سلطانه السياسي واصابته في روحه وخلاله وأدت بضحي الزمن الى تفككه واضمحلاله وانتشاره اخيراً الى دوريات ومجتمعات ضعيفة متنازعة استطاع الغرب ان يخضعها تبعاً لنفوذه واستثماره هي التي عجلت بالقضاء على هذا المجتمع وهذا السلطان ونقلته من عهد الى عهد ومن طور الى طور .

أجل ... لقد كان العامل الاول لنجاح الاسماعيلية في نشر دعوتهم انهم هجّوا منهجاً سبقوا فيه غيرهم من الفرق الشيعية الأخرى فكانوا يبالغون بالتخفي بنشر تعاليم فلسفتهم ومبادئ مذهبهم على شكل خطوات تتدرج من المعلومات البسيطة حتى تصل بالمستجيب الى مبادئ فلسفية عميقة لا يفهمها الا القليلون حتى ان المستجيب كان لا يعرف شيئاً عن الدرجات التي تلي درجته . وانما كان همه الوصول الى درجة أعلى من الدرجة التي وصل اليها واصبح كثير من الاسماعيلية لا يعرفون شيئاً عن زملائهم الذين انتظموا في سلك الدعوة وخفي امرهم على خصومهم العباسيين وكذلك استغل الاسماعيليون مذهب التقية فكانوا سنيين مع اهل السنة وشيعيين مع الشيعة ومسيحيين مع المسيحية لان نظام الدعوة كان يفرض على العالم الاسماعيلي ان يكون عارفاً بكل عقائد الفرق التي تعيش في عصره ملماً بقواعدها ونظمها وفروعها وبذلك انضم اليهم آلاف مؤلفة من الناس ولم يشعر العباسيون الا وقد قامت دولة اسماعيلية كبرى لها جيشها

واسطوها وقواعدها وممتلكاتها ومدنيتها وحضارتها .

في الحقيقة ان الحديث عن الاسماعيلية وتاريخها قد يطول وربما كانت لا تفي فيه صفحات أو مقدمات ومهما يكن من أمر فلننتقل الآن الى الحديث عن الموضوع الذي نحن بصددده وهو كتاب الاستاذ الاعظمي الذي هو بين ايدينا

مما هو واضح تمام الوضوح اننا لا نقدم الاستاذ الاعظمي للقراء الكرام ككاتب يبحث في موضوع غريب عنه ، بل نقدمه كخبير ، خبر القضايا الاسماعيلية التاريخية وألم بموضوعها وفطن بأدائها واقتنى الكثير من مخطوطاتها ، لذلك فعندما يعالج موضوعها تطغى عليه روح العالم المطلع وهذا ما يجعلنا نقدم كتابه باطمئنان مرتاحين إلى سلامة النية وصدق القصد وإلى القول بأنه لا غنى للعالم وللباحث وللاديب عنه .

أمّا منتخبات الشاعر الكبير الأمير تميم بن الامام المعز الفاطمي فنعتبرها جديرة بالنشر لانها تزخر بكل روعة شعرية تقرب هذا الشاعر الكبير من مصاف الشعراء الامراء الفحول الذين ولدوا والشعر بيوم واحد .

ولا يسعنا في نهاية المطاف الا ان ننهي الاستاذ الاعظمي على كتابه القيم ومجوده الضخم معتذرين عن قصورنا وعن محاولتنا معتقدين بأنه لا بد من كلمة أخيرة تضاف إلى المقدمة تتناول فترة اخوان الصفاء وخلان الوفاء وعلاقتهم بالاسماعيلية وكل هذا مما يلقي اضواءً جديدة على التاريخ الاسماعيلي ويزيد الموضوع وضوحاً فنقول :

جماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء لغز مبهم في التاريخ العربي صعب حله ، وسر من اسرار العقائد الباطنية عسر فهمه ، وكثر فكري ثمين أغلقت الأبواب دونه ، وتضاربت الأقوال فيه ، وتشعبت الابحاث حوله ، حتى أصبح مشاراً للجدل والتخمين بين العلماء والباحثين ومحلاً للاستنتاج العقلي الذي قلما أدى الى نتيجة تميّز اللثام عنه ، او الى هدف ينير السبيل امامه ، او يكشف عن الحقيقة المحتجبة وراء ستار كثيف من الكتان . ولعل اخوان الصفاء تعمّدوا اخفاء اسمائهم عن عامة الناس حرصاً على حياتهم المهددة من ملوك ذلك العصر

الذي عاشوا خلاله ، ومبالغة في كتمان هدف رغبتهم الا يصل الطالب الى معرفته بسهولة ، وزهداً في شهرة كانوا يعتقدون انها زائلة ، وطمعاً في ثواب أملاؤهم .

ليست دراسة موضوع اخوان الصفاء وخلان الوفاء من الموضوعات السهلة في تاريخنا وفلسفتنا العربية ، فلقد لفت انتباه وانظار فريق كبير من العلماء والباحثين والمستشرقين منذ بدء النهضة العلمية الحديثة ، وكان جميع الذين جالوا على هذه النواحي جمعين على القول بأن رسائل اخوان الصفاء هي اغزر مادة فلسفية وأقوم حجة وأثمن تحفة فكرية ضمت بين دفتيها البديع والايجاز والحكمة من فلك وعدد وموسيقى وهندسة ورياضيات وطب وعلوم اخرى استجبا العقل العربي في عصر مبكر من عصور الاسلام ، وفي فترة كانت فيها الفلسفة صيرت من ضرور الكفر والإلحاد ، وزادوا فقالوا بأن هذه الرسائل تمثل الرقي العقلي والتطور الفكري وتعتبر اقوم مصدر في الفلسفة العربية للتعبير عن الثقافة الواسعة والتبسيطات للمعضلات الفلسفية ، وأغنى موسوعة بالعلوم والآداب الناطقة بسهولة الاسلوب ومرونة الاستدلال .

لقد كانت أقدم دراسة مبكرة عن اخوان الصفاء المقدمة التي كتبها في عام ١٨٣٧ اللغة الانكليزية المستشرق « توماسون » T. T. Thomason ، وقد ضمنها فصلاً مقتطفاً من رسائل اخوان الصفاء سماه [تحفة اخوان الصفاء] وموضوعه [تداعي الحيوانات على الإنسان عند ملك الجن] ، وجاء بعده المستشرق [نورك] « Nowork » فنشر خلال عام ١٨٣٧ ايضاً في برلين دراسة باللغة عن اخوان الصفاء مع ترجمتها بالالمانية ، وتبعه المستشرق [ديتريشي] « Frederikh-Dietricie » فعرض في عام ١٨٧٩ لبحث اخوان الصفاء بكتابته الذي صدر في برلين بثمانية اجزاء وعنوانه [العلوم الفلسفية عند العرب] ، وقد كانت اعتماده في دراسته وعنصر موضوع بحثه مرتكزاً على رسائل اخوان الصفاء انفسهم ، وفي عام ١٨٨٦ ايضاً اصدر في برلين كتاباً سماه [خلاصة الوفاء في اختصار رسائل اخوان الصفاء] ،

ثم جاء « غولدزيهر » « Goldziher » فتناول موضوعهم ببحث موجز ظهر عام ١٨٨٨ في « هالي » « Halle » بألمانيا ، وقد عرف عنهم المستشرق (لان بول) « Lone Poole » ١٨٩٣ ببحث طريف ايضاً ، وفي عام ١٨٩١ ناقش « باربيت دي مينار » « Parbiet de Meinard » موضوعهم مناقشة علمية تاريخية ، اما « ويمر » « Weimer » فأضاف الى ترجمته لبعض الرسائل مقدمة جاء فيها عرض موجز لفلسفتهم ، وفي عام ١٩٠٣ ظهر عنهم بحث الأول كتبه المستشرق (دي بوير) De Boer في لندن كما ان الأب نعمة الله العنباري أتى على ذكر اخوان الصفاء بكتابته تاريخ الفلسفة العربية ، وكذلك محمد لطفي جمعه في كتابه (تاريخ فلاسفة الاسلام ، وعبد الحميد سامي بيومي في (مجلة الاسلام) وسليم الجندي في (مجلة المجمع العلمي العربي) والقس سليمان صائغ في بحثه (جمعية اخوان الصفاء ، وقدرى حافظ طوقان في بحثه (مقام العقل عند اخوان الصفاء) ومحمد يونس الحسيني في مجلة الكلية واديب عباس في مجلة الرسالة المصرية ، وعبد الرسول الحبشي في مجلة العربي وعبد الحميد مرسي في بحثه (رسائل اخوان الصفاء) ومحمد سمير الهاشمي في بحثه (العلوم الطبيعية عند اخوان الصفاء) وعبد الحميد الدجيلي في مجلة (العربي) ومحمد كامل حسين في (الكاتب المصري) . والثاني ماكدونالد « Macdonald » ، وجاء (كازانوف) « Casanova » فكتب عنهم في عام ١٩١٥ دراسة مفيدة ، وحذا حذو من سبقه من العلماء والمستشرقين (ماسينيون) « L. Massignon » فأثنى في عام ١٩٢٩ على ذكرهم عند بحث موضوع [الصوفية في الاسلام وفلسفة الغزالي] ثم أضاف دراسة ثانية مستقلة عن تاريخ وضع رسائل اخوان الصفاء ، وكذلك فعل « تريتون » « A. S. Tritton » و [ايفانوف] « R. A. Nicholson » في العام نفسه والمستشرق [نيكلسون] « S. M. Stern » الذي اصدر عام ١٩٤١ بحثاً منفرداً عنهم في كامبريدج ، وكذلك فعل ايضاً (سترن) « S. M. Stern » فكتب دراسة مطولة عنهم اضافها الى موسوعة دائرة المعارف الاسلامية في اكسفورد ، وعند ذكر المستشرقين الذين بحثوا فلسفة اخوان الصفاء يجب ان لا ننسى (دي ساسي) « De-sacy » و (ستانيسلاس

غويارد) « Stanislas-Guyard » فكلاما عالج الموضوع وجمال في مجاله الواسع وخاض في بحره الزاخر ..

صدًا من ناحية المستشرقين ، أمّا من ناحية الباحثين الشرقيين العرب فقد دُن أول من عالج موضوع اخوان الصفاء العلامة المرحوم احمد زكي باشا ثم ظهر للعلامة المرحوم محمد كرد علي دراسة عنهم في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، وبعد ذلك برزت المقدمة التي كتبها في عام ١٩٢٨ الدكتور طه حسين في **الصفحات الأولى من الرسائل** ، وفي عام ١٩٤٥ كتب دراسة مطولة عنهم الدكتور عمر فروخ ، وتبعه الاستاذ عمر دسوقي ثم الدكتور حسين هذاني ، **الدكتور عبد اللطيف الطيباوي** ، وفي عام ١٩٤٨ عالج موضوعهم الدكتور **عبد عوا** ، وفعل مثله الدكتور جبور عبد النور ، وجاء بعدهما الدكتور جميل صليبا فبحث في رسالة « الجامعة » لأخوان الصفاء ، ويعتبر أيضاً الدكتور محمد غلاب الذي كتب بحثاً عنهم في مجلة المشرق عام ١٩٤٥ ، والأب يوحنا قير في العام نفسه الأب يوحنا الفاخوري عام ١٩٤٧ من الذين خاضوا **بحر هذا الموضوع** ، وكل هذا بالإضافة الى ما كتب عنهم في دوائر المعارف الدولية سواء البريطانية او التركية او الافرنسية او الروسية او الالمانية ومهما كن من أمر فلا يعني وأنا أردد أسماء هؤلاء الأعلام والباحثين وفيسهم وبالأأسف من قد أصبح في عداد الأموات الا ان انحنى بخشوع أمام ذكراهم الخالدة ، فهم قد تعبوا وجدوا وخاضوا في مجالات الفكر الزاخرة بالعلوم والمعارف محاولين قطع سهولها الشاسعة المليئة بالظلال والأنوار والخيرات ، راغبين سبر غور قضية **عامّة** مستعصية والوصول الى حقيقة محتجبة وراء سجن الغيب ، وسواء أكتب لهم التبرّج في مسعاهم او الفشل في مجهودهم فهم قد استحقوا الثواب والثناء وتقدير الفكر الانساني ... وان واجدنا ان نذكرهم بالخير وان نقدر هذه الذكرى العطرة ، وان ننحني أمامها بصمت وإجلال واحترام .

لقد سبق لي ان بينت في أكثر من دراسة كتبتهما عن الموضوع الذي نحن بصددّه بأنه لا يمكن للباحث في رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء مهما ارتى

من علم وذكاء وفهم ان يفهم الموضوع حقّه وان يسلك السبيل المؤدي الى الهدف الأسمى والغاية المثلى ، ما لم يضع نصب عينيه المصادر الاسماعيلية التي تؤلف عنصر الموضوع والتي هي متممة له وذات ارتباط كليّ بفصوله وأبوابه وموضوعاته ، وهذه المصادر جميعها كانت مفقودة وبعيدة عن متناول ايدي العلماء وان ظهورها من كهف تقيتها لم يتعد سنين معدودة وهذا هو عذر الباحثين الذين لم يقدر لهم الاطلاع عليها والتعمق في دراستها ومقابلة نصوصها الفلسفية ، وفي الحقيقة على ضوء هذه المصادر نستطيع ان نقول بأن اخوان الصفاء وخلان الوفاء هم الأساس والدعائم التي شاد عليها الاسماعيليون بناء فلسفة عقيدتهم وأضيف على ذلك بالقول بأن هذه الفلسفة كانت اول بذرة عربية نمت وترعرعت في ظل الفكر الاسلامي وهذه بعض الأدلة :

قال المستشرق كازانوف « Casanova »

« اؤكد ان آراء الاسماعيلية توجد كلها في رسائل اخوان الصفاء » .

وقال ديمفروميري « M.C. Demfromery » :

« ان زعيم الاسماعيلية سنان بن سليمان الملقب براشد الدين تناول علوم الفلسفة وأطال نظره في كتب الخلاف وأكب على مطالعة اخوان الصفاء » .

وقال ماكدونالد « Macdonald » :

« لقد تلقى الاسماعيليون تعاليم اخوان الصفاء وزادوا فيها في حصونهم الجبلية ومقر قواهم » .

وقال ماكدونالد « Macdonald » أيضاً :

« يجب ان نكون على ذكر من ان الاسماعيليين لم يكونوا عصابات من اللصوص تنشر الرعب بأساليبها الشنيعة ولكن كلا الفرعين الشرقي والغربي قد عكف على العلم وربما وجد في حصونهم الجبلية اشد انواع العناية في طلب العلم الصحيح وحينما استولى المغول على قلعة « الموت » وجدوها غنية برسائل اخوان الصفاء » .

وقال الدكتور عبد اللطيف الطيباوي :

« لا اراني مصيباً في القول بأن فلسفة الاسماعيلية جميعها مبثوثة في رسائل اخوان الصفا فمن الجور ان يُرمى الاسماعيليون بالكفر والانحطاط الخلقي كما جاء في فتوى ابن تيمية » .

وقال المؤرخ اليمني الكبير: (ادريس عماد الدين) المتوفي عام ٨٧٢ هـ في المجلد الرابع من كتابه عيون الاخبار صفحة ٢٢٩ :

« وقام الإمام التقي احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن ابي طالب بعد ابيه بأمر الإمامة وبث -عنه في الآفاق من « سنيّة » واتصل به الدعوة ودعوا اليه وهم مخزون لمقامه كاتون لاسمه ، وكان المأمون حين احتال على « علي بن موسى الرضي بن جعفر » ظن ان امر الله قد انقطع وحجته عن الارض قد ارتفعت فحين ظن المأمون العباسي ذلك الظن ووهم ذلك الوهم سعى في تبديل شريعة (محمد) وتغييرها وان يرد الناس الى الفلسفة وعلم اليونانيين فخشي الإمام ان يميل الناس الى ما زخرف المأمون عن شريعة جده فألف رسائل اخوان الصفا » [وهنا توجد ملاحظة جديرة بالانتباه وهي ان احمد بن عبد الله مات قبل ان يتسنى له تمام تأليف كتاب الرسائل ولدينا ما يثبت ان الذي اتم تأليفها فيما بعد ولده عبد الله » ...

وذكر مؤلف كتاب «عيون الاخبار» ايضاً فهرست الرسائل على التام فقال:

« هذه فهرست الرسائل التي ألفها « الإمام » وقد جمع فيها انواع العلوم الفلسفية والهندسية وجعل الجامعة هي منها الغاية التي يتبين منها المراد ويتضح المعنى للمرئاد وقصدها على خلصاء شيعته وخيرة خاصته وانما ألف الإمام احمد تلك الرسائل لتقوم الحجة على المأمون وأتباعه حين انحرفوا عن علم النبوة » .

وقال الفقيه الكبير شرف الدين جعفر بن محمد بن حمزة المتوفي عام ٨٣٤ هـ هجري في رسالته الموسومة « الموقظة » :

« حتى هم المتسمي بالمأمون ان يرد الأمة الى دين القول بالنجوم وقال: ما جاء محمد الا بناموس ملك به الناس وحقيقة وأساس حتى اظهر ولي الله وابن رسول الله رسائل اخوان الصفاء وفيها ما تحير به جميع العالم من العلوم في كل فن والاستشهاد على شريعة الرسول وهو في كهف التقية مستتر ودعائه الباكون مفرقون لتلك الرسائل في كل شهر وقطر » .

وقال السيد غلام احمد القادياني في رسالة [العمل المصفى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفا] ما يلي :

« ولما خشي السيد احمد بن عبد الله ان يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلسفة الف رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الإلهية والفلسفة والشريعة » .

وجاء في كتاب قلائد الجواهر المصنف باللغة الفارسية في الصفحة السابعة والعشرين ما يلي :

« ان العلامة الفهامة « احمد بن عبد الله » هو مصنف اثنين وخمسين رسالة موسومة بإخوان الصفاء » . وقال الفقيه الكبير العلامة القاضي النعمان بن حيون المغربي التميمي في رسالته المذهبة صفحة ٧٢ - ما يلي :

« ان الأئمة المستورين هم : عبد الله، واحمد، والحسين، والدعاة الاربعة مؤلفو رسائل اخوان الصفاء وهم : عبد الله بن حمدان ، وعبد الله بن سعيد ، وعبد الله ابن ميمون ، وعبد الله بن مبارك .

وقال القفطي بكتابه تاريخ الحكماء .

« لما كتم مصنفوها اي « الرسائل » اسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها فكل قوم قالوا بطريق الحدس والتخمين وقوم قالوا هي من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب » .

وانتقل بعد هذا الى ذكر مصدر من اهم المصادر عن اخوان الصفاء اورده.

المؤرخ نور الدين احمد عام (٨٨٥) هجري في بلدة مصياف بكتابه « فصول وأخبار » وهذا هو بنصه الحرفي :

[بعد ان اشتد الضغط على الامام السابع محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب خرج من المدينة إلى الكوفة مصحوباً بأخيه علي وقد ظل فيها مدة من الزمن متسترأ عن العيون بعيداً عن الأرصاد ولده فيها ولداً سمّاه « عبدالله » ومن الكوفة سار إلى الري واستقر عند احد دعائه السريين المسمى « اسحق بن عباس » وكان يشغل منصب حاكم الري من قبل العباسيين وبعد مدة من الزمن قال له اسحق يا مولاي إن العباسيين قد بثوا العيون في كل مكان وأخشى عليك منهم فان رأيت أن تخرج إلى الجبل وتعتصم بقلعة « نهاوند » عند تابعك « منصور بن حوشد » فعمل بأشارته وبعد ذهابه قبض العباسيون على اسحق وعذبه عذاباً شديداً وروى انه مات تحت السياط دون ان يدل على مكان الإمام ، ولما لم يعرف الا شمد من امره شيئاً ارسل القائد « محمد الخراساني » ومعه جيش كبير من الترك والكرد للفتيش ثم القبض عليه فلما وصل إلى « نهاوند » دخل مسجدها فرأى الإمام مسنداً ظهره إلى المحراب وبين يديه رجلان يعلمهما اصول الدين فلم يتألك القائد نفسه حيناً رأى عظمته وجلال هيئته من ان ينحني أمامه ويقبل أيديه ثم أعلمه سرّاً بضرورة سفره من « نهاوند » لأن الرشيد يريد ان يقبض عليه اذا ما ظل فيها ، فخرج منها تحت جنح الظلام متسترأ إلى بلدة « سابور » ومنها إلى « فرغانة » وبعد ذلك إلى « معسكر مكرم » وهناك نص على إمامة ولده « عبدالله بن محمد » ولقبه « بأحمد الوفي » وبعد موته استلم الامامة ولده [عبدالله] في عام ١٦٩ هجري وازداد في التستر والخفاء وخرج سرّاً من معسكر مكرم إلى « زاهر » ومنها إلى « الديلم » وهناك تزوج بامرأة من الاسرة العلوية يسمى والدعا « الأمير علي الهمداني » ورزق منها ولداً سمّاه « أحمد بن عبدالله » الملقب (بالتقي) ثم ان دعوته انتشرت انتشاراً واسعاً واستجاب له خلق كثير العدد في بلاد العرب والعراق وفارس وسوريا ولكن

الضغط اشتد عليه من قبل « المأمون العباسي » فاضطر إلى مغادرة « الديلم » سرّاً قاصداً مدينة « معرة النعمان » قرب حلب وأقام فيها مدة ثم انه غادرها بعد ذلك إلى مدينة « سلمية » قرب حمص ومنها انتقل إلى بلدة « مصياف » ومات فيها ودفن بأعلى قمة جبلها المسمى « مشهد » عام ٢١٢ هجرية وبعد ذلك استلم شؤون الإمامة ولده [احمد بن عبدالله] الملقب بالتقي وقد كان سريع التنقل من المعرة إلى حمص إلى الشام إلى مصياف وغيرها من القرى السورية التي كان له فيها دعاة ينادون باسمه ويدعون له ولما علم بما آلت إليه الشريعة في عهد العباسيين من الانحطاط والضعف شرع بتأليف كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » مع دعائه الأربعة وهم امناء سره واعضاء مجلسه الأعلى الذين يعيشون بالكتمان الشديد والسرية التامة وهم : عبدالله بن حمدان ، وعبدالله بن ميمون ، وعبدالله بن مبارك ، وعبدالله بن سعيد .]

وهذا مصدر آخر وأخير أورده العالم الكبير « ابو المعالي حاتم بن عمران بن زهرة السرميني الحلبي المتوفي عام (٧٠٠) هجرية في رسالته الموسومة « الاصول والأحكام » قال :

[فلما انتقل محمد بن اسماعيل إلى دار البقاء تسلمها ولده المستور احمد الوفي وهو أول من ستر نفسه عن الأضداد من أهل عصره المخالفين لأن زمانه كان زمان فترة ومحنة وكان المتغلبون من وند بني العباس يطلبون من يشار اليهم حسداً وبغضاً لأولياء الله تعالى فأوجب ذلك الاستتار المعروف للأئمة وكني الدعاء بأسمائهم تقية عليهم بما هم فيه وتاه اولو الضلال حتى قالوا ان الإمام من ولد محمد بن اسماعيل هو [عبد الله بن ميمون القداح] المعروف بقداح الحكمة وزيد الهداية وزعم البعض انه عبد الله بن سعيد ، او عبدالله بن مبارك ، او عبدالله ابن حمدان وان هؤلاء الأربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها اثنتا وخمسون رسالة .]

لا بد ان تكون هذه المصادر التاريخية كافية للتدليل على ما سبق قوله بأن رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء تمثل الأفكار الاسماعيلية تمام التمثيل وانها

ولا جدال من وضع الدعاة الاسماعيليين الذين ذكرنا اسماهم وبعد هذا البيان لم تبق أية تسمة تاريخية او علمية لما ذكره [ابو حيان التوحيدي] عن زيد بن **والسبقي** والمقدسي والزنجاني والمهرجاني والعمري الذين اعتبرهم ابو حيان وغيره من الباحثين الذين ساروا على طريقته مؤلفي الرسائل في القرن الرابع الهجري والحقيقة ان هؤلاء قد عاشوا بعصر متأخر عن عصر اخوان الصفاء الحقيقيين المؤسسين وهم وان يكونوا من الاسماعيليين الذين اتخذوا نفس الاسم **نهموا** - النهج الا انهم ليسوا واضعي كتاب الرسائل ومهما يكن من امر فلدينا دليل آخر يلقى نورا ساطعا على الموضوع وهو ان الإمام عبد الله عندما **وضع رسائل اخوان الصفاء** جعل عددها - ٥٢ - رسالة لحكمة فلسفية وتأويلية يقول بها وتقضي بأن رسائل اخوان الصفاء دائرة علمية ناموسية حقيقية ، ويجب ان تكون في الدائرة الناموسية الدينية صورة لما في الدائرة العلمية كما أن في الدائرة العلمية معرفة ما في الدائرة الدينية الناموسية ولهذا جعل عددها ٥٢ رسالة مطابقاً لعدد ركعات الصلوات الخمس وهذا العدد نفسه جاء مطابقاً لعدد حروف اسم المؤلف الكتاب بحسب الجمل على هذه الصورة :

ع ب د ا ل ه ب ن م ح م د : عبد الله بن محمد

٧ ٢ ٤ ٣ ١ ٣ ٥ ٢ ٤ ٥ ٨ ٤ ٤ : ٥٢

والآن فلأخذ أدلة أخرى من رسائل اخوان الصفاء نفسها فقد جاء بالجزء الثالث في الصفحة ١٩٨ ما يلي :

الرب الله تعالى هو المبدع وبعده العقل الفعال وهو جوهر بسيط روحاني بسيط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد الباري تعالى علام بالفعل وبعده النفس الكلية وهي جوهرية بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان فعالة في الهوى بالتحريك لها وبعدها الهوى الأولى وهي جوهرية بسيطة - روحانية معتولة غير علامة ولا فعالة بل قابلة آثار النفس بالزمان متفعلة فيه وبعدها الطبيعة الفاعلة وهي قوة من قوى النفس الكلية سارية في جميع الأجسام مدبرة لها وتسمى النفوس الجزئية او الملائكة وبعدها

الجسم المطلق ذو الطول والعرض والعمق وهو الهوى الثانية وبعدها عالم الأفلاك وبعدها العناصر السفلى كالنار والهواء والماء والأرض وبعدها المعادن والنبات والحيوان .

وجاء في الجزء الثالث في الصفحة ١٧٨ ما يلي :

[فالعقل هو أول موجود أوجده الباري تعالى وأبدعه من غير واسطة ثم أوجد النفس بواسطة العقل ثم أوجد الهوى وذلك ان العقل جوهر روحاني فاض من الباري عز وجل وهو باق تام كامل والنفس جوهر روحانية فاضت من العقل وهي باقية تامة غير كاملة والهوى الأولى جوهر روحاني فاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل] .

هذا هو ترتيب عالم الإبداع لدى اخوان الصفاء كما جاء برسائلهم ويقابل هذا العالم عوالم ثلاثة كل واحد منها ممثول للآخرين وهي : عالم الاجرام السماوية ، وعالم الأجسام ، وعالم الدين ، ومهما يكن من شيء فإن جميع دعاة الاسماعيلية الذين دونوا الكتب الفلسفية بحثوا هذا الموضوع بحثاً دقيقاً رائعاً وفصلوه تفصيلاً بديعاً شيقاً ، واني أؤكد بأنني قرأت بإمعان وروية جميع ما تركه - المؤيد في الدين الشيرازي [داعي الدعاة] ومنصور اليمني ، والقاضي النعمان بن حيون المغربي ، وأبو يعقوب السجستاني ، وحيد الدين الكرمانى ، وأبو حاتم الرازي ، وطلنجشي ، والنسفي وغيره من فلاسفة الاسماعيلية من مؤلفات فلم أجد أحداً منهم خالف هذا الترتيب أو شذ عن هذه القواعد ، فإخوان الصفاء قالوا عن الموجود الأول انه العقل الفعال وأيدهم في ذلك المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) ، أما الكرمانى فقد اطلق عليه اسم العقل الأول وسماه السجستاني السابق وقال غير العقل ، وأطلق عليه بعض الدعاة الموجود الأول او الكف ، اما الموجود الثاني فقد سماه اخوان الصفاء النفس الكلية ، وأطلق عليه الكرمانى اسم المنبعث الأول وجاء غيره فقال عنه التالي او اللوح وسماه بعضهم المبدع الثاني ثم اطلقوا على العقل والنفس (الحدان) و [الأصلان] . أما ترتيب عالم الإبداع العلوي فقد جعله الكرمانى كما يلي :

ان الحد الأول هو الاول في الوجود والسابق في الوجود والتام في الوجود
والتام في الوجود والعقل الأول والحد الاول والمبدع الأول ، وقال عن الثاني
المنبعث الأول او العقل الثاني وقال عن الثالث المنبعث الثاني
من القول هو : هيولى والصورة ، ثم نرى الكرمانى ينتقل لشرح الموضوع
ويقوله فيقول :

أن يصدر عن العقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة عالم الطبيعة
بأنفسها ركواكبها وما فيها من الأشياء الكثيرة وعن الملائكة وعالم الطبيعة
يصدر الانسان بالنفس والجسم فترجع نفس الانسان إلى ما عنه وجدت وهو
الملائكة ويرجع جسمه إلى ما عنه وجد وهو الهيولى والصورة .

ويقول الكرمانى أيضاً ان العقول عشرة وهي مراتب الوجود وان الابداع
والانبعاث الذين يذكرهما ويحلها محل الفيض الذي يقول فيه افلاطون ، فمن
الممكن أن نلتبس لهما وجه شبه لعله اظهر ما يكون بين الكرمانى وبين اخوان
الصفاء ولكن الظاهر ان القول بالإبداع والانبعاث والمبدع والمنبعث نراه شائعاً
عند رسل أخوان الصفاء كمثل ما نراه شائعاً في كتاب [راحة العقل] للكرمانى،
ومجد أيضاً ان مذهب الكرمانى في وجود العقل الأول على طريق الانبعاث هو
سنة ما يذهب اليه اخوان الصفاء من العقل الفعال له الإبداع الأول والخلق
الاکمل وان النفس الكلية هي الإبداع الثاني او المنبعث الاول ، ولا يختلف
اخوان الصفاء عن الكرمانى إلا في تسمية الحدود كما قلنا فهم يطلقون على
الإبداع الأول اسم العقل الفعال في حين يطلق عليه الكرمانى اسم العقل الثاني
أو المنبعث الأول وليست هي المسألة الوحيدة التي يقع فيها التشابه بين الكرمانى
واخوان الصفاء ، وانما تلك مسائل اخرى تتصل بمراتب الوجود ومراكز
العقول وما يقابلها من ترتيب الافلاك والاجرام وحدود عالم الدين وهذه وكثير
غيرها من المسائل الفلسفية وما يمتزج بها من عقائد الدعوة الاسماعيلية يقع فيه
التشابه بين اخوان الصفاء وبين الكرمانى وان هذا التشابه ليقوى ويأخذ
طريقه ويظهر ويتضح إلى ان يأخذ صورة التطابق في الألفاظ والعبارات فضلاً

عن لب العقائد وصميم النظريات وذلك بشكل يؤكد لنا معه ان الكرمانى لم
يكن متأثراً بأخوان الصفاء فحسب ولا متفقاً معهم فيما يذهبون اليه من الآراء
والاعتقادات وانما هو يرى رأيهم ويذهب مذهبهم ويسلك سبيلهم ويقدمهم
ويصطنع الفاظهم وعباراتهم ويعتبرهم اسياده ومؤسسي دعوته وأئمة ، ولعلنا
لو أردنا التطويل لخرجنا عن قاعدة الإيجاز وعددنا جميع النقاط والارقام ولكن
يكفى أن نشير إلى ما يصطنعه الكرمانى في اوائل مشاريع كتابه (راحة العقل)
او في أواخره من الفاظ وعبارات هي بالحقيقة من صميم ما يصطنعه اخوان
الصفاء في اوائل رسائلهم او في أواخرها فهو يقول مثلاً :

« سيكون لحلّ هذا الرمز عند اصحاب الصنعة ... ومن يكون اخانا حقاً
في الفطنة والذكاء والتأله عيدين كبيرين » ... ويقول :

« والله يجمعنا وجماعة الإخوان المخلصين في دار القدس » ...

ويقول :

« وعلى جماعة اخواننا التابعين لنا في اعتقادنا »

وكل هذا رده اخوان الصفاء فقالوا :

« اعلم ايها الأخ البار الرحيم »

« واعلم يا اخي ايديك الله وأيانا بروح منه »

« ووفقك الله وأيانا وجميع اخواننا طريق السداد وهداك وایانا وجميع
اخواننا سبيل الرشاد » .

لقد عرضنا الى ترتيب الحدود العلوية لدى الكرمانى وهو اجد كبار الدعوة
الاسماعيلية كما اننا نورد رأي عالم كبير بحث هذا الموضوع واتفق مع اخوان
الصفاء وأثبت أنه من مدرستهم ومن حافظي تعاليمهم وهو المؤيد في الدين
الشيرازي (داعي الدعاة) في عهد المستنصر بالله الفاطمي ومناظر ابي العلاء
المعري اذ يقول في مطلع القصيدة الثانية من ديوانه :

« بديعُ شكرٍ ووسيعُ حمدٍ لمبدعِ الكافِ الرفيعِ المجدِ
أكمله سبحانه اذ أبدعه مبتدعاً واختراع النون معه »

والنفس ان الله ابدع الكاف ومركزه مركز العقل واختراع النون ومركزه مركز النفس، وان من الكاف والنون اقام العالمين العلوي والسفلي وهذه الرموز والكتابات لا يدرك اسرارها ومراتبها إلا المتعمقون بدراسة اصول هذه الفلسفة، **وهكذا** اتفق دعاة الاسماعيلية مع اخوان الصفاء على القول بان العقل أول **الموجودات** واخوان الصفاء قالوا : ان العقل هو اول موجود فاض من وجود الباري والنفس ترتبت بعد العقل والهيولى بعد النفس والطبيعة بعد الهيولى **والجسم** بعد الطبيعة وقالوا في موضع آخر : « واعلم يا أخي ان العقل انما قبل فيض الباري تعالى وفضائله الذي هو البقاء والنظام دفعة واحدة بلا زمان ولا حركة لقربه من الباري عز وجل وشدة روحانيته فأما النفس فإنه لما كان وجودها من الباري جل ثناؤه بتوسط العقل صارت ترتبها دون العقل، فالكرماني والمؤيد في الدين واخوان الصفاء قالوا بان العقل اول الموجودات وهذا العقل الاول هو **الذي** أشار اليه الله تعالى بالقلم وسماه الكرماني المبدع الأول او الواحد الذي لا يتقدمه شيء وذلك لأنه الملك المقرب الذي اخبرت عنه السنة الإلهية والشريعة النبوية بالقلم ، وقال المؤيد في الدين داعي الدعاة في المجالس المؤيدية صفحة ١٠٩ :

« والقلم اول نور سطع ابداعاً من المبدع سبحانه وبذلك سبب تهكم المؤيد في الدين على من قال ان القلم من مادة معدنية او نباتية واذا رجعنا الى رأي الفارابي في القلم نراه قريباً من رأي الاسماعيلية إذ كان يرى ان القلم واللوح من الملائكة الروحانيين وهذا ما قاله في رسالة نصوص الحكم المطبوعة في ليدن عام ١٨٩٠ :

« لا تغفل ان القلم آية جمادية واللوح بسط مسطح والكتابة نقش مرقوم بل القلم ملك روحاني واللوح ملك روحاني ايضاً » وهكذا فإن القلم هو العقل الكلي او المبدع الأول واللوح هو النفس الكلية او المنبعث الأول في رأي الفارابي الذي لا يختلف عن رأي اخوان الصفاء في ترتيب الحدود والعقول ، ولا يسعنا

جمع ان وصلنا الى هذا الحد لا بد لنا من ان نشرك الفيلسوف ابو يعقوب السجستاني بالبحث ونستمع الى رأيه بالحدود العلوية قال :

ان الباري تعالى لم يوجد في أول الخلقة غير العقل وحصر في جوهره صور المبدعات كلها ويضاف الى العقل اسم (القلم) لأن بالقلم تظهر نقوش الخلقة منذ الابتداء الى الانتهاء ويقال للعقل العرش اي انه مقر لمن جلس عليه ويجلوسه عليه تعرف جلالته عن هو منحط دونه ويقال للعقل الأول ومعناه ان الاولوية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل مما هو موجود وما هو مطبوع عليه غيره في اظهار قوته التي من اجلها اوجد ذلك الشيء ويقال للعقل ايضاً السابق ومعناه ان العقل اسبق لقبول آثار الحكمة قبل سائر الحدود لقربه منها واتحادها به وهي العلم والأمر اللذان هما بمعنى واحد وقد يجوز ان العقل فعلة سبق قوته ولم توجد هذه الفضيلة في موجود سواه لأن جميع الحدود من دونه قواتهم سابقة افعالهم وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً ، ويقال للعقل القضاء على ان بالعقل تقضي النفس ادراك المعلومات والظفر بالطلوبات ويجوز على أن العقل هو قضاء الله عز وجل بين خلقه ويقال للعقل ايضاً الهيولى فعناه ان بالعقل قوام ما ينبجس من الصور المستفادة ويقال للعقل الشمس ومعناه ان بالعقل تبصر الحقائق ثم ان النفس وهي الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول وانما سميت نفساً لأنها تتنفس دائماً للاستفادة ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة ويقال للنفس اللوح فعناه ان الذي انفطر من العقل من انوار الحكمة يتسطر في النفس ومن النفس يتصل بجرياتها المنبعث منها على مقدار صفاتها ولطافتها ويقال للنفس الملك ومعنى ذلك ان النفس هي ملك العقل وقينه لأن بالنفس ظهرت فضيلة العقل كما ان الملك تظهر فضيلة الملك ، ويقال للنفس الثاني فعناها انها الحان الثاني لجميع المخلوقين ومحافظتهم اشيائهم إنما تفضل النفس بين كل شيء ليكون للسلوك والمنطق عبارة ويقال للنفس التالي فعناه ان الذي يتلو العقل بفعله ويقال للنفس الكلمة انما هي النفس ويجوز على ان النفس بقوتها تتلو العقل بفعله ويقال للنفس القدر فعناه ان الذي يتحد بالنفس من فوائد العقل فان التقدير والتحديد

محيطان به ويقال للنفس الصورة ومعنى ذلك ان النفس تصورت من جوهر العقل وضياؤه وانها متى همت ان تلحق به لتنزل منزلته محق نورها كما ان القمر نوره من نور الشمس واذا اجتمعا في المنزلة محقت نوره ويقال للعقل رانفس بكلمة واحدة الأصلان .

وهذه ناحية اخرى هامة تزيد الموضوع توضيحاً وتأكيداً وهي نظرية التأويل الباطني لدى اخوان الصفاء والاسماعيلية فقد جاء اخوان الصفاء في الجزء الأول من الرسائل صحيفة (٧٨) يقولون :

أَنَّ الْبَارِي سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَوَاجِبِ حَكْمَتِهِ جَعَلَ الْمَوْجُودَاتِ بَعْضَهَا ظَاهِرًا خَفِيًّا لَا يَخْفَى وَبَعْضَهَا خَفِيًّا لَا تَدْرِكُهُ الْحَوَاسُ فَهِنَّ الْمَوْجُودَاتِ الظَّاهِرَةُ الْجَلِيَّةُ جَوَاهِرُ الْأَجْسَامِ وَأَعْرَاضُهَا وَمِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْبَاطِنَةُ الْخَفِيَّةُ جَوَاهِرُ النُّفُوسِ وَحَالَاتُهَا وَمِنَ الْمَوْجُودَاتِ الظَّاهِرَةُ الْجَلِيَّةُ لِلْحَوَاسِ أَيْضًا أُمُورُ الدُّنْيَا وَمِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْبَاطِنَةُ الْخَفِيَّةُ عَنْ أَكْثَرِ الْعُقُولِ أُمُورُ الْآخِرَةِ ثُمَّ جَعَلَ مَا كَانَ مِنْهَا ظَاهِرًا أَجَلِيًّا دَلِيلًا عَلَى الْبَاطِنِ الْخَفِيِّ .

وجاء أيضاً في الجزء الأول من الرسائل صحيفة (٢٥٥) ما يلي :

« وَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ فِي هَذَا الْعَالَمِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَظَوَاهِرُ الْأُمُورِ قَشُورٌ وَعِظَامٌ وَبِوَاطِنِهَا لُبٌّ وَمَخٌّ وَإِنَّ الدَّامُوسَ هُوَ أَحَدُ الْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ مِنْذُ كَانَ النَّاسُ وَلَهُ أَحْكَامٌ وَحُدُودٌ ظَاهِرَةٌ بَيْنَهُ يَعْلَمُهَا أَهْلُ الشَّرِيعَةِ وَعُلَمَاءُ أَحْكَامِهَا مِنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ وَأَحْكَامُهُ وَحُدُودُهُ أَسْرَارٌ لَا يَرَوْنَ وَلَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْخَوَاصُّ مِنْهُمْ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ » .

ولنستمع الى المؤيد في الدين يؤيد ما ذنب اليه اخوان الصفاء في مجالسه المؤيدة جزء (١) مجلس ١٦ فيقول :

« اعلم يا أخي ان لكل شيء من الموجودات في العالم ظاهراً وباطناً فظواهر الامور قشور وعظام وبواطنها لب ومنح وقد سئل الامام جعفر الصادق عن اتخاذ الباطن في الحجب والعدول بها عن طريق الإيضاح والإظهار فأجاب :

هي الحاجة إلى اتخاذ الحب من أغطية السنابل والثار في الأغشية ليؤم لاستخلاصها ذور البصائر والأبصار فبين الله سبحانه فضل المجتهدين على المقصرين والمجاهدين على القاعدين وقد نظم المؤيد في الدين قول جعفر الصادق شعراً :

« وَرُبَّ مَعْنَى ضَمَّةٍ كَلَامٌ كَمَثَلِ نَوْرِ ضَمَّةٍ ظِلَامٌ

باقٍ بقاء الحب في السنابل في معقل من أحرز المعقل »

وأخيراً لا بد من الإشارة والوقوف عند ناحية التأويل لدى اخوان الصفاء إذ انه من الملاحظ ان رسائلهم جاءت زاخرة بالرموز والكنائيات والإشارات الخفية التي يحتاج بيانها الى معرفة تامة بالتأويل الباطني ولتأخذ مثلاً على ذلك ما جاء في الجزء الأول صحيفة (٦٣٢) من رسائلهم الجامعة :

وقد ذكرت الحكماء ان العلم متوجود قائم بسبعة اشخاص فاضلة كائنة في سبعة اوقات يظهر مع كل واحد منهم من روح القدس ما يكون به الاخبار عن الاشياء كلها وان كل واحد منهم اذا ظهر في زمانه اقام لإبلاغ رسالته وبيات موعظته وتعليم آياته وصفحات موجزاته اثني عشر رجلاً من اجلة اصحابه وأقاربه وأهل بيته ليبلغوا عما ارسل به الى امته ويعينوه على اظهار دعوته ثم ينبت كل واحد منهم رجلاً عدة لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل كما ينبت منه فعل روحانيات الكواكب السبعة في الاثني عشر برجاً من الملائكة والجنود ما يبدو عنهم ومنهم من الأفعال والأعمال والأقوال والتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير والعبادة وما يحدث من القوى السبعة الموجودة في الجسم الانساني وما يخرج من انفاسه من النفث وما يبدو من حواسه وأعماله وما يترقب من صنائمه وكلامه وألفاظه مما لا يعلمه إلا الله تعالى وما يتكون في الاقاليم السبعة والجزائر الاثني عشر كذلك الشخص الزماني موجود بسبعة ايام واثني عشر شهراً والسنة جامعة لها وما يتفرع منها من الساعات والدقائق والدرجات بما يعرفه اصحاب النجوم ولا يخفى على اهل العالم ، وكذلك الرئيس السابع الآتي في آخر الزمان سيد (اخوان الصفاء) هو المحيط بعلم من تقدمه من الرؤساء الستة صلوات الله عليهم وبظهوره يكون ظهور السعادات » .

ان هذا النص يزخر بالتعاليم الفلسفية الاسماعيلية الأصلية التي جاءت تفصّل مراتب عالم الدين بقولها ان الدعوة الامامية الهادية تقوم على اثني عشر داعٍ كل دافع منهم يرأس جزيرة وهذه الجزائر عددها اثني عشر كعدد بروج السماء او بعدد أصلاخ الانسان ، او كعدد الثقوب الموجودة في الجسم او كلاثني عشر شهراً الذين يؤلفون السنة او كلاثني عشر ساعة التي يتألف منها الليل والنهار وكل هذا مطابقاً لما جاء في الآية القرآنية الكريمة [وضرب موسى بعصاه البحر فاصبحت منبسطاً منبسطاً منها اثنتا عشرة عيناً ...] ويأتي بعد هذا العدد السابع وقد انتسبت الاسماعيلية اليه فعرفت في فترة ما بالفرقة « السبعية » نسبة الى الغدد السابع/الذي يطبق كما يلي :

الله خلق الكون بستة ايام ثم استوى على العرش باليوم السابع ، وأن عدد السموات سبع والكواكب النيرات سبع والأقاليم الأرضية سبع والبحار سبع ، كما وان للنفس الكلية سبع نفوس جزئية ثم سبع قوى روحانية وان عدد الموجودات التي تتألف منها دعائم الطبيعة سبع ، وان أيام الأسبوع سبعة وعدد الانبياء النطقاء بالرسالة ستة وقائمهم المنتظر سبعة واسمهم ستة وأساس القائم معهم سبعة ، وان الإدراكات العقلية مقسمة الى سبع وفي جسم الانسان سبعة جواهر يقابلها سبع قوى مستورة عليها قوام الجسم وان أركان الدين قائمة أيضاً على سبعة وعلينا بعد ان وصلنا إلى هذا الحد ان نمر بلمحة عابرة على أهم رسالة بكتاب اخوان الصفاء تضمنت الرموز والكنائيات والتماثيل المستورة وجميعها جاءت على لسان الحيوانات ، وقد مر كافة الذين عالجوا موضوع رسائل اخوان الصفاء على هذه الرسالة فلم يعرفونا عن الغاية من وضعها وماذا ؟ وقد جاء في هذه الرسالة بالجزء الثالث ما يلي :

« ثم انه وليّ علي بن ابي طالب ملك في جزيرة « صاغون » الى ان جاء مركب الى الساحل فخرج من فيه الى الجزيرة افرادها متألفة بعضها مستأنسة غير متنافرة وهؤلاء القوم استوطنوا تلك الارض واعجبوا بما فيها ثم انهم اخذوا يتعرضون للبهائم وتلك الانعام يسخرونها ليركبوها ويحملوا عليها اثقالهم فنفرت

منهم وهربت وذهبت الى ملك الجن فشكت اليه فأرسل ملك الجن اليهم رسولا ودعاهم الى حضرته فذهب اهل المركب وعددهم سبعين من بلدان شتى ثم اوصلهم الى مجلسه بعد ثلاثة ايام فقال لهم لماذا جئتم الى جزيرتنا بدون دعوة فقال قائل منهم : سمعنا الكثير من الفضائل والمناقب فجئنا لنتسمع كلامنا ونحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين المنكرين ثم بدأت المحاكمة بينهم . »

جزيرة « صاغون » على حد اعتقاد وتعبير اخوان الصفاء هي مدينة (اهل الخير) التي ردد اخوان الصفاء ذكرها اكثر من مرة ، والبحر في التأويل الاسماعيلي الباطني هو علم الحقيقة والسفينة هي الدعوة الإمامية سواء اكانت ظاهرة للعيان أم مستورة عن الانظار ، وركاب السفينة هم أهل الدعوة الذين لا يدينون إلا بظاهر العلوم دون باطنها ، وقد جاء ان عددهم عندما جاءوا الى صاغون كان سبعين رجلاً وهذا معناه ان السفينة قد حملت ممثلين عن جميع الفرق الاسلامية المذكورة بالحديث النبوي القائل : « ستقسم امتي الى ثلاث وسبعين فرقة اثنتي عشرة وسبعين هالكة وواحدة ناجية ... » والواضح ان ركاب السفينة عندما تاهوا في عرض البحر وتقاذفتهم الأمواج الصاخبة وفي التأويل انهم عندما ضلوا عن اتباع طريق الهدى والحق وتقاذفتهم أمواج الضلال رمتهم الأقدار بجزيرة صاغون وهي بلدة أهل الخير أو « المدينة الفاضلة » على حد تعبیر الفارابي وقد وجدوا فيها الحياة على غاية ما يرام ولكن اهالي الجزيرة نفروا منهم لأنهم مؤمنون وهم ضالون. وذهبوا الى ملك الجن الذي هو رئيس مدينتهم وسيد اخوان الصفاء فعرضوا الأمر عليه وطلبوا اخراج اصحاب السفينة الضالة الذين جاءوا ليفسدوا عليهم حياتهم ويتحكموا بمقدراتهم فطلبهم رئيس المدينة للمحاكمة وعندما وصلوا لم يسمح لهم بالدخول الا بعد ثلاثة ايام وفي التأويل انه لم يأذن لهم الا بعد أن انضمت اليهم الفرق الثلاثة الأخرى فأصبح عددهم ثلاثة وسبعين تحقيقاً لمضمون الحديث المذكور وعندئذ بدأت المحاكمة بينهم وبين رجال الفرقة الناجية المؤمنين أصحاب مدينة أهل الخير كما هو مفصل برسالة الحيوانات .

هذا ما اتسع له الوقت للتحدث عن اخوان الصفاء وخلان الوفاء وأسماهم وزمانهم وفلسفتهم ... وكما كنا نتمنى لو ان هناك فرصة تسمح لنا بالتجليق في اجوائهم والدخول الى مدينتهم اذن لأخذنا بعجائبها وفتنا بمنظرهما وتنعمنا بروائعها وتفيئنا بظلال أشجار حدائقها ذات الورود العطرة والأشجار الناضجة والينابيع الثرة الدافقة .

والحقيقة إن في مملكة الفكر الاسماعيلي كنوزاً فلسفية ثمينة وحكماً نادرة جديدة بالبحث والدراسة والتنقيب فهي تمثل وجه فلسفتنا العربية اصدق تمثيل، وان الواجب يدعونا ان نتفرغ لدراسة هذا التراث الفكري الضخم الذي خلفه لنا الأجداد وتتوفر على استخراج جواهره الفكرية من مخابئها على ضوء التطور الفكري الحديث والتقدم العلمي السريع متتبعين سير ركب المدنية العصرية سائرين وراء قافلة الحضارة العالمية في السبيل السوي القويم ...

عارف تامر

بيروت — لبنان

١٩٦٠

« تمهيد »

في سنة ١٩٣٨م أي منذ اثنين وعشرين عاماً حتى الآن كنت أقوم بتدريس اللغة الاردية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وكانت الاعمال الادبية والثقافية تملأ فراغ وقي إذ كانت لدي ثروة من الكتب الفاطمية النادرة ومن بينها ثمان مخطوطات لديوان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، ثم علمت ان العيد الألفي للقاهرة والازهر ستقام حفلاته في مصر في وقت قريب . فبدأ لي أن أتقدم إلى هذا العيد بأجل تذكاري ادبي يرجع إلى ذلك العهد البعيد في التاريخ وهو هذا الديوان الذي صنفه أكبر أنجال الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي يرجع الفضل اليه في بناء هذه المدينة العظيمة والجامعة الأزهرية التي طبقت شهرتها الحافقين ، فقامت يومئذ بمقارنة بين هذه المخطوطات التي جمعتها من مكتبات الشرق والغرب حتى انتهيت منها الى نسخة أعتقد انها أصح النسخ وأدناها إلى الصواب فافردتها بالتصحيح والمراجعة وشرحت الكثير من أبياتها وقدمت للديوان بمقدمة ضمنيتها دراسة أدبية وتاريخية عن حياة الفاطميين . وما كاد أمر هذا الديوان يتسارع به الناشرون حتى وفد إليّ كثيرون منهم يطلبون أن يتولوا نشرها ، وكان لكل منهم وسيلته المادية التي عرضها ولكني تقدمت إلى دار الكتب المصرية وآثرتها بطلب نشر الكتاب لما كان يملأ نفسي من ثقة بحسن طباعتها ودقة تصحيحها ، ولم يعني شيء أهم من صون هذا الكتاب وإبرازه في صورة شائقة وطبع أنيق . وكانت نتيجة ذلك ان انعقد مجلس الدار وقرر طبع الديوان مع مقدماته وحواشيه ، وأعلنت الصحف يومئذ هذا النبأ الأدبي باستقبلته الاوساط الثقافية في مصر والشرق بالمزيد من الترحيب . ثم بدأ العمل

في طبعه بصفة جديدة . وكانت الدار ترسل إلى التجارب لمراجعتها ، وانتهت في ذلك إلى صحيفة (١٠٦) وهي ما تزال تحت يدي ثم كانت الحرب العالمية الثانية فتوقف العمل ، وسافرت على اثر ذلك إلى الهند ولما وضعت الحرب أوزارها أخذت أراسل المسؤولين في الدار وعبثاً حاولت أن أتلقى جواباً مقنعاً .. حتى لم أجد مناصاً من الحضور بنفسي الى القاهرة سنة ١٩٤٩ م .

ولما اتصلت بإدارة الدار كنت أتلقى إجابات غامضة فهمت منها ان نسخة الديوان مفقودة .

ثم بذلت المحاولات وأعيد الطبع من جديد ، وأخذت مرة أخرى أتسلم التجارب وأراجعها ، حتى وصلنا الى نفس المرحلة السابقة أعني صفحة (١٠٦) وهو ايضاً تحت يدي .. ثم وعدتني الإدارة بالمضي في الطبع على أن ترسل الأوراق والتجارب التي حيث أقيم في باكستان ، ثم مضيت الى كراتشي وبدأت أعاود المكاتبة ولكنني لم أتلقي رداً مدى ثمانية أعوام .

ورأيت للمرة الثالثة ان أزور القاهرة لاتولى بنفسي الاشراف على نشر الديوان ولما زرت دار الكتب المصرية وجدت الديوان وقد كمل طبعه وتم نشره دون ان أجد اسمي على الكتاب كما كان يقتضيه الاتفاق السابق ، وكما هو الشأن في سائر المطبوعات ، واكتفت الدار بان تنوه باسمي في فاتحته ، أما المقدمة الدراسية التي جعلتها تمهيداً للديوان وتفسيراً تاريخياً لحياة هذه الاسرة فلم يكن لها وجود ولم أعرف السبب في اهمالها .

ولذلك أجد ان الواجب يدعوني لاعادة طبع مختارات من الديوان مع المقدمة الأنفة الذكر حرصاً مني على خدمة التاريخ ونفع القارئ ، مقدماً للقراء صورة ن واقعتنا الذي نعيش فيه ، وعن اسلوب لصوص الادب الذين يسرقون انتاج غيرهم وينسبونه اليهم ضارين بالقيم والاخلاق عرض الحائط فالى هؤلاء اللصوص لعنة التاريخ وصفعة الاجيال .

محمد حسن الاعظمي

الفاطميون في حكم التاريخ

قبل أن أتحدث الى القراء عن تميم الشاعر يحمل بي أن أحدث عن تميم الأمير وأحاول في موضوعي ان أعالج بيان الصلة الوثيقة بين حياته الشعرية وبيئته الاجتماعية . واذا كانت شخصية تميم الاولى تبدو في عالم الأدب واضحة جلية . وتتجلى في دولة البيان ساحرة طلية . فان شخصيته الثانية تبدو مشخنة بجروح دامية من ظلم التاريخ بل من ظلم كتاب التاريخ الذين حاولوا أن يكذبوا على الفاطميين صفو فاطميتهم ويغلبوهم على أمر هاشميتهم . وكثيراً ما رأينا بعض المتصدين لتحصيل الحوادث التاريخية تجري اقلامهم طوعاً لهواهم او لهوى غيرهم بآراء ومتناقضات يخلقونها في أنفسهم تخيلاً ويقدمونها الى العالم دليلاً . وبهذا تضطرب الآراء والافكار وتحتجب الشمس عن الانظار . على اني لا احاول أن أقيم دولة الفاطميين في كلمتي هذه . ولكنني أريد ان أضع حداً للمزاعم التي طوقت باوهاما الخانقة عصرهم العالم الاسلامي ويعني المصريين وأبناء العرب بوجه أخص واعتقادي ان للعوامل السياسية دخلاً كبيراً في لقاء الظلام الحالك على ضوء الحقيقة الساطع واطلاق الافاعي المهلكة في ربوات الروضة الفناء . ان المؤرخ من هذا النوع واحد من ثلاثة رجل يطمع في مغنم الدولة فتراه يحسن مثالبها ويطوي معاييبها ويتدع لها الاطراء الحكم والثناء المنم . حتى يقيم لها في الفردوس بنياناً . ويستقل لها الجوزاء مكاناً . ورجل يحمله سلطان الحكومة على الكيد لخصومها والزراية على أعدائها . فيبري من قلمه سهماً مسموماً يرسله بالاغلاط والالهام حتى يضعهم من كتابه في قفص الاتهام وثالث يجهل الحقائق فيعتمد الى الاباطيل ويعوزه البيان فيخلق الاضاليل ومن هؤلاء وأولئك وقعت

الاطعاء المتكررة في زمان . واتخذ بهم طلاب الانصاف ورواد الحقيقة بالرواية عنهم والتأثر بهم . اذ يظنون قولهم فضلاً وحكمهم عدلاً . وبذلك تنشأ عن الافراد والجماعات خرافات وخزعبلات تنمو مع الاجيال وتتضخم حتى ان المنصفين أنفسهم قد يخطئون في تقدير أطوار الشعوب وتقلبات الامم ووضعها الموضع الصحيح من التاريخ وذلك حين يحكون بالحوادث الفردية على الحياة الاجتماعية ويتخذون منها منطقاً يفرضون له النتائج والمقدمات . فان كثيراً ممن ينتمون الى الفرق الاسلامية كانت لهم في حياتهم الشخصية نزوات وشذوذ وكانت لهم آراء في المعتقدات لم يكتف المؤرخون بنقلها عنهم ولكنهم نسبوها الى عقائد شيعتهم أو مذاهب فرقتهم وبهذا أصبحت تسمع ان في الشيعة مثلاً ما يربو على مئات النحل والمذاهب فاذا حاولت ان تحصر هذه الطرق الكثيرة والمذاهب العديدة اعياءك البحث عن أصولها والوصول الى فروعها كما يطالعنا بهذه الامثلة العديدة صاحب الملل والنحل وصاحب الفرق بين الفرق والعلامة المقريري .

ولقد قال العلامة السيد محسن الأمين الحسيني العاملي في كتاب « أعيان الشيعة » ج ١ ص ٢٨ « يوجد في كتب الملل والنحل من تأليف غير الشيعة وفيما ذكره المقريري في خططه عند ذكر الفرق واختلاف عقائدها أسماء المسميات ادرجوها في فرق الشيعة لم نسمع بها من غيرهم وبلغوا في تكثير فرقها حتى قال بعضهم ان الثلاثة والسبعين فرقة أكثرها من الشيعة . وكأنهم لما نقص عليهم العدد اضطروا الى اختراع فرق لا وجود لها ووضعوا لها أسماء من عندهم كما سنبرهن على ذلك مع ان المقريري الذي زعم ان فرقها بلغت الثلاثمائة لم يستطع أن يعد منها غير عشرين ؛ زعم انها المشهورة على اننا سنثبت ان جملة من هذه العشرين مخلق مخترع . واننا وایم الله لنتحامي ونتجافى عن كل ما يستشم منه التحيز ؛ ونبتعد جهدنا عن الرد والنقض ما أمكن . ولكن ما نصنع وقد طبع من هذه الكتب الالوف وانتشرت في الآفاق وقرأها العام والخاص واعتقدها الكثيرون صواباً حتى وصلت الى اهل هذا الزمان أمثال الرافي وغيره وبنوا

عليها القصور والعلالي وأودعوها مؤلفاتهم وتصدوا لدم الشيعة فيها مناسبة وغير مناسبة ؛ وانكروا كل فضيلة لهم لاجل هذه النسب الباطلة . فالضرورة واجب الدين وتمحيص الحق والمحاماة عنه المفروضة توجب علينا بيان ما فيها من الباطل لا سيما وان السكوت عنها يعد كالاقرار بها سائلين من خالص اخواننا الساعين في تأليف الكلمة ان يقبلوا عذرنا في ذلك قال المقريري في خططه .. ان فرق الرافضة بلغت ثلاثمائة والمشهور منها عشرون وهي الامامية (أقول) مع ان جل هذه الفرق التي ذكرها هو وغيره لا يعرف لاسمائها مسميات حتى في عصر نازلها . فهي إما منقرضة أو لم توجد في الدنيا . فوجودها وعدمها لا يضرنا بعد ما كانت طائفتنا الامامية الاثنى عشرية منزهة عما زعم فيها . انما نريد ان نلفت الانظار الى جملة منها نسبت عقائدها الى اجلاء أصحاب ائمة أهل البيت وسقاتهم المتزهين في عقائدهم عما نسب اليها . وذلك دليل على انها مختلقة مكذوبة بدون شك .

« منها الزرارية » قال المقريري وقالت الزرارية اتباع زرارة بن أعين .. الامام بعد جعفر ابنه عبدالله إلا انه سأله عن مسائل فلم يمكنه الجواب عنها فادعى امامة موسى بن جعفر من بعد أبيه . ثم قال بعد نحو ورقة .. والفرقة العاشرة الزرارية اتباع زراره بن أعين أحد الغلاة في الرفض . وزعم مع ذلك ان الله تعالى لم يكن في الازل عالماً ولا قادراً حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك ... الخ وعد من فرق المشتبهة .

(الهشامية) قال اتباع هشام بن الحكم . ويقال لها ايضاً الحكية . ومن قولهم الاله تعالى كنور السبيكة الصافية يتلأل من جوانبه . قال (والجولقية) اتباع هشام بن سالم الجولقي وهو من الرافضة ايضاً . ومن شنيع قوله ان الله تعالى على صورة الانسان نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مسط . وليس بلحم ودم بل هو نور ساطع . وله خمس حواس كحواس الانسان ويد ورجل وقم وعين واذن وشعر اسود . لا الفرج واللحية ثم قال (والفرقة التاسعة الهشامية) وهم صنفان .. احدهما اتباع هشام بن الحكم والثاني اتباع هشام الجولقي وهما

يقولان لا تجوز المعصية على الامام . وتجوز على الانبياء وان محمداً عصى ربه في اخذ الفداء من اسرى بدر . قال :

(والفضلية) اتباع المفضل بن عمر ، قالت الامام بعد جعفر ابنه موسى وانه مات فانتقلت الامامة الى ابنه محمد بن موسى . قال :

(واليونسية) اتباع يونس بن عبد الرحمن القمي . وكلهم من الروافض . ثم قال : والخامسة عشرة اليونسية اتباع يونس بن عبد الله القمي احد الغلاة المشبهة فجعله تارة ابن عبد الرحمن وتارة ابن عبد الله . والصواب ابن عبد الرحمن والتعدد معلوم . قال :

(والسابعة عشرة الشيطانية) اتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق . فقد شارك المعتزلة والرافضة في جميع مذهبهم وانفرد باعظم الكفر قاتله الله ، وهو انما زعم ان الله لا يعلم الشيء حتى يقدره وقبل ذلك يستحيل علمه . وقال عند ذكر الفرق المعتزلة . والفرقة العشرون من المعتزلة الشيطانية اتباع محمد بن النعمان المعروف بشيطان الطاق وهو من الروافض شارك كل من المعتزلة والروافض في بدعهم . وقلمما يوجد معتزلي إلا وهو رافضي انفرد بطامة وهي ان الله لا يعلم الشيء إلا ما قدره واراده وأما قبل تقديره فيستحيل ان يعلمه ولو كان عالماً بأفعال عباده لاستحال ان يمنحهم ويختبرهم .

(قال المؤلف) ان زرارة بن اعين والهاميين ويونس بن عبد الرحمن ومحمد ابن نعمان الملقب بمؤمن الطاق كلهم ثقافة صحيحو العقيدة متكلمون حذاق من اجلاء تلاميذ وأصحاب الامامين جعفر بن محمد الصادق وابن موسى بن جعفر الصادق (ع) وعذبوا اخذوا ومنها تعلموا وبها اقتدوا في كل علم لا سيما وصف الباري تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص، وعظمة سيد الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم . لا يمكن ان يعتقدوا امثال هذه الخرافات في حقه تعالى ولا في حق نبيه (ص) وقد أخذوا عقائدهم عن ائمة اهل البيت الطاهر معادن العلم والحكمة ولم ينقل عنهم هذه الخرافات ناقل يوثق به . فما نسب اليهم

محض افتراء واختلاق وثائق تراجمهم في ابوابها . وهم مترجمون في كتب رجال الشيعة بكل وصف جميل . وهم امامية اثنا عشرية ليس لهم مذهب ولا نخلة خاصة سوى ذلك . ولا اتباع ينسبون اليهم . مع ان كلامه في حق زرارة يناقض بعضه بعضاً فاذا كان زراره سأل عبد الله عن معائل عجز عن جوابها فقال بامامة اخيه الكاظم دونه فكيف يكون صاحب مذهب ونخلة في عبد الله وله اتباع ينسبون اليه . وهذا لو وقع لكان قبل اعتقاده بامامته بان يكون سائله لا يعرف مبلغ علمه . فكيف يكون صاحب مذهب ونخلة فيه ؛ وله اتباع ينسبون اليه . والذي زعم انها تنسب اليه الشيطانية التي لم يخلقها الله تعالى هو من أصحاب الامام الكاظم لقب بشيطان الطاق لانه كان صيرفياً بطاق الحامل في الكوفة كان يرجع اليه في النقد فيخرج كما ينقد فيقال شيطان الطاق مبالغ في حذقه وأصحابنا يلقبونه مؤمن الطاق وله مع الامام أبي حنيفة نواذر مذكورة في ترجمته . واما جعله رئيساً لفرقة من المعتزلة تنسب اليه فطريف جداً وفيه من الخبط والخلط ما لا يخفى كقوله كلما يوجد معتزلي الا وهو رافضي . فالرجل أمامي اثنا عشري وابن الامامي من المعتزلي . وان وافقت المعتزلة الامامية في بعض العقائد الا انها تخالفها في أكثر الاصول والفروع . وتوافق الاشاعة في الاصول والفروع أكثر من موافقتها للامامية . ولكن عدم المبالاة بالكذب والاختلاق يجر الى أكثر من هذا ولا شيء من جرأته على هذا الرجل العظيم بالثتم والنسبة الى أعظم الكفر بدون مبرر الا قلة الحياء ورقة الدين . وأما المفضل بن عمر فاختلف أصحابنا في وثاقته وعدمها في صحة عقيدته وعدمها . ونسب الى الغلو بل قيل انه كان خطايماً فمن زعم عدم وثاقته لم يقبل روايته ومن زعم فساد عقيدته بالغلو تبرأ منه وهذا دأب اصحابنا مع كل غال وهو مما تفاخر به . وكيف كان فليس له اتباع ينسبون اليه على ان الذي رجحه المحققون من اصحابنا وثاقته وبرأته من الغلو .

ثم ان المقريري وغيره عدوا في فرق الشيعة فرقاً أخرى لم نتحققها . وهي اما منقرضة أو لم توجد في الدنيا كالمباركية أتباع مبارك والنامطية أتباع يحيى

ابن شميظ الاحمسي صاحب المختار وغيرها . وبعد ما وجدناهم يعدون فرقاً علمنا بعدم وجودها كالتي سبق ذكرها لم يبق لنا وثوق بوجود غيرها ما لم نعلمه . على ان ابن شميظ كان من اتباع المختار وأعوانه على امارته لا صاحب نخلة ومذهب خاص حتى يكون له اتباع على تلمذته ينسبون اليه ثم انهم عدوا في فرق الشيعة - الغلاة وغيرهم من هم خارجون عن الاسلام كالخطابية والسبائية اصحاب عبد الله ابن سبا وغيرهم . وهذا جهل أو تجادل فالخارج عن الاسلام لا يصح عده من فرق المسلمين ؛ والشيعة الامامية الاثنا عشرية تبرأ من كل غال وكل مؤله لخلق قال المقرئزي ومن فرق الروافض الخوية والشاعية والشريكية يزعمون ان عليا شريك محمد (ص) والتناسخية القائلون ان الأرواح تتناسخ واللاعنة والخطيئة الذين يزعمون ان جبريل اخطأ والاسحاقية والخلقية الذين يقولون لا يجوز الصلوة خلف غير الإمام والرجعية انقائلون سيرجع علي وينتقم من أعدائه . والمتربصة الذين يتر بصون خروج المهدي . والامرية والجينة والجلالية والكرببية أتباع ابي كريب الضرير والحزبية أتباع عبدالله بن عمر الحرني ا. ه .

(أقول) : يعلم الله ان هذه الأساء كلها لم نسمع بها ولم نرها في كتب الشيعة وما هي إلا مختلقة لا يقصد ذكرها غير التشنيع والتعجين وهي أساء بلا مسميات ولم يذكرها أحد من المؤرخين ولا نقلها من كتب في الملل والنحل من الشيعة كالشيخ أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي من أهل القرن الرابع في كتاب الفرق والمقالات المتكفل لذكر فرق الشيعة وغيره ووجود بعض النحل الباطلة بين من ينسب إلى التشنيع ولا يضرنا ونحن بريئون منه كما لا يضر الدين الاسلامي الحق ووجود بعض النحل الباطلة فيمن ينسب اليه . وكذا لا يضر دعوى النبوة الباطلة بالنبوة الحقّة إلا ان الحقيقة يجب أن تظهر وتعرف .

ثم اننا نسأل المقرئزي كيف لم يذكر بين المشبهة والمجسمة أقوال من يقول من أهل تلمذته ان الله تعالى ينزل في كل ليلة حجة على سطوح المساجد راكباً على حمار بصورة غلام أمرد قطط الشعر في رجله نعلان من ذهب . وقول من قال من أهل تلمذته دعوني من الفرج واللحية وسلوني عما شتم . وقول ابن تيمية

على منبر جامع دمشق ان الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا . ونزل درجة من درج المنبر كما حكاه مشاهده ابن بطوطة في رحلته وكيف لم يعد المعتزلة من فرق أهل السنة وجعلهم أقرب إلى الشيعة وعد الغلاة وغيرهم من فرق الشيعة مع ان المعتزلة أقرب إلى أهل السنة من الغلاة إلى الشيعة كما لا يخفى .

ونعود إلى صلب الموضوع لنقول :

ان القرامطة ومذهبهم معروف كانوا ينتمون إلى الدعوة الهاشمية ويتمون إلى الدعاة بنسب عريق . ولكنهم ما لبثوا ان أوقدوا نار الحرب وكان أول حطب لنارها هم الفاطميون أنفسهم . وكذلك بدأ الدروز مذهبهم في ولاية الامام الحاكم واتخذوا منه شخصية عظيمة . ولعل كثيرين من مخترعي هذه الفرق إنما انشأوها لما كانوا يعلمون من شرف أهل البيت . وان الانتساب اليهم يبلغ بهم ذروة الشرف والكرامة فعمدوا الى انشاء تلك المذاهب في حين كان البعض الآخر يعمل إلى تأليف هذه الفرق لعلمه ان الانتساب المباشر إلى اهل البيت يجعلهم مستهدفين لسيف النعمة من خصوم الشيعة ولا ننس ان حب الظهور والتغلب دفع بعض الأشرار إلى التيام في فترات بشورات متقطعة كما يعلم ذلك من تتبع سير القرامطة .

على أي لا أذهب بالقارىء بعيداً فقد يملكه العجب والاستغراب اذا تحدثت عن رجل قام في الاعوام القريبة بين مسلمي السند يزيّف كعبة يدعو الناس للحج اليها والطواف بها . ولم يشأ ان تكون دعوته مجردة عن صبغة فلسفية يستفيد بها في معرض الدعاية والترويج فهو يقول ان الكعبة إنما يراد اجتماع الزوار لا عبادة اللبنة والاحجار كما ان من بين طلاب الشهرة من طريق مخالفة الجماعة والخروج على الاجماع اناساً مقيمون في الهند شيعة مستحدثة لبني أمية . يستباحون في مذهبهم قتل الحسين ويستقبلون اسم قاتله واسم يزيد بالتهليل والتكريم وبالصلاة والتسليم . لقد خرج من ايران واهند طوائف ينتمي بعضها الى الشيعة وبعضها الى أهل السنة وقد انشأوا في هذا العصر زعامات دينية البسرهما أشكلاً وألواناً من التقديس . وظنوا أنفسهم حماة

الاسلام أو دعاة الاصلاح في هذا العصر . فهل يتخذ المؤرخ من هذا الشذوذ قاعدة يبني عليها الاحكام ويقيم بها حقائق التاريخ ؟

جاء الفاطميون الى مصر فاتحين واقاموا بها مدينة ما زالت آثارها ماثلة لآعين الناس يتوارثها ابناء القاهرة جيلا بعد جيل وستحتفل القاهرة والازهر بعيدهما الالفى ولا يستطيع أحد ان ينسى أو يتناسى ان هذا العيد هو عيد الفاطميين أنفسهم . فهم الذين بنوا القاهرة . وهم الذين شادوا الازهر . وهم الذين سنوا لمن بعدهم ابتناء المساجد وتشيد المستشفيات وحبس الوقوف وإنشاء المكاتب . ذلك ان تلك الاعمال التي قام بتشيدها الامويون والماليك إنما كانوا يقصدون بها الى محاکبتهم وانهم نظراؤهم في السيرة الحسنة وتشجيع العلوم وإقامة الشعائر والبر بالناس .

ان للفاطميين خصوماً ما كانوا يستطيعون ان يدعوا هذه المدينة تزدهر او تعيش غير ملوثة بالدماء . واذا رجعنا بالقارىء الى العلل والاسباب لم نجد في الامر ما يحمل على الاستغراب فان الامويين منذ اليوم الاول في دولتهم كانوا حرباً ضروساً على العلويين يقتلون فريقاً ويحبسون فريقاً ويسدون منافذ الثروة على فريق ثالث . وكانوا يطلقون السنة الخطباء باللعين الجائر الجارح على أعواد المنابر ويشجعون الشعراء من المسلمين أو من النصارى على تمجيد بيت امية والنيل من آل علي بما لا تتسع له هذه العجالة . ولم يكن بنو العباس في المشرق ولا بقية الامويين في الاندلس بأهون ظهراً ولا أيسر اعنائاً من هؤلاء . لذلك بقي ائمة الفاطميين ودعاتهم مطاردين في كل مكان مأخوذة عليهم المسالك متقطعة بهم السبل ولم يكن الى النجاة منفذ إلا الاستتار والاختفاء .

مضت عليهم القرون الثلاثة الاولى وهم معرضون لسيوف اعدائهم حتى اذا قامت دولتهم ازدهرت بعد الاستتار امامتهم بدأ اعدائهم بسيوف المطاعن يشهرونها عليهم لتغيير المسلمين منهم وأخذوا يحشدون الجموع ويؤلفون المحاضر ومضوا يستكتبون ويستشهدون ويثبون العيون والارصاد ويغروون الكتاب بتسويء سمعتهم عن طريق الاعتقاد أو عن طريق النسب العلوي الا أن التاريخ

الحق لم يفقد منصفين يذودون عن حقيقته وينقذون الأجيال القادمة من خطأ الأجيال الماضية ونحن كما سنبين نرى خصماً للفاطميين . لم تمنعه خصومته من بيان ما يراه وجه الصواب وفصل الخطاب . أما اليوم وقد تحررنا جميعاً من اغلال السياسة الاموية والعباسية والفاطمية فينبغي ان لا نأخذ أقوال المؤرخين قضية مسلّمة منزّهة عن المناقشة والبحث . كما ينبغي ان لا يحملنا احترام القدماء على تقديسهم والقاء وشاح العصمة على كتبهم التي ربما أصابها الف تحريف وتغيير قبل ان تصل الى أيدينا . أقول نحن اليوم في عصر تحررنا فيه من قيود الطبيعة نفسها وأصبحنا نسيرها ونسخر قواها بمشيتنا في البر والبحر والهواء . فعلينا اذاً ونحن بصدد الحديث عن الفاطميين ان نتناول البيان الموجز فيهم وفي نسبهم وفي أديهم بما تعتقد ضمائرنا ويملي علينا بحسنا انه الحق غير مبالين بغضب خصوم الفاطميين في قبورهم ولا متأثرين بما تناقله بعض الكتاب المؤرخين تاركين الحكم بعد ذلك للقراء والحكم الاخير لله

خلافتان

قامت الحرب الدامية بين علي ومعاوية . ولم تقف رحاها الدائرة باقامة الحكيم ولا باغتيال علي ولا بسم الحسن كما يقال ولا بقتل الحسين ومن معه في كربلاء ، وقد وجه ملوك بني أمية وعملهم في البلاد جميع قواهم الى استئصال شجرة العلويين من الدنيا . فكان التقرب اليهم والاتصال بهم والتحدث عن فضائلهم ومناقبتهم جريمة فاضحة يستحق مرتكبوها في نظرهم أن تقطع أرجلهم وأيديهم ورؤوسهم وان يصلبوا على الجذوع والأشجار اياماً بل شهوراً بل أعواماً حتى تسكن الفواخت في اجوافهم وتشبع الطيور الساعبة والوحوش النافرة من لحومهم وعظامهم وينادي من حولهم بأشنع النداء وأشأم الدعاء فاذا مات أحد المسلمين ونقل عنه التشييع بعد موته لحقه الانتقام الى مثواه في البلى فينبش قبره وتهدم داره وينهب ميراثه ويشرد أبناؤه وبناته من بعده ، في فجاج الارض وسفوح الجبال . وكانت الحالة في دولة العباسيين اضعف ما كانت في أسلافهم .

ولهذا قال مروان بن الحكم - لما أخرج حبة الدار قطني - ما كان أحد يدفع عن عثمان من علي فليل لمروان ما لكم تسبونونه على المنابر فقال انه لا يستقيم لنا الأمر الا بذلك وقال الحافظ السيوطي انه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين الف منبر يلحن عليها علي (٤) بما سبه لهم معاوية من ذلك . وفي ذلك يقول العلامة أحمد الحفيظي الشافعي في أرجوزته .

وقد حكى الشيخ السيوطي انه قد كانت فيما جمعه سنة
سبعون الف منبر وعشره من فوقهم يلحنون حيدر

وهذه في جنبها العظام تصغر بل توجه اللوائم
 فهل ترى من سنه يعادى أم لا وهل يستر أو يهادى
 أو عالم يقول عنه نسكت أجب فاني للجواب منصت
 وليت شعري هل يقال اجتهدا كقولهم في بغية أم الحدا
 أليس ذا يؤذيه أم لا فاسمعن ان الذي يؤذيه يؤذي من ومن
 بل جاء في حديث ام سلمه هل فيكم الله يسب منه له
 عاون اخا العرفان بالجواب وعاد من عادى أبا تراب

وفي شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ١٥ روى أبو الحسن على بن محمد بن أبي
 يوسف المدني في كتاب الأحداث . قال كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله
 بعد عام الجماعة ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته
 فقامت الخطباء في كل كور وعلى كل منبر يلغنون علياً (ع) ويبرأون منه
 يقيمون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة
 من بها من شيعة علي فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة فكان يتبع
 الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم أيام علي (ع) فقتلهم تحت كل حجر ومدر
 وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل
 وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية الى عماله
 في جميع الافاق الا يجيزوا لاحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب اليهم
 ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان (رض) ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون
 فضائله ومناقبه فادنوا بحالهم وقربهم وأكرمهم واكتبوا لي بكل ما يروي
 كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل
 عثمان ومناقبه لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع .
 ويفيض في العرب منهم والموالي فكثرت ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل
 والدنيا . فلبشوا بذلك حيناً ثم كتبوا الى عماله ان الحديث في عثمان قد كثر
 وفشا في كل عصر وفي كل وجه وناحية فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى
 الراية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين فلا تتركوا خبراً يرويه أحد من

المسلمين في ابي تراب وإلا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعل فان هذا أحب
 إلي وأقر العينين وادحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد اليهم من مناقب عثمان
 وفضله فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة
 لا حقيقة لها . وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر
 ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتاتيب فعلوا صبيانهم وغلمانهم من ذلك
 الكثير الواسع حتى روه وتعلموا كما يتعلمون القرآن وحتى علموه ابناءهم
 ونساءهم وخدمهم وحشهم فلبسوا في ذلك ما شاء الله تعالى . ثم كتب إلى عماله
 نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا الى من قامت عليه البنية انه يجب عليه
 وأهل بيته فامحوا من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة اخرى
 من أتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء أشد
 ولا أكثر منه في العراق ولا سوا بالكوفة حتى ان الرجل من شيعة علي (ع) ليأتيه
 من يثق به ويدخل بيته فيلقي اليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه
 حتى يأخذ عليه الايمان الغليظة فيتمكن عليه فظهر حديث كثير موضوع
 وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس بلية
 في ذلك الفقراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع النسك فيفتعلون
 الاحاديث ليخطوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا بحالهم ويصيبوا به الاموال
 والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث الى ايدي الديانين
 الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون انها حق .
 ولو علموا انها باطلة لما روهها ولا تدينوا بها فلم يزل الامر كذلك حتى مات
 الحسن بن علي (ع) فازداد البلاء والفتنة ثم تفاقم الامر بعد قتل الحسين (ع)
 وولى عبد الملك بن مروان . فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف
 فتقرب اليه أهل النسك والصلاح والدين بغض علي (ع) وموالاته فاكثروا
 في الرواية في فضلهم ومناقبههم باكثر من الغض من علي (ع) وعيبه والظعن فيه
 والشنآن له حتى ان انساناً وقف للحجاج ويقال انه جد الاصمعي عبد الملك بن
 قريب فصاح به ايها الامير ان أهلي عاقوني فسموني علياً واني فقير بائس وانا
 الى صلة الامير محتاج فتضاحك له الحجاج وقال للطف ما توصلت به وقد وليتك

موضع كذا .

وفي شرح النهج الحديدي . ج ١ ص ٢٩١ ان معاوية بذل لذلك لسمرة بن جنوب مائة الف درهم حتى يروي هذه الآية التي انزلت في علي (ع) وهي قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) وان الآية الثانية انزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى (ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله) فلم يقبل فبذل له مائتي الف درهم فلم يقبل فبذل له اربعمائة الف درهم فقبل وروى ذلك .

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ١٩ ؛ قال ابن عروة - المعروف بنفطويه وهو من اكابر المحدثين واغلامهم - ان اكثر الاحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في ايام بني أمية تقرباً اليهم بما يظنون انهم يرغبون انوف بني هاشم . ويقول الاستاذ أحمد أمين في فجر الاسلام ج ١ ص ٣٥٥ وتلمح أحاديث كثيرة لا تشك وانت تقرأها انها وضعت لتأييد الامويين كالخبر الذي روى ان رسول الله (ص) قال في معاوية « اللهم قه العذاب والحساب وعلمه الكتاب » وكالذي يروي ان عمر بن العاص قال قال رسول الله (ص) ان آل أبي طالب ليسوا لي باولياء » .

وجرى الامر على هذا المنوال في سائر بني أمية وكان الرجل من الشيعة اذا حدث عن علي (ع) لا يجسر على ذكر اسمه فيقول خدثني أبو زينب وبان الحال من الضيق والشدة إلى ان يسمى باسم علي او الحسن او الحسين (ع) الخ ..

وجاءت الدولة العباسية فكان العباسيون أكثر تشدداً على العلويين واضطهاداً وظلماً لهم ولشيعتهم من الامويين . وكانت دولتهم عليهم أدهى وأمر . كما قال الشاعر :

والله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس
(أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٦)

وقال الأمير ابو فراس الحارث الحمداني :

ما ذل منهم بنو حرب وإن عظمت تلك الجرائم الا دوت نيلكم
وقال أحد مخضرمي الدولتين :

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار
(اصل الشيعة وأصولها لكاشف الغطاء ص ٨٨)
وقال الشريف الرضي :

الا ليس فعل الاولين وان علا على قبح فعل الآخرين بزائد
واليك أيها القارئ نوضح لك ما كانوا يعاملون به لا في وقت ظهورهم بل في وقت اختفائهم والشك في أشخاصهم فاذا يلقون هذه المعاملة القاسية فكيف كانت تجري معاملتهم لو كانوا غير مستترين . قال جعفر فلما قبض علينا ونقل القائم عن المهدي (ع . م) الى دار غير الدار التي كان ينزلها المهدي بعث معه المهدي (ع . م) مسلماً ليخدمه ويؤنسه وبقي مع المهدي (ع . م) في الدار التي نزلها أولاً صندل الخادم . قال جعفر وطرحنا نحن في الملبس وانا وطيب وابو يعقوب القهرماني ، وكان المهدي (ع . م) ينفذ صندل كل يوم يعرفه اخبار القائم (ع . م) واخبارنا وينفذ البنا نفقاتنا مع صندل . قال جعفر والمهدي والقائم (ع . م) مبجلان معظمان في منزلها قد هيئها الله عز وجل في عيين سجلة وعظمها في قلبه ، وانما كانت صولته علينا يعذبنا كل يوم بالسوط فأما أبو يعقوب القهرماني فانه أقر بعد ايام . قال جعفر فاذا ذكر اني قلت له في اليوم الذي أقر فيه بعد أن ردونا الى السجن وقد لكته .. يا ابن اللخاء لم أقررت ، فقال له يا خليلي اوجعني والله السوط . قال جعفر فلم يعذب أحداً منهم عذابي لانهم اقرؤا وما أقررت واما طيب فلم يصرح لهم ولكن قال لهم لما طال علينا العذاب يا قوم ان كان قد صح عندكم ما قيل فينا فاقتلونا واربحونا من هذا العذاب الذي نحن فيه . وأما أنا فما وجدوا في حيلة . وكان ذلك مما زادهم علي غيظا . ففرضوني بالسوط وضرؤوا في أظفاري بالقضيب حقناً علي ليجبروني على الاقرار

فثبتني الله بفضلِهِ . قال والله اني لاعرف اني عطشت يوماً في السجن وابطأ عليّ السقا الذي كان يسكب لنا الماء . فدعوت السجناء ورغبت اليه في شربة نحو مائة مرة ، فكان جوابه بعد هذا كله ان رماني بقهر كسر به أسناني فشربت دم في ، ولشدة غيظهم عليّنا حبسونا في خلاء السجن وكنا اذا نمنا نجعل خدودنا لضيق المكان الذي نحن فيه على مرقاة الخلاء الى ان فرج الله عليّنا (من سيرة جعفر بن علي حاجب المهدي الفاطمي ص ١٠٧ لمحمد بن الياني وقد نشرت في مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية في الجزء الثاني من المجلد الرابع ديسمبر ١٩٣٦ ميلادية . إلا ان زعماء الشيعة ثبتوا للموت وغالبوا الفناء وكونوا لانفسهم جماعة قوية بالرجال ، غنية بالاموال لم يمنعها توالي الاتحاد والتفرق في البلاد من اقامة دعوتها وتوحيد كلمتها . والشيعة منذ اليوم الأول يجمعون على الاعتقاد بان خلافة الرسول (ص) يجب ان تكون فرعاً مستمداً من دوحته وامامته ينتقل ميراثها ابدياً في عترته . وما دام الأمر مذهباً وعقيدة فليس من سبيل عندهم الى الثقة والاطمئنان الا بالايامان المعصوم من أبناء فاطمة على أن ما ارتكبه الامويون من لعن على منابر اعدت للعظة والارشاد دوماً استحدثوه في مظاهر الملك مما لا يتفق ومركز الخلافة الدينية الخطير وما اقترفوه من سفك الدماء البريئة وازهاق الارواح وامتهان حقوق الرعية وعدم الاكتراث بالحدود المرسومة . كل ذلك كان يذكي نار التشنيع ويحرض بعض المسلمين على النفور منهم وانتقادهم ما أمكنت القوة وسنحت الفرصة وما دام الشيعة لا يدينون بالسمع والطاعة الا لمن يقوم من أهل البيت . وهم في مركز دقيق يعوزهم فيه القوة والنفوذ فقد كانوا مضطرين بحكم العقيدة الى اقامة الامام . وبحكم الظروف الى مبايعته خفية واداء الزكاة والصدقات اليه سرا . لذلك قام في العالم الاسلامي خلافتان خلافة خفية ترتدي الاثواب الحشنة وتقوم على التنسك والتعليم والتفقه والارشاد . وخلافة ترفل في الحرير والدمقس وتقوم على العظمة والابهة والقصور . خلافة فاطمية علوية توجه دعائها في ازياء التجار بين الحواضر والامصار لبث الدعوة وتنظيم الانصار وتكثيرهم وخلافة اموية أو عباسية تجيش الجيوش وتبعث البعث وتفرض سلطانها القاهر على الافاليم والاقطار .

الاسلامية .

ويظهر ان الامامة الفاطمية او هذه الخلافة المستترة بعبارة أصح أخذت تزداد مع الايام نمواً في الحواضر وتغلغلا في المشاعر وتأثيراً بليغاً حتى في الولاة والوزراء وفي قصور الخلفاء انفسهم . في حين ان قضاء الماليك الاسلامية كان كله مسمماً بالذسائس والجاسوسية التي لم تتم عينها ليلاً ولا نهاراً عن ملاحقتهم وعد الخطوات عليهم والتتقرب الى الحكام على حسابهم . ونستطيع ان نقول ان امامة جعفر الصادق هي التي اتخذت شكلاً جديداً من الهيبة والاجلال واصبحت محاطة بالاحترام والتقدير . وتمتعت بمركز ديني يقض على الخلفاء الآخرين مضاجعهم ويملا عروشهم ذعراً وارتياحاً . ويهز مقاعد الخلفاء هزاً عنيفاً فأصبحوا يحسبون لهذه الامامة الف حساب ويضاعفون لها ولاشباعها التنكيل والعذاب . ولكنك ستري ان مسلك جعفر الصادق كان الى حد ما يجعله هو واشياعه بمنجاة من تناول هذا الطغيان الذي لم تخمد جذوته ساعة من ليل او نهار . فقد اتخذ المدينة وطناً وكان بعدها عن حاضرة الخلافة يفسح مجال الحرية لنشر الدعوة وايفاء الرسل وانفاذ الكتب والرسائل وتمكين الصلات في الكوفة واليمن وغيرها . وانت تعلم ان المدينة في ظل الحرم النبوي كانت تتمتع بمكانة دينية استطاع جعفر الصادق ان يزداد بها نفوذاً الى ان شخصيته كانت تحمل العظمة الساحرة والجاذبية الفائقة والسياسة الرشيدة وكان له في الابحاث الكلامية والفروع الفقهية منزلة لا تسامى وغاية لا تدرك .

وقد جاء في مناقب ابن شهر اشوب ما يلي :

جاء أبو حنيفة ليسمع منه (الصادق) وخرج أبو عبدالله يتوكأ على عصا فقال له ابو حنيفة يا ابن رسول الله ما بلغت من السن ما تحتاج معه إلى العصا . قال هو كذلك ولكنها عصا رسول الله (ص) أردت التبرك بها . فوثب ابو حنيفة وقال له اقبلها يا ابن رسول الله فحسر ابو عبدالله عن ذراعه وقال له والله لقد علمت ان هذا بشر رسول الله (ص) وان هذا من شعره فما قبلته . وتقبل عصاه .

وفي حلية الاولياء لأبي نعيم الاصفهاني . حدثنا عبد الله بن محمد ثنا سعيد بن عيسى ثنا عمرو بن جميع ، قال دخلت على جعفر بن محمد أنا وابن أبي ليلى وأبو حنيفة فقال لابن أبي ليلى من هذا الذي معك فقال هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين . قال لعله يقيس أمر الدين برأيه قال نعم . فقال جعفر لابني حنيفة ما اسمك فقال نعمان . قال يا نعمان هل قست رأسك بعد ؟ قال كيف أقيس رأسي ؟ قال أراك تحسن شيئاً ؟ هل علمت ما الملوحة في العينين والمرارة في الاذنين والحرارة في المنخرين والعذوبة في الشفتين ؟ قال لا : قال ما أراك تحسن شيئاً فهل علمت كلمة أولها كفر وآخرها ايمان ؟ فقال ابن أبي ليلى يا ابن رسول الله اخبرنا بهذه الاشياء التي سألتك عنها فقال اخبرني أبي عن جدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله تعالى بمنه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لانهما سمحتان ولولا ذلك لذابتا . وان الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الاذنين حججاً من الدواب فان دخلت الرأس دابة والتمست الى الدماغ فاذا أذاقت المرارة التمسست الخروج . وان الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق لهما الريح . ولولا ذلك لأتنت الدماغ . وان الله تعالى بمنه وكرمه ورحمته جعل لابن آدم العذوبة في الشفتين يحدهما استطعام كل شيء ويسمع الناس بهما حلاوة منطقته . قال فاخبرني عن الكلمة التي أولها كفر وآخرها ايمان . فقال اذا قال العبد لا إله فمقد كفر فاذا الا الله فهو ايمان . ثم أقبل على أبي حنيفة فقال يا نعمان حدثني أبي عن جدي ان رسول الله تعالى صلى الله عليه وآله وسلم قال : اول من قاس أمر الدين برأيه ابليس . قال الله تعالى له « اسجد لأدم » فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . فمن قاس برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بابليس لانه تبعه بالقياس . وروى أبو نعيم في الحلية قال : حدثنا محمد بن علي ابن حبيب ، حدثنا أحمد بن زنجويه ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا محمد بن عبد الله القرشي بمصر ، ثنا عبد الله بن شبرمة قال دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد وذكره مثله ثم قال زادنا بن شبرمة في حديثه : ثم قال جعفر أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا ؟ قال قتل النفس قال فان الله عز وجل قبل

في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا الاربعة . ثم قال أيهما أعظم الصلاة ام الصوم ؟ قال الصلاة . قال فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فكيف ويحك يقوم لك قياسك . إتق الله ولا تقس الدين برأيك .

وروى هذا الحديث الشيخ ابو جعفر الطوسي في اماليه . وصاحب الروضة باسنادها وفي روايتها زيادة عن رواية الحلية (قال) في بيان علة قبول الشاهدين في القتل وعدم قبول اقل من اربعة في الزنا ، مع ان القتل اعظم ، ان الشاهد على الزنا شهده على اثنين وفي القتل على واحد ، لأن القتل فعل واحد والزنا فعلاً . وقال في علة قضاء الحائض الصوم وعدم قضائها الصلاة مع كون الصلوة اعظم : لانها تخرج الى صلاة فتداولها ولا تخرج الى صوم (يعني ان الصلاة تكون دائماً والصوم لا يكون إلا في السنة مرة) ثم قال المرأة أضعف أم الرجل . قال المرأة قال فما بال المرأة وهي ضعيفة ، لها سهم واحد والرجل وهو قوي له سهمان . ثم قال لان الرجل يجبر على الانفاق على المرأة ولا تجبر المرأة على الانفاق على الرجل . ثم قال البول اقدر أم المنى ؟ قال البول قال يجب على قياسك ان يجب الغسل من البول دون المنى . وقد اوجب الله الغسل من المنى دون البول ثم قال لأن المنى اختياري ويخرج من جميع الجسد ويكون في الايام والبول ضرورة ويكون في اليوم مرات . قال ابو حنيفة كيف يخرج من جميع الجسد والله يقول « يخرج من بين الصلب والترائب » فقال ابو عبد الله : فهل قال لا يخرج من غير هذين الموضعين ؟ ثم قال لم لا تحيض المرأة اذا حبلى ؟ قال لا ادري . قال حبس الله الدم فجعله غذاء للولد . ثم قال ما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة ثم سافرا وجعلا امرأتها في بيت واحد ، فسقط البيت عليهم فقتل المراتين وبقي الغلامان . أيهما في رأيك المالك وأيها المملوك ؟ وأيها الوارث وأيها الموروث ؟ ثم قال فما ترى في رجل اعمى فقأ عين صحيح وأقطع قطع يد رجل كيف يقام عليها الحد ؟ ثم قال واخبرني عن قول الله تعالى لموسى وهارون (ع) حيث بعثهما الى فرعون لعله يتذكر أو يخشى لعل منك شكاً . قال نعم قال وكذلك من الله شك إذ قال لعله ؟ ثم قال واخبرني عن قوله تعالى

« ومن دخله كان آمناً » أي موضع هو قال بيت الله الحرام فقال نشدتكم بالله هل تعلمون ان عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنوا القتل قال فاعفني يا ابن رسول الله . قال فأنت الذي تقول سأزل مثل ما أنزل الله قال اعوذ بالله من هذا القول . قل اذا سئلت فما تصنع قال اجيب عن الكتاب أو السنة أو الاجتهاد . قال إذا اجتهدت من رأيك وجب على المسلمين قبوله ؟ قال نعم . قال وكذلك وجب قبول ما أنزل الله فكأنك قلت أنا أنزل مثلما أنزل الله (هـ) .

وقال ابن شهر آشوب في المناقب : ذكر ابو القاسم البغاري في مسند ابي حنيفة قال الحسن بن زياد سمعت ابا حنيفة وقد سئل من افقه من رأيت ؟ قال جعفر بن محمد ، لما أقدمه المنصور بعث الي فقال ان الناس قد فتنوا بجعفر من محمد ، فبيء له من مسائلك الشداد فحيأت له اربعين مسألة ثم بعث الي ابو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه فلمّا بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر فسلمت عليه فأومأ الي فجلست ثم التفت اليه فقال ابا عبد الله هذا ابو حنيفة قال نعم اعرفه ثم التفت الي فقال التقي علي ابي عبد الله من مسائلك . فجعلت القي عليه ويحييني فيقول انتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا . فربما تابعت وربما تابعهم وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أدخل منها بشيء ثم قال ابو حنيفة أليس أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس .

وفي كتاب المصايد والمطارد لكشاجم وفي مرآة الجنان لبياضي ان جعفر الصادق سأل أبا حنيفة فقال ما تقول في محرم كسر رباعية ظني فقال يا ابن رسول الله ما اعلم ما فيه فقال لم أنت من الدهاة ولا تعلم ان الظبي لا يكون له رباعية وهو ثنى ابدأ . قال يعني من الدهاة في قوة الفهم وجودة النظر (اهـ)

وفي كنز الفوائد للكراجكي . ذكروا ان أبا حنيفة أكل طعاماً مع الامام الصادق جعفر بن محمد فلما رفع الصادق يده من أكله قال . الحمد لله رب العالمين اللهم هذا منك ومن رسولك فقال ابو حنيفة يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً؟ فقال له ان الله يقول في كتابه (وما تقموا لأن أغناهم الله ورسوله من فضله)

ويقول في موضع آخر (ولو انهم رضوا ما أنامهم الله ورسوله من فضله) ويقول في موضع آخر (ولو انهم رضوا ما أنامهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله) فقال أبو حنيفة والله كأي ما قرأتها قط من كتاب الله وسمعتها الا في هذا الوقت .

أما صفاته الشخصية فهي التقوى والورع بكل ما في معنى هاتين الكلمتين وقد جاء عن كتاب سوق العروس عن الدامغاني انه استقبل جعفر الصادق عبد الله بن المبارك فقال :

أنت جعفر فوق	المدح والمدح غناء
انما الاشراف أرض	ولهم انت سماء
جاز حد المدح من قد	ولدته الانبياء

وقال :

الله أظهر دينه	وأعزه بمحمد
والله أكرم بالخلافة	جعفر بن محمد

قال أبو الحسن الوشاء لبعض أهل الكوفة : ادركت في هذا الجامع (يعني مسجد الكوفة) أربعة آلاف شيخ من أهل الورع والدين كل يقول حدثني جعفر بن محمد (أصل الشيعة وأصولها لكاشف الغطا ص ٩٩) فقلما كان يرى بالنهار الاصناماً أو بالليل الاقائم . وهو بينها كثير التبتل والاناة . كثير النصح والافادة . يقصده الراغبون في بحر علمه أو بحر نواله فلا يمل حتى يمل السائلون . بل كان بنفسه يتردد الى الفقراء خفية ويصل أراذلهم وأيتامهم متنكراً في حندس الليل . يطوف على خيام الاغراب حاملاً اليها البر والاكرام . ولم يستطع هؤلاء ان يعرفوا من كان يحسن اليهم الا حين انقطع الاحسان بوفاته . وناهيك به من رجل كان ابو حنيفة من قصاده والكميت من شعرائه وعامل المدينة من أتباعه وجابر بن حيان مخترع الكيمياء من تلاميذه .

هذه هي الصورة التاريخية التي قدم اليها جعفر والحق ان آثاره

تعد كنزاً طريفاً بين كنوز الاسلام . وربما كان هو أول زعيم امتياز بفلسفة غميقة وآراء في الكلام والفقه لم تكن معروفة ولا معهودة . ولولا ان عظمتها كانت محجوبة الاشراق بطغيان الظروف السياسية لكان لمؤرخ الفلسفة وعلماء الفقه في تدوين آثاره شأن غير هذا . وكان الحديث عن جعفر يسبق الحديث عن ابن سينا والفارابي والاشعري والماتريدي والبصري وغيرهم وقد يكون لنا موقفاً آخر نوفي به هذه الشخصية حقها في غير هذه المقدمة المجملية . فلعل الذين عرفوا سقراط في أساليبه التي كانت تقوم على منهج السؤال والجواب . ولعل الذين عرفوا أفلاطون في فلسفته الروحية وطرائق بحوثه النفسية سيجدون في الاسلام هذه النواحي وأكثر منها عندما يقفون على أساليب جعفر ومواقفه في الجدل والنقاش والحوار حيث يقف الخصوم أمامه مبهورين ويحيلهم أشياء يتسارعون الى رفع علمه والسير على قدمه وكثيراً ما حاولوا ان ينفذوا اليه بأخذ علمي أو يصلوا من حجته إلى خذلان واضعاف ولكنهم تصاغروا جميعاً وتضاءلوا عن هدم ذلك الجبل الاعصم . وقد ارتعدت فرائص الخليفة العباسي لهذا المنافس الخطير . نعم تسمع المنصور العباسي بأن في المدينة الامام جعفر يزدد على الايام تمكناً في القلوب وشهرة في الشعوب يؤدي اليه أهل الكوفة الزكاة ويتوسل غيرهم به الى الله . ولم يكن من الحكمة السياسية يومئذ ان يجاهره بالنقمة خوف عواقب الثورات فتحين الفرصة عند زيارة المدينة بعد الحج وأراد الايقاع به . والحاقه بقائمة القتلى من أسلافه الشهداء . لان مصانعته انتصرت على المنصور وحولت ذنبه الكاسر الى حمل وديع وجمرته الملتبها الى نسيم عليل . وقد جاء في مطالب السؤول : حدث عبدالله بن الفضل بن الربيع عن أبيه . قال حج المنصور سنة ١٤٧ فقدم المدينة وقال للربيع ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً قتلني الله ان لم أقتله . فتغافل الربيع عنه لينساه . ثم أعاد ذكره للربيع وقال ابعث من يأتينا به متعباً فتغافل عنه . ثم أرسل الى الربيع رسالة قبيحة اغلظ له فيها وامره أن يبعث من يحضر جعفرأ ففعل . فلما أتاه قال الربيع يا أبا عبدالله اذكر الله فانه قد أرسل اليك بما لا دافع له غير الله . فقال جعفر لا حول ولا قوة الا بالله . ثم ان الربيع

أعلم المنصور بحضوره فلما دخل جعفر عليه أوعده وأغلظ له وقال اي عدو الله اتخذك أهل العراق اماماً يحبون اليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل قتلني الله ان لم اقتلك فقال له يا أمير المؤمنين ان سليمان (ع) أعطى فشكر، وانت ايوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت من ذلك السنخ . فلما سمع ذلك المنصور منه قال له إليّ وعندي أبا عبدالله . انت البريء الساحة السلم الناحية القليل الغائلة . جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الارحام عن أرحامهم ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه . ثم قال عليّ بالطبيب فأوتي بالغالية فجعل يغلف لحية جعفر بيده حتى تركها تقطر . ثم قال قم في حفظ الله وكلماته . ثم قال يا ربيع الحق أبا عبدالله جائزته وكسوته . انصرف أبا عبدالله في حفظه وكنفه . فانصرف . قال الربيع لحقته فقلت له إني قد رأيت قبلك ما لم تره . ورأيت بعدك ما لا رأيته . فما قلت يا أبا عبدالله حين دخلت . قال قلت :

« اللهم احرسني بعينك التي لا تنام . واكنفي بركنك الذي لا يرام . واغفر لي بقدرتك عليّ ولا اهلك وأنت رجائي . اللهم أنت اكبر وأجل مما أخاف واحذر اللهم بك أدفع في نحري واستعذ بك من شره .

لقد رأى جعفر ان ظهور الأئمة يعرض شيعتهم واتباعهم لأخطار فأحصى سنة قديمة تبقى معها الدعوة والإمامة بمأمن من الغوائل . وقوام تلك السياسة ان يتحصن الأئمة بالاستتار ودعاتهم بالتمية . وسنرى كيف استطاعت هذه السياسة ان تحيا وتنمو وتؤتي ثمارها . وسنرى ان ترك المجاهرة بالامامة أتاح للدعاة فرصة يتسللون منها الى القلوب رويداً رويداً . ويجمعون الانصار قليلاً قليلاً في كل صقع من اصقاع المشرق والمغرب حتى اتسع لهم النفوذ ودان لهم السلطان ردهاً من الزمان . وإذا كانت الحرب خدعة . وإذا كان الدهاء بلغة السياسيين هو الحكمة بلغة المتشرعين . اذا كان ذلك كله من الاساليب التي كان لها فضل عظيم في الفوز والانتصارات في ادوار مختلفة من التاريخ . فان جعفرأ كان في هذا الضرب من التسليح نسيجاً وحده . وذلك انه ستر ولده

اسماعيل وصيه ووارثه الاول وأكثر من ذلك وأغرب انه اعلن موته وشيع جنازته واشهد العمال والامراء على وفاته واستكتب شهادتهم واقام الحجة عليهم ثم رأى الناس بعد ذلك اسماعيل يلقي دروساً بالعراق . ثم يتأكد لك صواب نظر جعفر عندما تعلم انه قد مات مسموماً وان تحصنه بالمدينة والتفاف الناس حوله لم يمنع من وصول سهام المكيدة الى حياته . وقد نسج بوصيته عند الاحتضار على الوصاية ستاراً فوق ستار . والقي على شمسها ضباباً فوق ضباب . وزاد المتطلعين اليها والمتربصين بها حيرة وارتباكاً فقد انقضى بوصيته في الفضاء وتركها كالملك المشاع او انه ابتكر طريقة ضحك بها ضحكة عالية على خصومه لم يسمعوها الا بعد أجيال . فقد أوصى بالامامة من بعده لغير واحد . اوصى لعدد من اولاده . بل اوصى بعامل المدينة بل أوصى للخليفة المنصور نفسه وبذلك اختفى الأئمة وصياً بعد وصي الى ان حان وقت اعلان دعوتهم .

وروى الكليني وغيره بالاسناد عن أبي أيوب الجوزي قال بعث الي ابو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة . وفي يديه كتاب . فلما سلمت عليه رمى الكتاب الي وهو يبكي وقال . هذا كتاب محمد بن سليمان (والي المدينة) يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات فانا لله وانا اليه راجعون ثلاثاً . وأين مثل جعفر ثم قال لي اكتب . فكتبت صدر الكتاب ثم قال اكتب ان كان اوصى الى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه فرجع الجواب اليه ان اوصى الى خمسة . أحدهم ابو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى ابني جعفر وحيدة . فقال المنصور ليس الى قتل هؤلاء . سبيل . الخ (أعيان الشيعة ج ٤ ص ٦٦٤) .

ثم قام بعده اسماعيل بن جعفر الصادق بمحمد بن اسماعيل وقد خرج دعااته وحججه الى اليمن ومن اليمن الى الشرق والغرب وهم . عبد الله بن مبارك . وعبد الله بن ميمون وعبد الله بن حمدان . ويقال بن مسلم . وعبد الله بن جعفر الخ . (من كتاب الفترات والقرانات لداعي دعاة المعز لدين الله جعفر بن المنصور اليمن المخطوط بدار الكتب الاعظمية) .

أدوار الامامة

المتطلع على المسائل الفقهية عند الشيعة وما مر من الحوادث برجالها على تعاقب أجيال التاريخ يلاحظ ان العمل بالتقية أمر لم يكن منه بد في الظروف القهرية عندما يشتد جور الحكم وعسف الظلام . إذ هي الطريق الوحيد الى النجاح والجمع بين حفظ العقيدة وحفظ الحياة . وهذه التقية ترجع الى عصور بعيدة حتى في سير الأنبياء . فقد اختفى موسى عليه السلام عن فرعون ، وفي هجرة الرسول عليه السلام ومبيت علي في بردة الاخضر على سريرته وفي موقف عمار بن ياسر موقفاً يرضي الكفار عند اكراهه على الكفر . وفي تنحي الحسن ابن علي عن الخلافة حقناً للدماء وصيانة للارواح . في كل ذلك ما يسوغ العمل بالتقية . الا أن الامام جعفر هو الذي نظم أساليبها واحكم سياستها وبين للائمة والدعاة طرقها . ولولا ابتكاره هذه السياسة لكان هو آخر امام من أهل البيت . ولما قامت للامامة من بعده دولة . وطبقاً لمقتضيات هذه الخطة الجديدة فقد كان للامامة دوران أولاً دور الاستئثار وذلك حين كانت الدولة العباسية منيعة الجانب واسعة النفوذ والسلطان في جميع الامصار الاسلامية . وكان عمالها يدينون لها بالسمع والطاعة . وهي تصول بقوة السيف لارهاب العامة . وبقوة العلم والمال لارضاء الخاصة والاجتماع على كسر شوكة المعارضين . ثانياً دور الظهور وذلك عندما تحلل كيان هذه الدولة الى أعضاء منفصلة وانقسم ذلك الملك

الشامخ الى دويلات وممالك يقتتل سلاطينها ويتنافس رؤساؤها . وقد استقل
عن الخلفاء كثير منها ولم يبق لهم من النفوذ الا الاسم . وارسال بعض الاموال
اليهم . وأصبحت كل مملكة فيها أمير المؤمنين ومنبره . وأما دور الاستتار
فتمحدثنا المراجع التاريخية الخاصة أن الإمام جعفر هو الذي عقد بالخلافة لحفيده
محمد بعد غيبة اسماعيل . واستكمل له من الدعاة رجلاً عزيز العلم وافر الاطلاع
عظيم الاخلاص ، ذلك هو ميمون القداح . فان محمداً كان إذ ذاك ما يزال ناشئاً
في بُرد الصبا حتى اذا بلغ أشده وكملت رجولته سلمت اليه مقاليد الامر .

ثم كانت الإمامة من بعده لعبدالله ولده الذي بالغ في الاختفاء والاستتار
حتى عن أخص دعائه وأتباعه .

وكان المتغلبون من بني العباس يطلبون من يشار اليهم بالأمر حسداً
وتكبراً على أولياء الله . فأوجب ذلك استتار الأئمة . وكنى الدعاة على اسمائهم
تقية عليهم بما هو فيهم ويليق بهم حتى قالوا ان الامام من ولد محمد بن اسماعيل
عبدالله وهو كما قالوا ابن الميمون القداح قداح الحكمة الخ (من كتاب الفترات
والفرانات ص ١٠٧) . وفي الصفحة ٣٤ من الكتاب المذكور : فسموا الأولياء
(أي الأئمة) بهذه الأسماء بأسماء جدودهم . لأجل المحنة ودور الاستتار . وإنما
بالغوا في الكلام ليشتبه على اولي العمى . وكتبوا حروفهم مقطعة الخ .

وقد جاء في كتاب استتار الإمام ص ٩٣ مايلي : اعلم علمك الله الرشد انه أول ما فقد
الامام عليه السلام وبقي الدعاة متحررين اجتمع وجوههم بمدينة عسكر مكرم .
وهم سبعة نفر منهم أبو غفير وابو سلمة وابو الحسن بن الترمذي وجياد بن
الحشعمي وأحمد بن الموصلي وأبو محمد الكوفي ، وهو والد أبي مهزول الذي
قتل موالي موالينا أهل البيت صلوات الله عليهم . ولما اجتمع هؤلاء نفر
المذكورون قالوا : قد فقدنا امامنا . ولا صلاة لنا ولا صوم الا بالامام . ولا
نعرف من نعطي زكاتنا . واجتمعوا مع الاولياء والمحبين . فجمعوا نفقات وقالوا
لهؤلاء الدعاة المذكورين في صدر الكتاب : امضوا فافترقوا على عمل خراسان .

والعراق وجزيرة حران واليمن واطلبوه . فخرجوا فافترقوا مع كل واحد
صفته وحليته ، وخرجوا في هيئة الطوافين على دوابهم اخرجوا فيها الفلفل
والريحان والمغازل والمرايا واللبان وما يصلح للنساء من أصناف السقط ، وجعلوا
بينهم موعداً يجتمعون فيه في كل إقليم على أقسام لكل واحد منهم قسم ينضي
اليه ، فاذا فرغوا من الاقليم اتوا الى الميعاد فيسأل بعضهم بعضاً هل أصبتم شيئاً .
فاذا لم يجدوا في ذلك الموضع شيئاً انتقلوا الى اقليم آخر فيتواعدون الى موضع
آخر يجتمعون فيه . وكان إذا اجتمع عليهم النساء والصبيان يسألونهم : هل
وقع عندكم رجل من صفته كذا وكذا ؟ كان هذا حالهم في كل موضع دخلوه ،
فداروا حلب واقليم الجزيرة وغيرها . فلم يجدوا شيئاً فدخلوا اقليم حمص فنزلوا
بمعرة النعمان وجعلوا الميعاد بينهم في الجامع ، وكان الامام عليه السلام قد وقع
في معرة النعمان في جبل السماق في دير يقال له دير عصفورين عند كفرقوم .

فخرج أبو غفير ومعه جياذه الى معرة النعمان في جبل السماق ، وهو ينادي
مغازل لبان مرايا « فاجتمع اليه النساء والصبيان فسألهم هل وقع رجل صفته
كذا وكذا ؟ فقال له صبي وامرأة هب لنا بما معك ونحن ندلك على هذه الصفة
فوهب لهم مصطكي ولبان وما يصلح للنساء والصبيان وقالوا له الساعة جزنا
بدير عصفورين وغلामه واقف على رأسه فقال لهم أبو غفير الله الله دلوني على
الطريق الى هذا الدير ، فركب حماره ومضى حتى وصل الى الدير واخرج
الكتاب الذي معه وفيه الصفة والحليّة . ولم تكن له معرفة قبل ذلك . ولما
وقف عليه عرفه بالصفة فنزل وخر لله ساجداً شكراً له اذ وقع عليه وقبل
الارض بين يديه فقال له من تكون ؟ فقال له أنا فلان ابن فلان ، ونحن سبعة
من البداة ، لنا اليوم سنة ندور عليك لما فقدناك ، ودعائك في جميع البلدات
افتقدوك وبقوا حائرين . فقال يا هذا انما جئت الى هذا الموضع لاستر نفسي
فيه ، فجئتم لتكشفوني . ولكنك بعد اذ جئت واجتمعت معي فارجع وعرف
اصحابك ليحيئوا اليّ بأجمعهم فاجتمع معكم لاعدد عليكم ما ترجعون به ان شاء
الله تعالى . فخرج أبو غفير فرحاً مسروراً فاجتمع مع اصحابه وفرحوا بذلك

فرحاً شديداً، ففضوا بجبايعهم الى دير عصفورين فاجتمعوا معه صلوات الله عليه، فقال لهم ارجعوا وقولوا لدعائي انا قد أصبنا في موضع كذا . فمضى هؤلاء السعة فأعلموا جميع الدعاة في جميع الآفاق .

وأتى هؤلاء الدعاة إلى محمد بن عبد الله بن صالح (باني سلمية) فقالوا له ان ههنا رجلاً بصرياً من التجار يسألك فيما يسألك به هؤلاء التجار . فأمرهم أن يطلبوا موضعاً يصلح له ، وفرح به وأنزله في مجرى المدينة في ناحية سوقها ، فاشترى له دار أبي فرحة ونزل (ع.م) بسلمية كسائر التجار . فلما نزل بها زاد دوراً كثيرة وهدم وبنى وتأهل وأتى اليه طوائفه ودعائه وأحدث قصرأ شامخاً .

وهو عبد الله الأكبر (ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) وبعث دعائه الى جميع البلدان سراً وعزل وولى على انه رجل تاجر ، وولد له بها احمد و ابراهيم وتوفي وكانت الامامة بعده لاحد دون ابراهيم . وبقيت الامامة في عهده ومن بعده ناضرة زاهرة في خفض من العيش ونعمة من الدنيا وحياطة من الحاشية والحشم . يرأسها الاتباع والانصار وتؤاتيهما الذخائر والهدايا . على حين كانت سياسة الائمة تقوم على حسن المعاملة ولطف المجاملة مع العشراء والجيران حتى مع من يفد الى سلمية من عمال بغداد . وقد كانوا يحسبون الف حساب لسطو اعدائهم المغيرين ولا يأمنون غوائلهم فاحتقروا السرايب التي يبلغ طولها اثني عشر ميلاً تسير من تحتها (الجمال محملة بنفائس الاموال) . ثم تدفن تلك كنوز تحت ابنية القصور وتحت البرك المرصوفة التي لا تنضب منها المياه صيفاً ولا شتاء وكذلك تحت الأشجار والنخيل كل ذلك للاهمام على اللصوص والمغيرين.

قال وكانت الاموال والذخائر تحمل اليه من كل بلد من قبل الدعاة الى سلمية ، قال وكان الامام قد حفر سرداباً في الارض من الصحراء الى جوف داره سيرة طوله اثنا عشر ميلاً ، وكانت الاموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل وتنزل فيه بأحمالها عليها حتى تحط في داخل الدار ، وتخرج في الليل ويغمي على باب السرداب بالتراب فلا يدري به أحد . وكانت وال عظيمة حتى يقال انه ما كسب المهدي قدس الله روحه بعد ان فتح الله

له الانحواً مما خلف بسلمية^(١) . قال ثم دعا المهدي (ع.م) محمد بن عزيزة وقال نحن نسير بالبعثة على بركة الله وعونه ، فارجع انت الى سلمية واجمع لك من قدرت عليه من الغوغاء والعوام وخذ بيدك فأساً وافرق عليهم ما استطعت من الفؤوس وسبنا لكل ما تقدر عليه ، وانسب اننا كل قبيح واحمل العامة على هدم دورنا، فاذا صح لك ذلك فاعمل على أن تقلب العلو على البركة التي تحته حتى لا يتبين لها أثر ولا يعرف لها خبر ، فاذا فرغت من ذلك فاخرج بهم الى النخلة التي على باب المدينة ، فاقطعها واظهر لهم ان تحتها كانت تعقد العقود وليتم لك قطعها ، فاذا فرغت من ذلك كله فأقم حتى يرد عليك أمري بالقدوم علي في الوقت الذي يصلح فيه قدومك ان شاء الله .

قال جعفر : والسبب في ذلك أن الامام (ع.م) كان قد حفر بركة ورصها واتقنها وملأها أموالاً ثم رص فوقها وبنى عليها بركة أخرى على قدرها وأجرى اليها الماء . فكان لا يبرح الماء منها شتاء ولا صيفاً ، وكان أكثر جلولاً عليها . قال وسبب قطع النخلة ان أموالاً أتت الامام (ع.م) في الليلة حسب ما كانت يرد عليه ، فغلط من قدم بها بباب السرداب فلم يذكره حتى قرب من باب المدينة فلما خشي ان يفضحه الصبح دفن الاموال التي قدم بها تحت النخلة التي بقرب باب المدينة أو من سور المدينة .

وقد حرص الفاطميون على هذه السياسة المالية جهد طاقتهم . فلم يملأوا الأموال ولم يسرفوا فيها . بل تسلموها واستفادوا منها . وكانوا على اختلاف نزعاتهم معروفين بالثروة الطائلة ولانبالغ اذا قلنا انهم كانوا أغنى ملوك عصرهم . وسرى في الاموال التي جهز بها جعفر وفيما وعته خزائنها من كنوز اللآلئ والجواهر ما يدلنا على مبلغ هذا الثراء العظيم والى ان ضعف أمر الفاطميين في مصر كانت ثروتهم من القوة والوفرة بما لا متسع لحسابه او عده . ومن هذه الاموال استطاع صلاح الدين أن يجهز الجيوش العظيمة بالمؤونة والسلاح . وبفضل هذه الاموال الفاطمية اتيج له أن يوجه الضربة القاضية على الصليبيين فيحطم

(١) من كتاب استتار الامام صحيفة (١٠٨)

شوكتهم ويقضي على آمالهم القضاء الاخير . وسحبك ان تعلم ان وزير الخليفة العزيز بالله يعقوب بن كلس كان يتقاضى في كل سنة ما قيمته أكثر قليلاً من خمسين الف جنيه مصري لتدرك ما كان لديهم من الكنوز والثروة وخزائن الاموال التي فاقت العد وتجاوزت الحساب .

واذا كان الخلفاء في بغداد قد تضاعل شأنهم وأصبح أمرهم في يد الأتراك وانحصر نفوذهم في العراق فهم على اي حال لم يكونوا يدخرون سهماً في كنانتهم دون أن ينفذوا إلى الفاطميين في مخابثهم ومكائهم حيثاً اختبأوا وايناً أقاموا . ولو كان الأمر أمر بغداد لكان الخطب (ولكنه هم وثان وثالث) فقد نجم عن هؤلاء الائمة من ابناء دعائهم واصفياء دعوتهم عدو قوي الخصومة عنيف العداوة بارع الحيلة خطير الشأن . والعدو القريب يكون دائماً أعلم بالمقتل واعرف بالمكمن وادري بالحصوم والانصار على السواء وذلك هو أبو مهزول القرمطي ابن أبي محمد، داعي الكوفة . والحديث عن أبي مهزول يسلك بنا في شعاب التفاصيل التي تلتوي بهذا المقدمة عن طريقها المحدودة ولكن لا مناص لنا من وقفة تأمل أمام هذه الشخصية الشاذة العجيبة . فقد استطاع ابو مهزول ان يفتك بدعاة المهدي وهو أعلم بهم . بل استطاع ان ينفذ الى سلمية فيقتل الهاشميين ويدع بيوتهم خاوية وأجسادهم عارية تأكلها السباع الضارية .

ولما وصلت كتب الهاشميين التي كانت مع ابن ابي الأغر على انه يوصلها الى المعتضد ، قال له جميع الدعاة اذا كان الامر على هذا وقد فعلوا ما فعلوا فشانك بهم فوجه (أبو مهزول) في طلبهم الخيل . فأثروا بهم وهم احمد بن محمد وابراهيم بن محمد وصالح بن محمد وفضل بن عبدالله وعباس بن عبدالله وبلهجة بن عبدالله وجماعة الهاشميين ، وكان جملة عددهم خمسة وتسعين شيخاً ، وقفوا بين به وقالوا له لأي شيء وجهت في طلبنا ، فدفع اليهم الكتب وقال أليس هذه نسبك وخطوطكم بأيديكم كتبت بها الى المعتضد تلتصرون به بوجه الينا بالعساكر فقال أحمد بن محمد وكان لسان القوم : قد فعلنا ذلك ولكن عفوك يلحقنا . قال ابو مهزول لعنة الله لاعننا الله عني ان عفوت عنكم ، وامر بهم ان يجرؤوا

بكتبو لهم الى باب اليهود ، وأمر رجلاً كان يهودياً اسلم على يديه من أهل تدمر ان يضرب رقابهم . ولما كان من الغد بعث خييل العسكر الى دورهم فأحرقوا النساء والصبيان والبنات والاطفال ، وكان عدد من فعل ذلك به مائة واربعين نفساً ، فقتلوا كلهم ونادى في جميع اهل سلمية ان لا يدفن منهم أحد ولا يستر ، ومن سترهم أو غطاهم لزمه عقوبة . فبقوا كذلك حتى أكلتهم الكلاب والطيور . وقد جاء في (كتاب استتار الامام ص ١٠١) ما يلي :

وأمر (أبو مهزول) أن يطيب له الحمام . فدخل الى المدينة على بغلة مزورة من الباب الشرقي ومعاه نحو الف فارس ، وكان طريق الحمام على باب المهدي (ع.م) ، فدخل الحمام وخرج وارى انه خارج الى العسكر حتى جاز ووقف على باب القصر . وكانت جارية المهدي (ع.م) معها ولد يقال له محمد ، فهربت مع داية هذا الصبي لما أحست أن الفاسق دخل من باب القصر الكبير خرجت من الخوخة بولدها ، وكانت هذه الجارية يقال لها « لعب » قديمة بالقصر لانها كانت للشيخ محمد بن احمد ، ثم صارت للمهدي (ع.م) من بعده . فهربت فرأى محمد بن عزيزة فكان عارفاً بها ، فقال للذي كان معه هذه جارية الشيخ هاربة خائفة ، فتبعها ومعها خمسة نفر . فقال لها : أين تريدن يا لعب ، فقالت له يا محمد انا ريدناك أنت وأباك ودخلت علينا ، وهذا الرجل قد دخل قصرنا وليس نعلم ما يريد بنا ، فاسترنا فانه لم يعرف بي احد غيرك . فقال هاتي جميع ما معك من الحللى وامضي لشغلك ، فأعطته جميع ما معها من الحللى ومضت حتى دخلت دار رجل من التجار يعرف بابن أبي مصحف فقالت له يا محمد استرني ، فقال لها ادخلي ان كان لم يرك أحد ، وعرفته ان الفاسق قد دخل القصر . وكان قد تبعها أحد الخمسة فعاد الى أصحابه فخببرهم الموقع فلما دخل اللعين القصر نصب له كرسي جديد في فسقيته ، فتمال الدعاة الذين كانوا في عسكر الفاسق لأبي محمد الداعي : أنت مدل على هذا الرجل فاعرف ما يريد بهذا القصر ، وعرفه ان صاحب هذا القصر له في رقابنا بيعة وابو الحسين دعانا لهذا القصر ، ودخل اليه أبو محمد فسلم عليه فقال له : يا هذا الرجل أنا رسول

الجماعة اليك انهم يقولون لك ان صاحب هذا القصر له في رقابنا بيعة فلا تحدث فيه حدثاً ولا تؤذهم بشيء . فقال له الفاسق لا يا أبا محمد لا نحدث فيه حدثاً ، فاخرج وامض الى المعسكر وانا خارج خلفكم .

فخرج ابو محمد فعند خروجه أمر الصقالبة بطلب لعب لأنها أقدم من في القصر واعلم الخبايئة واسبابه ، فداروا فلم يجدوا ووقعت الصيحة لعب لعب ، فقال لهم محمد بن عزيزة أنا اعرف موضعها وأنا أجيء بها ، فأدخلوه الى القرمطي فقال له امض وحيء بها الساعة . فمضى بن عزيزة الى دار ابن أبي مصحف ، فدخل الباب وقال اخرجني فأنا قد أخذنا بك ، واخرجها صاحب الدار خوفاً على نفسه فأخذها محمد بن عزيزة مع ولدها ودائته حتى اوصلها الى القرمطي . فسلم عليها سلام مودة ورحب بها وسألها عن مولاهما . فقال كيف غبت عنا ونحن لا نستغني عنك ، وما بلغك عن مولاك الهارب منا . فقالت له هو قادم عن قريب ان شاء الله ولا يتأخر اكثر من هذا . ثم قال لها لما فرغ من كلامه معها : وأين مال احمد واين مال محمد واين مال حسين واين مال هذا القصر واين مال مولاك الهارب منا واقبل يتجنى عليها قليلاً قليلاً . فقالت له ما أعرف اين اموالهم وانا محدثة في هذا القصر ، ثم قالت له كم تطيل الخطاب وتجنى علينا ، انما دخلت لتقتلنا وتلحقنا بالهاشميين وتقل الصبيان والله بيننا وبينك . ثم قالت له يا عدو الله يا لعين نسيت فضل مولاي عليك وعلى ابيك من قبلك وهجمت علينا وروعت اولادنا كفرة بما انعم الله عليك ونفاقاً على اوليائه واسمعت ما يكره لما علمت انه يريد قتلهم لعنه الله ، ثم قالت يا عدو الله وعدو اوليائه ان عزمتم على قتلنا قتللك الله ولعنك الله ولا بد من ذلك ، فلا تدعنا كما تركت الهاشميين مكشوفين ، فليس نحن مثلهم واسترنا ولا تكشفنا . فقال لما ان قتللك اين تريد ان ادعك ، قالت استرنا في هذا الصهريج وكان قد امر بجفر صهريج فأمر الصقالبة ان يدخلوا السيد ابن النداف السيف التدمري فدخل اليه وسيفه مجرد في يده ، فقال اضرب عنق هذه وارمها في هذا . فرميت في ذلك الصهريج وقتل ولدها ومن كان معها وفرق الصقالبة فأثوا اليه

جميع من في ذلك القصر من صغير وكبير من الرجال والنساء فقتلهم كلهم ورمى بهم في ذلك الصهريج وكانوا ثمان وثمانين نفساً ولما أتى عليهم قدموا له بغلته فركب ، ووكل بالقصر من يحفظه ويحوط ما فيه^(١) .

ولكنه لم يستطع ان يصيب المهدي بسوء اذ كان مقيماً بالرملة في عشرات من البيوت قد اتصل بعضها ببعض بطرق وسرايب يضل فيها السالك ويحار الدليل .

ثم ها هو ابو مهزول قد امسك بختامه وهو شارد في العراق بعد تفرق عسكره ثم ها هو يوقف امام الخليفة العباسي وتصب السياط على ظهره فماذا كان قوله الاخير وهو بين الحياة والموت . تتفصد عروقه ويتناثر لحمه . لم يكن له قول سوى ان يؤكد مرة أخرى للمهدي وان يوجه اليه آخر سهم في آخر نفس فدل على اوصافه وأتهمه بالتهريج وبين كل ما يعرف عن شخصيته .

وكان المهدي ع م يسكن بالرملة دوراً كثيرة يستتر من دار الى دار . الخ^(٢)

وكان بعده بأربعة أشهر أخذ اللعين القرمطي أبو مهزول على شاطئ الفرات في موضع يقال قرقيسيا ، وأخذ معه غلامان ، فرفع الى المعتضد الى بغداد .

واتصل بالمهدي ما فعل بالقصر وقتل جميع من كان فيه ، ثم انه اتصل به ان القرمطي وصل الى المعتضد ، فدخل من الرملة الى مصر فأقام مدة . ولما رجع الى القرمطي الى بغداد شهر ونودي عليه ونصبت الدكة للمعتضد وفرش له البرمية حتى يشرف على قتله ، وهو يضرب بالسوط فقد يقولون من أنت وأيش أنت وأيش أصلك ولمن كنت تدعو فقال لهم ما أنا من أهل الرياسة ولا من أهل القرامطة ، إنما أمرني بالخروج رجل وهو فلان بن فلان من مدينة سلمية يعني المهدي (ع.م) ، وهو من صفته كذا وكذا بصفته وحليته وكتبته صفته على ما وصف الملعون ،

(١) من كتاب استنار الامام ص ١٠٣

(٢) من كتاب استنار الامام ص ٩٨

ثم مات لعنه الله بالعذاب واحرق بالنار^(١) . وما اعرف رجلاً كانت حياته فتنة وموته فتنة مثل هذا الرجل . أما فتنته الاولى فهي ما علمت . وأما فتنته الثانية فهي ان الخليفة وقد علم ما كان خفياً عنه من أمر المهدي بعث رسائله الى العمال بالتفتيش عن المهدي وبث العيون والارصاد لاكتشاف مخبأه .

وفي تلك الفتن العاصفة وبين الظلمات المدهمة كان المهدي آمناً في سريره . اتصل إليه الانباء في جميع الاوقات وكانت الطيور تحمل الرسائل من دعائه .

وفرق حينئذ المعتضد البريد في جميع الآفاق وأمر العمال ان يطلبوا هذه الصفة فلم يجدوه . وكان قد خرج مع تجار بغداد ومع أبي العباس أخي عبد الله الى طرابلس الغرب ، فقطع عليهم الطريق بالطاحونة ، وضرب ابو العباس أخو أبي عبد الله بسيف على وجهه . فوصلوا الى طرابلس على ملحق البريد وهو فيها ، فلما وصل الكتاب داروا على الصفة ودخل التجار الذين قدموا من مصر ، ثم دخلوا عليه الدار التي كان بها ، فلما رأوه قالوا : هذه الصفة صفتك وانت المطلوب لا شك ، ولكننا نخليك عن العقلة فارحل عن بلدنا ولا تقم فيه . وكان ابو العباس بن حسان بها ، فرحل معه حتى وصل الى قسطنطينية ودخل الى سجنهم فاقام بها ثلاثة أشهر حتى لقيته الحرم مع يوسف القهرمان وطيب الخاضن ، ومع ذلك كتب أبي عبد الله تترى تطلبه حيث ما نزل ، فكتب اليه ان أقدم فقد استقامت كل العساكر فتأخر حتى قدم اليه ابو عبد الله سجنهم وخرج المهدي (ع.م) ، وولده أبو القاسم محمد الامام (ع.م) وجعفر الحاجب وجميع من كان معه ، وكان من أمره ما هو مدون معروف^(٢) .

قال جعفر وكان قد خرج في ذلك الوقت رجل خارجي يزعم انه قرمطي ، فلم يشك الخليفة بأنه لنا يدعو ومن قبلنا خرج لانه سار يريد سلمية فبادر الخليفة بالتركي وقال له ان سبقك القرمطي الى سلمية قطعت رأسك فاجهد ان تسبقه

وتقبض على الرجل وتحد به الى بغداد في البحر فانه ان سبقك القرمطي شد ظهره واستفحل أمره فكتب الدعوة الى المهدي بالله صلوات الله عليه من بغداد على أجنحة الطيور ومع الفيوج بما جرى^(١) . وكان نفوذ دعوته يجد تأثيراً غير قليل في نفوس العامة والخاصة حتى عند ولاة الخليفة .

وكان من اتباعه من له نفوذ في بلاط بغداد لذلك لم يكن لتلك الاعاصير ان تنال من تلك الدوحة الراسخة . أما الآن فقد انتقل المهدي من الرملة الى مصر . ولكن الرسائل من ورائه والرسائل في طلبه والجواسيس في اثره والمكافآت المالية تلمع بهريق الذهب لمن يدل على مكانه والعقوبة الصارمة بالمرصاد لمن يأويه او يناصره . ولم تستطع ايضاً تلك السهام المصوبة من كل حذب وصوب ان تطفئ سراجها . فقد كان له بصير من يوالونه ويفدونهم بما وسعهم من تضحية وايشار ومنهم الداعي أبو علي . وقد احتالوا بالقبض على جعفر الحاجب وانهاؤا عليه بالضرب الخفيف المبهين وذلك ارضاء للهيئة الحاكمة الرسمية ولكن سيل الفتن لم يكد ينقطع . فقد انتهت فتنة أبي مهزول وما تبعها من خطوب وارزاء . ولكن المهدي امتحن مرة اخرى بتسمم فرع من شجرته ومروق داع من كبار دعائه عن دعوته . وذلك هو فيروز صهر أبي علي داعي مصر . فان المهدي عند ما اعتزم المضي الى طرابلس انفصل عنه فيروز الا ان فتنته لم تحدث اثرأ كبيراً . وكان يمكن ان يكون لها أسوأ النتائج لو جعل بغداد مكان اليمن في رحلته وقد ظن انه يلتصق مرتعاً خصيباً لبناء مجد جديد فكان بها مصرعه الاخير بعد وقوع حوادث له مع داعي اليمن .

قال فسرنا ولم ننزل بها حتى وصلنا الى الرملة فنزلنا بها عند عاملها ، وكان مأخوذاً عليه ، فلم يدر من السرور برؤية مولانا المهدي ع كيف يخدمه ، ورفع المهدي فوق رأسه وقبل يديه ورجليه قال : فاذا ذكر قيامي على رأس المهدي أنا وطيب وأبو يعقوب على المائدة والعامل مع المهدي ع م والقائم ع م وفيروز

(١) من كتاب استتار الامام ص ١٠٦ .

(٢) من كتاب استتار الامام ص ١٠٧ .

(١) من كتاب استتار الامام ص ١٠٩ .

يتغدون اذ ورد النجباء الذي ورد الى دمشق من بغداد بكتاب القبض علينا وبصفة المهدي واسمه . قال فقراه العامل ودفعه إلى المهدي ع م فلما وقف على ما فيه انكب العامل على رجلي المهدي ع م يقبلها ويبكي ، فقال المهدي ع م طب نفساً وقر عيناً فوالذي نفسي بيده لا وصلوا اليّ أبداً ولنمكّن أنا وولدي من نواصي ولد العباس ولتدوسن خيولي بطونهم فلا تخش عليّ شيئاً مما ترى » فكتب عامل الرملة الى عامل دمشق جواب كتابه بأنه ما رأى هذا الرجل ولا هذه الصفة ولا علم يجوازه ان كان قد جاز ، وان لم يكن جاز فنحن نترصده على كل طريق ان شاء الله . قال جعفر فجدد المهدي ع م البيعة على عامل الرملة واقمنا عنده يومنا ذلك وليلتنا^(١) .

قال وسرنا من الرملة الى مصر فاستقبلنا ابو علي الداعي وكان مقيماً يدعو بها . واكثر دعاة الامام من قبله وكان فيروز الذي دعاه رباه وزوجه ابنته ام أبي الحسين ولده . فتقدم اليه المهدي ع م قبل دخولنا مصر بان لا ينزله عنده ولا عند من يشار اليه بشيء من امرنا وأن ينزله عند من يثق به فأنزله عند أبي عياش . قال فما أفئنا الا يسيراً حتى ورد الرسول الى مصر في طلبنا ، قال فوجه صاحب مصر في ذلك الوقت الى ابن عياش فاعلمه بالرسول وأقرأ عليه الكتاب ، فقال له ابن عياش أما الرجل النازل عليّ فوالله لا وصل اليه شيء الا ما يصل اليّ لانه رجل هاشمي شريف بر من وجوه التجار معروف بالفضل والعلم واليسار والذي أتى الرسول في طلبه قد اعطيت خبره أن توجه الى اليمن قبل ورود هذا الرجل بمدة طويلة ، قال جعفر فقال العامل لابن عياش نحن نقضي حقه في هذا الرجل وحقه ولكن لا بد لنا أن نبدي عذراً بالقبض على بعض غلماننا ونقرره خوفاً من حجاب الأخبار ، والأمر يجري له ولكن على ما تحب ويجب ان شاء الله . قال جعفر وكنت ذلك الرجل المقبوض عليه وقدمت الى التقرير وعلقت وضربت أسواطاً يسيرة ضرباً خفيفاً لم يكون عليّ من بأس . وكان المهدي بالله

(١) من كتاب استتار الامام ص ١١٣

(ع.م) قد تقدم اليّ قبل القبض وقال لا توجعك نفسك اذا دفعتك الى العامل دون أصحابك ، فاني أريد أن اردك الى سامية لتستخرج القمطين اللذين أمرتك بدفعنها ، فليس معي من الغلمان من يعلم بها سواك ، واذا وقفت للتقرير فقل أنا رجل حر خدمت هذا الرجل باجرة معلومة فعلى م تقرر وني ولم أخدمه الا من قريب ، وأنا أرد عليه باقي اجرتي وأرجع عنه الى بلدي . قال ففعلت ما أمرني به وخلي العامل سبيلي فدخلت على المهدي (ع.م) بالليل فقال لي بكر في الغداة ولا تلو على شيء حتى تصل الى سامية وتستخرج المال وتشترى منه أحمال قطن وتجعل في بعضها وتسرع جهديك ، واحذر أن تظهر لأحد بسامية إلا ل محمد بن عزيزة وابنه منصور المعروف بأبي الليث وحسن ابن اختك ، وانا انتظرك بطرابلس الغرب ولا أبرح منها حتى أراك ان شاء الله^(١) .

قال ولما صح عند فيروز خروج المهدي (ع.م) الى المغرب تغيرت نيته وعزم على النفاق وكان قد زوج ابنته كما ذكرنا أولاً بأبي علي الداعي بمصر ، ومحمد أبو الحسين بن أبي علي الداعي ولده ، وقد بلغ محمد ابو الحسين هذا مع الأئمة المهدي بالله والقائم بأمر الله والمنصور بالله والمعز لدين الله صلوات الله عليهم الجليل العظيم ، وكان داعي الدعاة . وكان قد سأل أبو علي الداعي بمصر المهدي (ع.م) المسير معه الى المغرب ورغب في ان لا يفارقه فلم يجبه الى سؤاله وأمره بالمقام بمصر الى الوقت الذي يصلح قدمه فيه ، فشق ذلك عليه واغتم غماً شديداً .

وخرج المهدي (ع.م) من مصر وخالفه فيروز قبل خروجه من مصر ومضى الى اليمن . قال جعفر فكان المهدي (ع.م) يقول بعد هروب فيروز اني لأعجب من رجلين مؤمنين أحدهما تغمه فرقتهما والآخر تغمه صحبتنا . قال ووصل فيروز الى داعي اليمن وهو رجل من الكوفة وكان السبب في اتصاله بالامام فيروز ، وهو ابو القاسم الحسن بن فرح المعروف بمنصور اليمن من بيت تشيع ، فلما وصل فيروز اليه لقيه بالتبجيل والتعظيم لما كان يعلم من محله عند الامام علي

(١) من كتاب استتار الامام ص ١١٣

وخرج له من مسكنه وأنزله . فكان يقف على رأسه حتى يأذن له بالجلوس ، فأظهر له ان الامام إنما بعث به مشرفاً عليه الى ان يقدم من المغرب بالعساكر الى مصر ويكتب اليه ليستقبله بعساكر أهل اليمن ، فقدر أبو القاسم أنه صدقه . وعلم فيروز ما عمل وان المهدي (ع.م) لا بد أن يكتب الى الداعي يعرفه نفاق فيروز ويأمره بما يشاء ، فاصطفى لنفسه وصيفاً من غلمان أبي القاسم فاحسن اليه فوق ما كان يحسن اليه مولاة حتى صار أثر عنده من مولاة ، وقال له لا تكتم عني ما يحدث على مولاك في كل وقت ، ولا ما يتحدث به ويدبره في الليل والنهار . قال وكان ذلك الوصيف لا يكتم عنه شيئاً الى أن ورد كتاب المهدي (ع.م) مقرئاً بكتاب الداعي أبي علي بنصر صهر فيروز زوج ابنته يعرفان ابا القاسم كيف جرت قصة فيروز ويأمره المهدي بقتله . فلما ورد الكتاب عرف ذلك الوصيف فيروز برود ما ورد من ذلك . فهرب لوقته وطلبه الداعي ابو القاسم فلم يدرأي الجهات سلك ، ولم يزل يبحث عنه الى أن بلغه انه وصل الى علي بن الفضل الجيشاني وأنه افتنه وأفسده . فلما علم ابو القاسم الداعي بموضعه وأنه فتن علي بن الفضل وأهل بلده وشعوذ لهم ودعا أهل بلده الى نفسه خرج اليها ابو القاسم وحاربها مدة طويلة الى ان ظفر بها وقتلها^(١) .

كشف الغلاء

اضطرب المؤرخون في الأدوار التي خطاها أئمة الفاطميين . واذا كان الدعاة أنفسهم تعرضوا مراراً للجهل بأنتمهم وعدم الامام بشؤونهم وعرفان مواطنهم ومخابئهم فللمؤرخين بعض المعضلة اذا جهلوا هذه الشؤون بيد ان المؤرخ لا يعذر اذا جهل شيئاً فانتحل له الاسباب لأسماء وخلق له العلل والتفاصيل ولنا مع المؤرخين وقفة أخرى عندما نتناول نسب هؤلاء الأئمة وسنحتكم الى محض الحقيقة وصريح العقل ونحن الآن بصدد مناقشتهم في مسألة لها شأنها فهم يتعارفون على ان أبا عبدالله الشيعي هو الذي اطلع شمس الفاطميين من المغرب . وهو الذي استل سلطان البلاد من انياب بني أغلب . وهو الذي اقام لهم ذلك العرش الوطيد والملك البعيد . ثم قتله المهدي بعد ذلك خوفاً من غروره وخشية من نفوذه . ولكي نصل الى لب الحقيقة يجب علينا ان نعرف من هو المهدي وهذا يرجع بنا الى ان نذكر القاريء بأن محمد بن اسماعيل قد أنجب عبدالله وان عبدالله أعقب احمد وابراهيم وكانت الامامة لأولهما واعقب احمد الحسين وسعيد الخير . وكانت الامامة للأول ايضاً ثم كانت الامامة لعلي بن الحسين الذي هو المهدي . غير ان سن علي في الطفولة لم تسمح له بالقيام بأعباء هذه المهمة الخطيرة فاستودع الحسين بخلافه ولده لأخيه سعيد الخير الذي حصل تلك الامامة بجميع مظاهرها كما ان لقب المهدي كان يلزم مع ما تباع مع من وخطوب وسجن والى هذا الحد كان سعيد الخير هو المهدي الذي دخل البلاد دخول الظافرين .

وقد روي عن الامام جعفر بن محمد الصادق في تسليمه الامر الى ولده اسماعيل وغيبه اسماعيل وولده محمد بن اسماعيل في حد الطفولة ولم تكن الامامة

(١) كتاب استنار الامام ص . (١١٤)

ترجع القهقري منه كما لم ترجع من غيره .. فأودع حجته المنصوبة بين يديه
ميمون القداح مقامه لولده وأقامه ستراً عليه وقدمه بين يديه واستكفله إياه
إلى بلوغه أشده . فلما بلغ أشده تسلم وديعته ثم جرى الأمر في عقبه خلفاً عن
سلف حتى انتهى الأمر به إلى علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن
إسماعيل (بن جعفر الصادق) ...

وكان علي يديه طلوع الشمس وذلك انه لما ظهرت الأنوار بأسقة باليمن وبلاد
العرب سار ولي الله في أرضه علي بن الحسين يريد بلاد المغرب حتى كان في بعض
طريقه من الشام فأظهر الغيبة واستخلف حجته سعيد الخير الملقب بالمهدي .
فبث قواعد الدعوة وجرى عليها من ضدها بسجلماسة من العمال بالمغرب
ما جرى . ووقى الله بوليه كيدته ... فلما حضرت المهدي النقلة سلم الوديعه إلى
مستقرها وتسلمها محمد بن علي القائم بأمر الله . وجرت الامامة في عقبه حتى
انتهت الامامة إلى مستقرها واطمأنت موضعها وموطنها ... الخ .

وقد جاء في كتاب غاية المواليد الثلاثة للعلامة الخطاط بن الحسن بن أبي
الحفاظ الحمداي داعي الفاطميين (١١٣٨ - ٥٣٣) المحفوظ بدار الكتب
بالاعظمية بباكستان) .

وفي كتاب استتار الامام : ص ٩٥ ما يلي : وولده (عبد الله بن محمد بن
إسماعيل) بـ (سلمية) أحمد إبراهيم ، وتوفي وكانت الامامة بعده لأحد
دور إبراهيم وولد لأحمد بن عبد الله الامام الحسين وهو والد المهدي
وسعيد الخير وأقام الحسين إلى ان ولده له المهدي (ع . م) . فلما انت نقلته
ستودع له أخاه سعيد الخير إذ كان ولده يومئذ في حال الطفولية ، واستبد
سعيد بالامامة ونص بها على ولده فهلك الولد ، ثم نص على ولده الثاني فهلك
ن له عشرة أولاد فلم يزل ينص على كل واحد منهم إلى ان هلكوا باجمعهم
فلم حينئذ سعيد الخير الحق لا يفارق اهله فتب واناب إلى الله تبارك وتعالى
ويجمع دعاؤه وعلمهم انه مستودع للمهدي صلوات الله عليه وسلم إليه الامامة
تurf له بالوديعه وتنصل إليه مما تقدم منه قبل ذلك وصارت الامامة إلى

المهدي ع م فقال الشاعر :

الله اعطاك التي لا فوقها
عنك ويأبى الله الاسوقها
واستقبل الناس جميعاً بمشائهم وقبائلهم فعرفوا شخصه وفهموه وتبينوا
صفاته وسمعوا قوله فكان من العسير والحالة كما علمنا ان يظهر على الذي هو
المهدي الحقيقي من ستر الحفاء . بل بقي الأمر مكتوماً حتى عن أبي عبد الله
الشيعي ولم يتعرف وجه الحقيقة الا بعد ان عرفه اخوه ابو العباس الذي كانت
ملازماً للامام من الشام إلى مصر إلى المغرب . ثم اقبل عبد الله الشيعي بعد ذلك
مقلوب القميص أمام المهدي (وقلب القميص يقصد به عندهم إلى قلب السريرة
وتغيير العقيدة) فأدرك سعيد الخير ان أبا عبد الله قد أصبح أمام حالة نفسية
لا يستطيع معها النهوض بأعباء ما وكل إليه وان بقاءه بين الجحافل من البلابل
والواسوس قد يدفعه إلى اظهار الأمر الذي ينجم عنه حدوث فتنة وينقلب بها
ذلك الملك الجديد رأساً على عقب فجعل بعد تنبيهه وانذاره بقتل أبي عبد الله
تفادياً حول عظيم وخطر داهم . قتله وهو اشد ما يكون احتفاظاً به وإيثاراً له
ونادماً على فراقه ومن الخطأ في القياس والتقدير ان نمثل بين مقتل أبي عبد الله
وأبي مسلم الخرساني فالزمان غير الزمان والقوم غير القوم .

ومما هو جدير بالذكر ان ابتداء أمر (أبي عبد الله الشيعي) هو انه كان
رجلاً صوفياً جاراً لأبي علي الداعي بالكوفة هو وأخوه ابو العباس محمد بن أحمد
ابن زكريا وابو عبد الله حسين بن أحمد بن زكريا . وكان ابو العباس هذا اكبر
سناً من أبي عبد الله . وكانوا شيعيين جميعاً فلما علم بخروج أبي علي الداعي إلى
مصر سأل صوره فيروز ورغباً إليه معاً بالجوار والتشيع ولم يكونا قد ابصرا
الامام ولا وصلا إلى رؤيته فسأل بهما فيروز الامام بعد ان أخذ عليهما فيروز
وربهما وفقهما في انفاذ أبي عبد الله حسين بن أحمد إلى مصر ثم إلى أبي القاسم
الداعي باليمن ليغنيه فيما نذب إليه . وانفاذ أخيه أبي العباس إلى القائم بمصر مع
أبي علي الداعي بها فأجاب الامام (ع . م) سؤاله فنفذ أبو عبد الله من مصر إلى
اليمن وأقام أخوه ابو العباس بمصر مع أبي علي (١) . الخ

(١) استتار الامام ص ١٢١ .

طلوع شمس الناططيين

طلعت شمس الناططيين من المغرب كما جرت هذا التعبير أساليب كتابهم . ولم يكن في متناول الدولة العباسية ان تصل إلى تلك الافاق النائية عنهم حتى تلقي على سماها غماماً او على نورها ظلاماً كما ان الحالة النفسية لجنودهم من البربر كانت من الصفاء بحيث تصلح لاتخاذها حقلاً خصيباً لانماء دوحه ذلك الملك الذي مد نفوذه الى المغرب ثم إلى مصر فبلاد الشام وديار مكة فالحرمين واليمن ثم النفوذ الأدبي والديني بعد ذلك في كثير من بلاد العراق وايران والهند وقد كان التاريخ يظهر لنا البلاد الاسلاميه في أيدي الأمويين اولاً ثم في سلطان العباسيين ثانياً . وكنا نتحدث عن خلافتين أما الآن فلا نبالي اذا قلنا ان تلك البلاد قد أصبحت تدين لظلال ثلاثة عباسية في بغداد واموية بالاندلس وفاطمية بالمغرب . ولندع ذلك جانباً لنعود الى هذه الدولة الناشئة بالمغرب . فاذا بنا نرى عود الملك من المهدي الى المعز وهي في حقيقتها عهود ترميم وتنظيم يتبعهما ح والتجديد ثم يتبع ذلك كله تقوية الجيش بالعدة والعدد وانقاذ الفياتي والاجناد لاقتحاح ما بقي من البلاد حتى تمتد ظلال الشجرة الفاطمية الى اقصى الاطراف المغربية حتى المحيط . اما مصر فقد كانت تابعة للدولة العباسية في ظاهر . لانها كانت تمتاز بكل مظاهر الاستقلال ولم تستقر بها دولة منظمة ولا تقوم على العصبية . او تمت الى الانساب الدينية . فكانت صلتها ببغداد لا تعدوان تكون صلة اسمية رسمية والامر المالكة التي تولت مصر كانت قصيرة المدى بالنسبة الى عمر التاريخ ولا سيما في عهد الأخشيدي ولم يكن تفكير الفاطميين فتح مصر وليد عشية وضحاها فهم منذ يومهم الأول كانوا يعدون سلطانهم

بين المشرق والمغرب . وقد وجهوا الى المصريين حتى في أيام استتارهم عدداً من الدعاة كانوا ينزلون عندهم في بعض الاحايين كما حصل ذلك للمهدي وبعد ان تم لهم الامر جهزوا بعض المبعوث ولكن الدولة الاخشيدي وهي في شبابها استطاعت ان تردهم عن الاسكندرية لان البيت الاخشيدي قد اصيب بصدع في اركانه وزلزال في بنيانه واصبح الامر فيه الى كافر . ومهما يكن لكافور هذا من الشخصية القوية ومن الاستمسك بعري الدين والتأثير بالجاء والمال والعلم فهو لا يعدو ان يكون مملوكاً مشترى ثم هو بعد لا يتصل بأسرة ولا يستطيع ان يكون اسرة كافورية يمكن الاعتماد عليها والثقة بها . ولعل كافورا قد شعر بمركزه بين العباسيين وهم في ضعف متزايد والفاطميين وهم في قوة مطردة واشتهر بأنه الى الناططيين اقرب وبهم الصق فكان يحاييهم كما كان يفعل ذلك بحكومة بغداد وهو بين هؤلاء يحاور ويداور ويمالي ويصانع حتى انقضت حياته الطويلة دون ان يحدث في امر مصر تغيير بعد ان تركت عرشاً بلا وارث وبلاد بلا ملك وكان البلاد وقد أصبحت بين محن مالية وفتر اهلية بدأت تستدني الجيش الفاطمي رويداً رويداً وما هي الا كرة الطرف حتى وجه المعز جوهرراً بالسيف والذهب كما يقولون . قام هذا القائد الصقلي بحملته الكبرى مجهزاً بكنوز الاموال تحملها الجمال وبالفيل تقطع بها السباسب والرمال . وقد ودعه المعز أحسن التوديع وهو على ثقة من نهاية ذلك الظفر ونتيجة ذلك الفتح الذي لم يعان فيه جوهر الا قليلاً من المقاومة . وقد بنى مدينة القاهرة وأقام بها المسجد الازهر وبنى جامعة للصلوة وجامعة للعلوم واتم ذلك كله في ثلاث سنين واستدعى الخليفة المعز وكان لقدوم هذا الخليفة يوماً مشهوداً . انتخب له الزمان واصفى له يوم الجمعة من رمضان واستقر له الملك كما هو معروف في التاريخ وقد قامت مدينة الفاطميين في حكمهم على ثلاث ظواهر . الاولى مدينة التشييد والتعمير وابتناء القصور وانشاء الحدائق على شواطئ النيل وخلقجانه ولها من الازهار الوان ومن كل فاكهة زوجان كما ان مدينة القاهرة أخذت شكلاً جديداً من الرواء وال عمران فعظمت مبانيها وارتفعت طبقات منازلها الى خمس طبقات أريست كما ارتفعت اسوار القصور الى ما يبلغ أربعين متراً وكان منظر القاهرة اذ ذاك

يدعو الى العجب والاعجاب ويحمل على الدهشة والاستغراب فني أقصر مدة أقيمت اعظم مدينة واتسعت تجارة مصر وتحسنت زراعتها ، وتوالت اليها الوفود في طلب التجارة او الإقامة -- ولعل هذا اللون من المدنية كان يقصد به منافسة اندلس ومحاكاة منازلها الطبيعية وإقامة ملك شامخ محاط بمظاهر الأبهة والجلال والكلام عن هذا - اللون يتأدى بنا الى اسباب تغنيها عنه الكتب والمؤلفات المخصصة لذلك التاريخ .

وقد قال ابن خلكان في تاريخه (ج ٣ ص ٣٨٥) ولما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره اختار منه ما أراد ووهب أهله ما أراد وباع منه كثيراً وكان فيه من الجواهر الاعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك قد جمع على طول السنين وممر الدهور^(١) الخ ..

أما الظاهرة الثانية في المدنية التي تقوم على نشر الأدب وفنون الحكمة ونواحي العلوم المختلفة ولا سيما الدينية منها . والاستكثار من الكتب وبناء الخزائن والمكتبات المفعمة بمئات الألوف من الكتب بخطوط مؤلفيها كان يقصد بذلك الى معارضة بغداد وإنشاء عصر يفوق عصر المأمون وعهد أبيه هارون وقد حملت هذه المكتبات والمؤلفات كثيرين من طلاب العلم على ارتيادها والاختلاف اليها . وأصبحت مصر في ذلك قبة الشرق والغرب ومحجة القاصي والداني كما انها شجعت على التأليف وفتقت أذهان العلماء والمؤلفين ونفجت روحاً جديدة في الكتاب والشعراء ولهذا تفوقت مصر بحضارتها الجديدة من علم ومدنية بحالة لم تطلع بها الاندلس ولا بغداد اذ كانت حياتها عرضة للأعاصير والانقلابات .

وصف ناصر خسرو الرحالة الفارسي المشهور (في القرن الخامس الهجري) مدينة القاهرة المعزية وصفاً شائقاً وقد رأها في ذلك الوقت (بين سنتي ٤٣٩ و ٤٤١ هـ) كانت قد ثبت عمادها وأصبح فيها ما لا يقل عن عشرين ألف دكان

(١) ابن نجب ص ٢٣ .

لها ملك للسلطان . وكثير منها يؤجر بعشرة دنائير في الشهر وليس بينها الا قليل تبلغ اجرته في الشهر دينارين . وكان فيها من الخانات والمهامات ما لا يمكن حصره . وكانت كلها ملكاً للسلطان أما قصر السلطان نفسه فقد كان في وسط القاهرة وبينه وبين ابنته المحيطة به فضاء يفصله عنها . وكان يحرسه في الليل خمسمائة حارس من الفرسان وخمسمائة حارس من الرحالة وكانت اسواره عالية فلا يستطيع أحد رؤيته من داخل المدينة . بينما يبدو من خارجها كالجبل . وكان في القصر ألوف من الخدم والنساء والجواري وله عشر بوابات فوق الارض وباب يقود الى ممر تحت الارض يعبره الخليفة ركباً ليصل الى قصر آخر وكان كل كبار الموظفين في قصور الخليفة من الروم او السود ومما لفت نظره ان التجار كانوا يبيعون بأثمان محددة وان الذي كان يغش الناس كانوا يركبونه جملاً ويضعون في يده جرساً يدقه ويطوفون به البلد وهو يصيح بأعلى صوته لقد كذبت وها أنذا القي عقابي جزا الله الكاذبين . ويقول ان تجار الجواهر والصيارف لم يكونوا يحفلون باغلاق حوانيتهم إذ لا يخشون عليها من اللصوص (من سفرنا من ناصر خسرو بالارانية ص ٦٠ وقد ترجم معظم ذلك لين بول في كتابه The story of cairo) .

كان للفاطميين في القاهرة مكتبات منها اربعون خزانة في قصر الخلافة وحده ملأى بنفائس المؤلفات الجليلة المقدار ونوادرها المدومة المثال . وكان أشهر هذه الخزائن كما روى المقرئ عن ابن الطوير في المارستان العتيق في القطر الشرقي ولم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم منها وذكر ابو شامة نقلاً عما اورده ابن ابي طي عن القصر بعد سقوط الخلافة الفاطمية ان مكتبة الخلفاء كانت من بين محتويات القصر التي باعها الايوبيون في عهد صلاح الدين وقال : ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التي كانت في القاهرة في القصر . ومن عجائبها انه كان فيها الف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري . ويقال انها كانت تشتمل على ٦٠٠,٠٠٠ كتاب ، وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة (كتاب الرضتين لابي شامة طبعة القاهرة

ج ١ ص ٢٠٠) وقد روى هذا الكاتب عن عماد الدين الاصفهاني ان عدد كتب هذه المكتبة يبلغ ٢٠٠٠٠٩٠ كتاب .

وكان من عادة الخليفة اذا زار المكتبة ان يترجل ثم يسير الى دكة مرتفعة فيجلس عليها فيأتيه الخازن بنسخ من المصحف مختلفة الحجم وبكتب اخرى في مواضع مختلفة لمصادقة الخليفة على اقتنائها (١) .

وقد اصاب هذه الخزان من الاحن بتوالي الفترة مثل ما اصاب مكتبة الاسكندرية في عهد الروم فألقى بعضها في النار والبعض الآخر في النيل وترك بعضها في الصحراء فسفت عليها الرياح حتى عرفت بتلال الكتب واتخذ العبيد من جاودها نعالاً . وطرح ما بقي منها عند دخول الأكراد للبيع في اواسط القرن السادس للهجرة . وكان في جملة ما أخرجوه نحو ١٣٠٠٠ من خواص الكتب اعطاها صلاح الدين للقاضي البيساني « كما ذكر ابن خلدون في تاريخه (راجع خطط المقرئ ج ١ ص ٤٠٨ طبع بولاق) ومواداً للطائفة ص ٢٧ وتاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٢٠٥ ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣ ص ١٤٢ .

اما الظاهرة الثالثة في نشر العقائد الفاطمية بطريق الدعاية والانصاف يحتم علينا ان نقول ان الفاطميين لم يرغبوا الناس على الاخذ بمذهبهم واعتناق عقائدهم اذ هم يعلمون ان خطة الارغام والاكرام لا توصل الى شيء واصلق برهان على ذلك ان حكمهم قد لبث في مصر زهاء ثلاثة قرون ثم لا نسمع ولا نرى أحداً في مصر يعتقد عقائدهم او يعرف عنها شيئاً لان شعار دعوتهم كان لا اكرام في الدين . في حين كان غيرهم من الخلفاء اذا ارتأى رأياً او انتحل نحلة يرغم عليها سواد الناس ويحمل الجميع بقوة السيف على اعتناقها كما حصل ذلك عند القول بخلق القرآن في عهد العباسيين . قلنا ان الفاطميين تركوا حرية الاعتقاد والتفكير كما تركوا لطلاب الازهر حرية انتخاب المذهب الفقهي الذي يميلون اليه .

(١) خطط المقرئ ص ٤٠٩ .

ونزيد على ذلك ان الحاكم بامر الله وهو أشد ملوكهم بأساً ، وأعظمهم جبروتاً لم يفكر في ارغام احد من خصومه على عقيدة يعتقدها وأما ما صدر عنه من الاحكام الشديدة فكان يرجع اما لظروف سياسية خاصة واما لحالات ضرورية كان يعتقد ان النظام لا يستقر بدونها وقد حمل المنع الى مصر رفات أجداده وجميع اولاده وولى على المغرب من يخلفه فيها . وبهذا أحس الفاطميون ان مصر وطنهم الأول والأخير فاخلصوا لها وتوسعوا في بسط نفوذهم بها ودان لهم السلطان في بلاد الشام والحجاز واليمن كما سبق وقد تخلل ذلك حروب وازمات داخلية الا ان ازدهار تلك المدنية بقي يصابر الزمان . ويحالد الحدان اما فداحة ثروتهم وثروة ابناءهم واقاربهم من الضياع والبساتين وسبائك الذهب وخزائن الجواهر واقتناء الوف الجواري والغلمان وغيرها . فالحديث عن ذلك يشكل مؤلفاً كاملاً .

وأهم خصائص الازهر انه وان بدأ كغيره من المساجد الا انه لم يلبث ان اصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم ورواده من كل صوب وحذب الكثير من مختلف العلوم والفنون وأول من فكر في تحويل هذا الجامع الى جامعة هو يعقوب بن كلس (الفاطميون في مصر ص ١٢٧) .

ورحلة عبد الوهاب بن نصر المالكي كما سيأتي ذكره وهو فقيه مالكي متشدد لتدلنا على مبلغ ايمانه بسعة صدر الحكومة الفاطمية وعدم تعصبها وهو برهان على انهم تركوا حرية الاعتقاد والا لما فضل ابن نصر الحياة في جوارهم على بلاد هي أقرب لعقيدته ومذهبه في مصر في تلك الآونة .

واني شخصياً أعتقد ان التاريخ الموجود المنتشر لدى الجمهور قد ظلم الحاكم خاصة والفاطميين عموماً وهكذا قال الاستاذ عبد الله عثمان المصري في كتابه الحاكم بامر الله ص ٨٨ .

ونلاحظ أولاً أن ما انتهى اليه من أقوال الرواية الاسلامية انما هو في الغالب أقوال المؤرخين السنيين خصوم الشيعة وخصوم الدولة الفاطمية وانما لم تتلق من تراث الشيعة الذي بددته الحوادث والدول الخصيمة ما يلقي ضياء كافياً

على ذلك الخطأ والذي يحيط بشخصية الحاكم أو عماله .

جاء في كتاب المجالس المؤيدية لداعي دعاة المستنصر وهو أحد كتب الفاطميين الاصولية (كتب الاصول عند الفاطميين أربعة : دعاة الاسلام لقاضي قضاة المعز والمجالس المؤيدية لداعي المستنصر بالله وكتاب راحة العقل لداعي دعاة الحاكم بأمر الله ورسائل اخوان الصفاء للامام الفاطمي جد المهدي أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) .

اللهم فكل من دعي الى الامامة الاسماعيلية وانتمى الى الدعوة الفاطمية فتقنص واحداً من الرسل او قدح في شيء من الشرائع والسبل او حل في شيء من مناسك شريعة محمد صلاتها وصومها وزكاتها وحجها وجهادها وحرامها وقضاياها وأحكامها ... من ماض وغائب وحاضر اللهم فاجعله موقع النقبات وموضع اللعنات - من أهل الارض والسموات اللهم انا نشهدك ملائكتك اننا براء من هذه سبيله وأنه من المشركين وان الله بريء من المشركين) .

اما نسب الفاطميين فقد وقع للمؤرخين اشتباه عظيم فيه وحق لهم ان يشتبهوا فقد أسلفنا ان أئمتهم كانوا يحتجبون حتى عن حاشيتهم وأشد المتعصبين بهم وربما لبس الامام ثوب داعيه او الداعي ثوب امامه . وربما احتجب امام مستقر بإمام مستودع كما حصل ذلك للمهدي وسعيد الخير . وهذا انفسح المجال للمرجفين بهم والطاعنين عليهم . فأخذوا يصنعون الاكاذيب ويفترضون الفروض ويؤلفون الكتب محاولين هدم اصولهم والتشهير بعقائدهم ويزيدونها في كل البلاد بكل اللغات وكان يزيد هذا الاضطراب عند المؤرخين اذ كان يوجد لتلك الدولة خصمان منافسان اولهم اموي بالأندلس ونستطيع ان نعرف ذلك من الخطاب الذي رد به احد ولاة الاندلس على الخليفة الفاطمي والخصم الآخر في بغداد فقد اخذ العباسيون يستشهدون الشهود ويستكتبون المحاضر غير مكثفين بالعلماء وأولي الرأي فيهم بل استكتبوا الهاشميين ليكون ذلك من قبيل شهادة المرء على نفسه . إلا ان عقلاء المؤرخين لم تخدعهم تلك الحيلة ولم تمنعهم خصومة الفاطميين في العقائد من قول الحق في نسبهم محتجين لذلك بأن انفصال نوح عن ابنه وابراهيم

عن ابنه آذر والرسول الكريم (ص) عن عمه ابي لُب : كل ذلك لم يقدر في نسب ولم يطعن في القرابة ولم تخل هذه الدولة من طاعن عليها ومرجف بها .

قال ابن اثير المتوفي سنة ٦٣٠ هـ :

وقد اختلف العلماء في صحة نسب (المهدي) فقاتلوا هو وأصحابه القائلون بإمامته ان نسبه صحيح على ما ذكرناه ولم يرتابوا فيه وذهب كثير من العلويين العالمين بالأنساب الى موافقتهم ايضاً ويشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف الرضي في هذا الصدد :

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنف حمي
احمل الضيم في بلاد الاعادي وبصر الخليفة العلوي
من ابوه ابي ومولاه مولا ي اذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيد الناس جميعاً محمد وعلي
ان ذلتي بذلك الجد عز وأوامي بذلك الربع ري

واننا نرى الشريف الرضي لم يودع هذه الابيات في ديوانه خوفاً ولا حجة بما كتب في المحضر المتضمن القدح في انسابهم فان الخوف يحمل على اكثر من هذا على انه قد ورد ما يصدق ما ذكرته وهو ان القادر بالله لما بلغته هذه الابيات احضر القاضي ابا بكر بن الباقلاني فأرسل الى الشريف ابي محمد الموسوي والد الشريف الرضي يقول له قد عرفت منزلتك منا وما لا نزال عليه من الاعتداد بك بصدق الموالاته منك وما تقدم لك في الدولة من مواقف محمودة ولا يجوز أن تكون أنت على خليقة ترضاهما ويكون ولدك على ما يضاهاها . وقد بلغنا انه قال شعراً وهو كذا وكذا فيا ليت شعري على اي مقام ذل اقام وهو ناظر في النقابة والحجيج وهما من اشرف الاعمال ولو كان بصر لكان كبعض الرعايا واطال القول فحلف أبو احمد انه اعلم بذلك واحضر ولده وقال له في المعنى فانكر الشعر . فقال له اكتب خطاباً الى الخليفة بالانذار واذكر فيه ان نسب المصري مدخول وانه مدح في نسبه فقال لا افعل فقال أبوه أتخاف من هو بعيد عنك وتراقبه

وشخط من هو قريب وانت برأى عنه وهو قادر عليك واهل بيتك . وتروى القول بينهما ولم يكتب الرضى انه قال هذا الشعر واندرجت القصة على هذا ففي امتناع المرضى من الاعتذار من ان يكتب طعناً في نسبهم مع الخوف دليل قوي على صحة نسبهم . وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين في نسبهم فلم يرتابوا في صحته وذهب غيرهم الى ان نسبه مدخول ليس بصحيح . وعدا طائفة منهم الى ان جعلوا نسبه يهودياً وقد كتب في الايام القادوية محضراً يتضمن القدرح في نسبه ونسب اولاده وكتب قيد جماعة من العلويين وغيرهم ان نسبه الى امير المؤمنين علي غير صحيح . فن كتب فيه من العلويين المرتضى واخوه وابن البطحاي وابن الازرق العلويين من غيرهم ابن الاكفاني وابن الخرزى وأبو العباس الأبوي وأبو حامد الكشفي والقدوري والعميري وابو الفضل الذوي وابو جعفر الفسفي وأبو عبيد الله بن النعمان فقيه الشيعة وزعم القائلون بصحة نسبه ان العلماء من كتب في المحضر انما كتبوا خوفاً وتقية ومن لا علم عنده بالانساب فلا احتجاج بقوله (تاريخ الكامل لابن اشرج ٨ ص ٨ و ٩) .

وقال ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ومن الاخبار الواخية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات في العبيد عن خلفاء الشيعة ما يقرأون القاهرة من نفيسهم من اهل البيت صلوات الله عليهم .. والطعن في نسبهم الى اسماعيل الامام بن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لفقت مستضعفين من اعداء خلفاء بني العباس ترفلاً اليهم بالقدرح فيمن ناصبهم وتفننا في الشيات بعدوهم حسباً تذكر بعض هذه الاحاديث في اخبارهم ويفعلون عن التفطن لشواهد الوقائع وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة .. ان أبا عبدالله المحتسب لما دعا بكتابه للرضى من آل محمد فهربا من المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر وانهما خرجا من الاسكندرية في زى التجار وفي خبرهما الى عيسى النوشري عامل مصر والاسكندرية فرح في طلبها الحالية حتى اذا ادركا خفي حالهما

على تابعيها ما لبسوا من الشارة والذين افلتوا الى المغرب وان المعتقد اعز الى الاغالبية امراء افريقية بالقيروان وبني مدرار على خفي مكانها ببلده ، واعتقلها مرضاة للخليفة . هذا قبل أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان . ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب وافريقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في ممالك الاسلام شق الابلمة ، وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويزايلون في أمرهم . ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير البساسيري من موالي الديلم المتغلبين على خلفاء بني العباس في مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم ، وخطب لهم على منابرها حولاً كاملاً ، وما زال بنو العباس يغصون بكانهم ودولتهم وملوك بني امية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم . وكيف يقع هذا كله لدعي في النسب يكذب في انتحال الأمر . واعتبر حال القرمطي إذ كان دعيًا في انتسابه، كيف تلاشت دعوته وتفرقت أتباعه وظهر سريعاً على خبيثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة .

ومها تكن عند امرىء من خليفة وان خالها تحفى على الناس تعلم فقد اتصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقراض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسماعيل بن جعفر الصادق ولقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدولة ودروس اثرها داعين الى بدعهم هاتفين بأسماء صبيانهم من اعقابهم يزعمون استحقاتهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية ممن سلف قبلهم من الأئمة . ولو ارتابوا في نسبهم لما ركبوا اعناق الاخطار في الانتصار لهم . فصاحب البدعة لا يلبس في أمره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله . والعجب من القاضي أبي بكر الباقلاني . شيخ النظائر من المتكلمين يمنح الى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الرأي الضعيف فان كان

ينسب اهل البيت من كل أحد والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب اليه بضائع العلوم والصنائع وتلتبس فيه طوال الحكم وتحدى اليه ركائب الروايات والأخبار وما نفق فيها نفق عند الكفاية فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافن والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجره عن قصد السبيل نفق في سوقها الاريز الخالص واللجين المصفى . وان ذهبت مع الاغراض والحقوق وماجت بسامرة البغي والباطل نفق البهرج الزائف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحته وملتمسه^(١) .

وقال المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ وبعض منكري نسبهم (الفاطميين) في العلوية يقول ان عبيد الله من اليهود وان الحسين بن أحمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودي حداد وتركه لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه . ثم مات عن غير واحد فعهد الى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدي وهذه أقوال ان انصفت تبين لك أنها موضوعة فان بني علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسي - او ابن يهودي فهذا مما لا يفعله أحد وابلغ الغاية في الجهل والسخف . وانما جاء ذلك من قبل ضعف خلفاء بني العباس عندما غصوا بكان الفاطميين فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحربين واليمن وخطب ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتنفيذ الكافة عنهم باشاعة الطعن في نسبهم وبث ذلك عنهم خلفاؤهم واعجب به اولياؤهم وأمراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن انفسهم وسلطانهم معرفة العجز عن مقاومتهم ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار الشام والحربين حتى اشتهر ذلك ببغداد وأسجل القضية بنفهم من لقب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضى والمرضى وابو حامد

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٠

ذلك لما كانوا عليه من الاحساد في الدين والتمتع في الرافضة فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالذي يغنى عنهم من الله شيئاً في كفرهم فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم . وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها يا فاطمة اعلمي فلن اغني عنك من الله شيئاً . ومتى عرف امرؤ قضية او استيقن أمراً وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . والنقوم كانوا في مجال ظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم . وتكرر خروجهم مرة بعد اخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل .

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني

حتى لقد سمي محمد بن اسماعيل الامام جد عبيد الله المهدي بالمتكتم سمته بذلك شيعته كما اتفقوا عليه من اخفائه حذراً من المتغلبين عليهم . فتوصلت شيعة بني العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الرأي القائل للمستضعفين في خلفائهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الأعداء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم معرفة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتامين شيعة العبيديين وأهل دعوتهم ، حتى لقد سجل القضاء ببغداد بنفهم عن هذا النسب ، وشهد بذلك عندهم في أعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضى وأخوه المرتضى وابن الطحاوي ومن العلماء أبو حامد الاسفرائي والقُدوري والصيرى وابن الاكفاني والابوردي وابو عبدالله النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من أعلام الاممة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة اثنين واربعمائة في أيام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهروا وعرفوا به بين الناس ببغداد . وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه جسيماً ووعوه والحق من ورائه . وفي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله الى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبهم . فالمعتضد اعرف

الاسفراني والقديري في عدة وافرة عندما جمعوا لذلك في سنة اثنتين واربعمئة ايام القادر وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها انما هم شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب من بني علي بن أبي طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من وراء هذا وكفالك بكتاب المعتضد من خلائف بني العباس حجة فانه كتب في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة بالقبض على عبيد الله فتفطن أعزك الله لصحة هذا الشاهد . فان المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه اذ القوم حينئذ لا يعون لدعي البتة ولا يذعنون له وانما ينقادون لمن كان علوياً فخاف مما وقع ولو كان عنده من الادعاء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الارض وانما كان القوم اعني بني علي بن أبي طالب تحت رقب الخوف من بني العباس لتطلبهم لهم في وقت وقصدهم ايام دائماً أنواع من العقاب فصاروا ما بين طريد وشريد وبين خائف ومتربص ومع ذلك فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة في اقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم لا مزيد عليه فتكرر قيام الرجال منهم مرة بعد مرة والطلب عليهم من ورائهم فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون حتى تسعي محمد بن اسماعيل الامام جد عبد الله المهدي بالكتوم سمياه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذراً من المتغلبين عليهم^(١) ... الخ .

وذكر المقرئ في أنه أثر عن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم انه قال في ٢٥٢ هـ (٨٦٨ أ) ان المهدي سيظهر بعد اثنين واربعين سنة أي سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) فعبر الفهري عن هذا التصريح بأسلوب شعري حيث قال في قصيدة ننقل منها هذه الأبيات :

ألا يا شيعة الحق ذوي الايمان والبر

ومن هم نصره الله على التخويف والزجر

(١) خطوط الميرزا ج (١) ص ٣٤٨ الى ٣٤٩ واتعاط الحنفاء من ص ٢٤ الى ٢٦ .

فعند الست والتسعين قطع القول في العذر

لأمر ما يقول الناس بيع الدر بالبر^(١)

ونقل هذه الأبيات مسيو كترمير ونشرتها المجلة الاسبوعية الفرنسية في عدد أغسطس سنة ١٨٣٦ .

واليك أيها القارئ نص أحد المحاضر التي كانت تزيف لأبطال نسب الفاطميين ولعله واحد من ألوف حررت لنفس هذا الغرض .

وهم منسوبون الى ديسان بن سعيد الخرمي اخوان الكافرين ونطف الشياطين شهادة يتقربون بها الى الله ومعتقدين ما أوجب الله على العلماء ان ينشروه للناس فشهدوا جميعاً ان الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم - حكم الله عليه بالبور والحزي والنكال - ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعده الله فانه لما صار الى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي هو ومن تقدمه من سلفه الارجاس الانجاس - عليه وعليهم اللعنة - ادعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب . وأن ذلك باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون ان أحداً من الطالبين توقف عن اطلاق القول في دلاء الخوارج انهم ادعياء وقد كان هذا الانكار شائعاً بالخرمين في أول أمرهم بالمغرب ، منتشرأ انتشاراً يمنع من أن يدلس على أحد كذبتهم ، أو يذهب وهم الى تصديقهم وان هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار فساق فيجار زنادقة ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون ، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية وكتب في (شهر) ربيع الآخر سنة اثنتين واربعمئة^(٢) .

وذهب شعراء الاغالبية المتشيعون من أمثال ابن سعدون الدرجيلي الى القول بصحة هذا النسب ، كما يتبين ذلك من هذه الأبيات التي أنشدتها هذا الشاعر في حضرة المهدي عبيد الله وابي عبيد الله الشيعي .

(١) المقفي الكبير - المكتبة الاهلية بباريس مخطوط ٢١٤٤ ورقة رقم ٢١٢٠٠ (ب) .

(٢) من النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

هذا أمير المؤمنين تشعشت لقدومه أركان كل أمير
هذا الامام الفاطمي ومن به آمنت مغاربهها من المحفور
يا من تخير من خيار دعائه أرجاهم للعسر والميسر

وقد ذكر مسكوية والمقرزي ان نصر بن احمد الساماني أمير خراسان بعث
الى المهدي بكتاب يعترف فيه بسلطته الروحية ويعد بامداده بالرجال ، كما يتبين
من هذه العبارة : « انا في خمسين الف مملوك يطيعونني ، وليس على المهدي لهم
كلفة ولا مؤنة ، فان امرني بالمسير سرت اليه ، ووقفت بسيفي ومنطقتي بين
يديه وامتلئت أمره (١) ... الخ .

وقد أشاد كترمير Quatremare في كلامه عن أصل الفاطميين بهذه
العبارة « بين انه لسوء الحظ ، فان بعد الزمن وما ساد العقول من أوهام ، وما
تسلط على نفوس الرجال من نزعات وميول وما أدلى به المؤرخون من أدلة
متناقضة متضاربة : فريق - ألف وكتب متأثراً بسلطان الخلفاء العباسيين
وفريق آخر قام بهذا العمل بحارين أعداء هذه الاسرة - كل ذلك لإحاطة هذه
المسألة بظلام دامس ، لا يستطيع مشعل النقد كشفه إلا بشكل ناقص مبتور » .

وهناك مثل آخر وهو ما سبق ان أشرنا اليه من احراج ابن طباطبا للمعز
بسؤاله عن نسبه وكان ان سل المعز سيفه قائلاً : « هذا نسبي » ونثر الذهب
الكثير قائلاً « وهذا حسبي » هذا مثل أقوالهم ونحن نشك فيه كل الشك - اذا
علمنا انه لما وصل المعز مصر سنة ٣٦٢ هـ كان ابن طباطبا قد مات سنة ٣٤٨ هـ
أي قبل أربع عشرة سنة من مجيئه (٢) .

وجاء في سيرة المؤيد الشيرازي داعي المستنصر بالله الفاطمي هذه العبارات التي
نقلها . وقد كان المؤيد يسجل الوقائع بنفسه وهو الذي ناظر ابا العلاء المعري

(١) المقرزي - كتاب المقفي الكبير - المكتبة الاهلية ببائس مخطوط ٢١٤٤ ورقة
١٢٢٢ (أ - ب) .

(٢) الفاطميون في مصر من ٧٠٠ الى ٧١٠ .

في أكل لحم الحيوان وهذه السيرة مع باقي مؤلفاته الاخرى مخطوطة ومحفوظة
بدار الكتب الاعظمية بباكستان . بينما أنا جالس (في ايران) ذات يوم اذ قرع
الباب بهول . فقيل من على الباب ؟ قالوا فلان ابن فلان أحد أصحاب الملك
(كاليجار) من الأضداد المبائنين بالشقاق الداخلين مع المارق المقدم ذكره
مدخل كل بليه فدخل وقمت له واكرمته قال أين الكتاب الذي احضره اليك
كاتب فلان الفراشدار ويحتاج أن ترده الى حضرته فسمعت شيئاً نكراً لا علم به
فقلت أي كتاب ؟ قال ذلك النذل كأنك لست تعرفه وتشككي في عرفانك
به مع ما صح لي من احضاره اياه بين يديك استراقاً من صاحبه وتقرباً به اليك
وقالوا انك أحرقتك قلت فطالبتك لي برد شيء أحرقتك تكليف ما لا يطاق .
قال فان الملك تقدم باحضار الكاتب المذكور وحبسه في الخلاء في شر موقع
وهو متوعد بقطع يده الساعة ان لم ترده وقال الملك اني أعرف أنك تتحوب
من أن ينال انساناً ضرر تكون أنت سبيله ، فجد على هذا البائس بيمينه وحام
عليه من قطعها برد الكتاب . قلت إن شاء فليقطع يده وان شاء فليقطع رأسه ،
فيا على حوب فيما يفعله به . والكتاب المشار اليه لم أره ولم يقع عليه ولو قلت لي
أي كتاب هو لعلني كنت أقع على مثله فأحمله اليه ان كان له بحضورته هذا النفاق
العظيم . قال هو كتاب مصنوع في ابطال انساب أئمة الدين بصر والابانة عن
كونهم موهين مدلسين ونشر مطاوي مثالبهم ومعائبهم . وان هذا الكتاب
أحضره العلوي الذي ناظرك فلما استتمت قراءته أسلمه الملك الى فلان الفراشدار
ليحفظ له فحمله الفراشدار الى بيته واذكى كاتبه عينه على الذي أودعه اياه
فأخذه وجاء به اليه ولما كان هذا اليوم حضر وأرسل العلوي يطلبه وقال ان
كنتم غنيمت عنه فردوه الى فنسي الملك لمن أعطاه وإلى من سلمه . ففكر فيه ملياً
فتذكر وقال للفراشدار رده فقال حتى أطلبه في بيتي فذهب وعكس داره
وحزائنه فلم يجده فيه فعرفوا ان كاتبه سلمه منه وأحضره عندك وتقرب به
الى قلبك بكونه من أهل مذهبك ، فقلت والله ما وقع طرفي على هذا الكتاب
ولا أحضر بين يدي ومالي منه علم وان كان عندكم هذا الفرح به وبثله فليس
هو بالكبريت الاحمر ان أشباه ذلك وما هو في معناه كثيرة والمواضع مشحونة

تمثل القديسين ، ومعمودية يقال ان المعز لدين الله تمعد فيها سرّاً « بنصه وفصه »
بل بعجره ويجره ، بل باكذوبته وضلالته .

هكذا تكون الديسة ، والا فلا ...

أأنت تنفث السم وتغشيه بطلاء كذاب بلفظ (يقال)

أأنت ترسل الديسة تسعى مثل الافعى ، وقد غطيتها بثوب الرياء الشفاف
أي بكلمة « يقال » هذه الاخدوة ، يا عزيزي مرقس باشا ، هي مفضوحة
وفوق المفضوحة . فانك تخيلت أنها تفيد سهام الملاح ، فيما لو قام أحد لحاسبتك
عليها ، فتكون في حل من الكذب ، ونشر الكذب وترويج الكذب ،
في وثيقة رسمية صادرة باسم الحكومة المصرية (وأكرر أنه لا يهمنا ان تكون
الحكومة اسلامية او ارثوذكسية ، استقلالية أم بروتستانتية) أنت ظننت
انك فتحت لنفسك باب الخلاص من هذا المأزق الحرج ، يا شاطر
ولكنك وقعت يا شاطر وكانت وقعتك غير موفقة ، يا شاطر !
فلو انك استنجدت ببليس وبكل كذاب في العصر القديم ، وفي العصر الحديث ،
ما أمكنك أن تتخلص من هذه الورطة ، إلا اذا أدليت أنا اليك بمجبل النجاة ،
يا مسكين ! أنت تقول في وثيقة رسمية لحكومة مصر « يقال ان المعز لدين الله
تمعد سراً في كنيسة بدير أبي سيفين » أين قيل هذا ، يا صادق النقل ويا صحيح
العقل ؟ من ذا الذي قال لك قبلي ، يا صاحب الامامة ، يا رب الشرف ؟
لا أحد ، لا أحد ، لا أحد ! بل هنالك واحد ، قال ذلك وذلك الواحد أنا
أعرفه كما تعرفه أنت ! ذلك الواحد هو :

سعادة مرقس سميكة باشا ، ولا غيره ! الخ .

ومما قال الأستاذ محمد عبد الله عنان في جريدة السياسة يوم أغسطس سنة
١٩٣١ : وبعد فقد رأينا أن المعز قدم الى مصر من افريقية في سنة ٣٦٢ (يونية
سنة ٩٧٣) وانما خلافته لم تطل أكثر من عامين ونصف عام إذ توفي في ربيع
الثاني سنة ٣٦٥ . وكانت ثورة القرامطة تهدد ملكه الجديد في مصر ودمشق :

منها بما صنعتة أيدي السفلى وأعداء الرسول (ص) وأنا أحصل لكم مثله أن
شتم وافرج قلوبكم به فيخرج الرجل من عندي بعدد مكاشفات جرت بيني وبينه
وأحوال لم أعتمد فيها رفقا ولا هودة بل جردت لساني عليه وعلى مرسله وقلت
انني قاعد منجوف للهوت وانني ليعجبني أن أكون مستشهد بأيديكم . فاقضي يا فرعون
ما انت بقاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا . وكان الكاتب البائس المتهم بسرقة
الكتاب وحمله الي باقيا على جملته في الاعتقال الى ان قضى الله من سواد وجوههم
ما قضى وذلك ان رجع الفراشدار إلى داره مغموما لما يرى حلوله بكاتبه من
البلاء فقالت جارية من جواريه انك كنت سلمت الي دفترأ يوماً من الايام
فخبأته عندي في مقدمتي ولعله هو المطلوب المحبوس كاتبك من أجله . فقال
الفراشدار هو المطلوب وليس المطلوب غيره . فأخذه فرداه الى الملك
وسقط في يده وزاده ذلك خجلاً على خجل^(١) .

وحتى في هذا العصر الأخير حين قامت الكذوبة مرقس سميكة باشا في تنصير
المعز وقد أتاح الله من المصريين من ينافع عن هذا الخليفة ويستبسل للدفاع عنه
بالحجة القاطعة وسيف البرهان الصارم حتى اعترف ذلك المختلق وردت الفرية
على مفتريها وبارت الخديعة على مروجيها .

وقد صدر كتاب مستقل يتناول الرد البليغ لما افتراه أو تورط فيه مرقس
سميك في تنصير المعز لدين الله الفاطمي وسنقدم الى القارىء بعض جمل من
مقالات بعض هؤلاء الكتاب المؤرخين المعروفين والعلماء المشهورين .

مما قال أحمد زكي باشا شيخ العروبة في مقالته الاولى : (ص ٢٣ من الكتاب
المذكور) لعلك تدافع عن نفسك ، يا عزيزي مرقس باشا بأن الذي خطته
يمناك في التقديم باسم قلم نشر مطبوعات الحكومة بالمطبعة الأميرية الرسمية
(في صفحة ١٧١) اثناء كلامك على دير أبي سيفين انما هو قولك بالحرف :
« ان هناك كنيسة صغيرة بها أحجبة من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة .

(١) سيرة المؤيد في الدين داعي دعاة المستنصر بالله ص ٩٩٠

الرهبان ودفنه في كنيسة المسيحيين ولعل قائلاً يقول ان أصدقاء الدولة الفاطمية كتموا ذلك خوف العار وانتقاض المملكة فنقول وأين كان المؤرخون من رعايا الدولة العباسية أعداء الفاطمية وهم كانوا يبحثون جاهدين عن معائب يلصقونها بالدولة الفاطمية . ان العباسيين قد عيوا بأمر الفاطميين وغصوا بمكانهم وخافوا منهم على دولتهم وقد قاسمهم الفاطميون بمالك الاسلام وكانوا شجى في حلق الدولة العباسية وقذى في عينها . وكان العباسيون يحاربونهم بالدعاية الدنيئة فتارة ينفون نسبهم عن آل البيت (بيت الرسول) ويجعلونهم أديعاء وغلين فيهم والشهود على ذلك العلماء وكبار الدولة . وتارة يرمونهم بالاحاد والكفر فلم يتركوا هذه التهمة لا يلجون عليهم منها ؟ ولم يتركوا هذا المقتل وقد كان لهم بادياً ويلجأون الى نفي نسبهم وهو ما لا يسلمه التاريخ ؟.... الخ .

ومما قيل تحت عنوان : صديقي باشا يقضي على الدسيسة المرقسية ، بادعياء تنصر الخليفة لمعز لدين الله ص ٦٥ فيقول : فيما أيتها الروح الحائرة ، روح المعز لدين الله ، روح المجاهد في سبيل الله ارجعي الى ربك راضية مرضية فقد أدى واجبه وزير خليفتك على مصر جلالة فؤاد الأول الذي يجلس في مصر بمجلس المعز لدين الله ينشر فيها العدل والأمان . فهذا الوزير الحازم بسيف حكمته ذلك الباغي أنت يقطع بيده لسان فريته . ارجعي أيتها الروح الطاهرة الى مقرك في دار الخلود ، وأنت أيتها العظام الشريفة المضطربة في قبرك الكريم اهدئي . اطمأني . قري في مكانك . فهذا وزير خليفتك قد أحسن الى سمعتك صنعاً كما أحسنت في حياتك الى المسلمين والاسلام صنعاً الخ .

ومما قال حضرة الاستاذ ابراهيم بك جلال القاضي يوم ٢١ أغسطس في جريدة المقطم : هو الرابع من خلفاء الفاطميين ولكنه الاول بالديار المصرية . وكان عالماً فاضلاً جواداً حسن السيرة منصفاً للرعية ملماً بعلم النجوم . خطب له على منابر الغرب كله من أقصى المغرب الأقصى الى برقة ومصر والشام والحرمين واليمن وبعض العراق وكانت جزيرة صقلية وسيلسيا واقليم جنوى من أملاكه وكان أسطوله ٦٠٠ قطعة يسود البحار . وكانت عصبية دولته من قبائل البربر

وكان القرامطة قد زحفوا على مصر بالفعل في أوائل سنة ٣٦١ بقيادة زعيمهم الحسن الأعصم ونشبت بينهم وبين جيوش المعز بقيادة جوهر الصقلي معارك هائلة على مقربة من الخندق حتى انتهت بهزيمتهم وارتدادهم نحو الشام . ولكنهم اجتمعوا ثانية وقصدوا دمشق وفيها ابن فلاح من قبل المعز ، فاقتحوها واستولوا عليها ، ثم زحفوا ثانية على مصر بقيادة الحسن الأعصم أيضاً ، فلقيتهم جيوش المعز على مقربة من بلبس ، وهزمتهم وأمعنت فيهم قتلاً . وذلك في أواخر سنة ٣٦٣ هـ . وكتب المعز الى زعيم القرامطة كتاباً طويلاً يدعوه فيه الى الطاعة والهداية ، ويشرح فيه الدعوة الفاطمية وأصولها . وهي وثيقة هامة تدل عباراتها وروحها على مبلغ حرص المعز على التمسك برسوم الأمانة ، وأصول الدين الخ .

ومما قال أحد المتصوفين المعروفين بنصر محمد ماضي أبو العزائم في جريدة وادي النيل بالاسكندرية ١٥ أغسطس سنة ١٩٣١ : واني لا أعتقد أن الطمع في الزلفى عند المتسلطين هو الذي حدا بأنصار دعاة النصرانية الذين هم طلائع الجيوش الظالمة أن يقف خطبائهم على المنابر بالأمس يؤذنتنا فيمن نفديه بالأرواح والأموال والأولاد .

ثم يقدم اليوم بعدهم رجل يؤذنتنا بنشر كتاب باسم الحكومة المصرية المسلمة يقول فيه ان خليفة من ملوك مصر تنصر غير هيب من حجة التاريخ ولا من حكومة هو أحد موظفيها وعلى رأسها رجل أقل ما فيه أنه مسلم يغار لدينه ، ولا من أمة أحسنت الى النصارى في مصر كل الاحسان فجعلت منهم الوزير والقاضي والثري ولا من الحكمة الماثورة التي تقول : الحكومات بائدة والأمانة خالدة وهو في النهاية لا يخشى على قومه من بعده من حكم التاريخ القاسي الذي يجعلهم بالعار الخ .

ومما قال ، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة وكيل كلية التشريعية بالجامعة الأزهرية في جريدة الأهرام ص ٥٧ : ليس المعز خامل الشأن ولا مغفور المكان ولا هو واحداً من غمار الناس وليس الحادث قليل الخطر ، بل هو شديد الخطر عظيم الوقع لأنه ارتداد خليفة مسلم عن الاسلام الى دين النصارى ولبسه زي

صنهاجة وزناتة ولواتة وكتامة ولكن العنصر الرومي من أبناء صقلية كان ظاهراً بين جنوده وخاصته وعلى رأسهم قائده العظيم جوهر الصقلي . وقد جلس المؤرخون على اختلاف مشاربهم يعددون مناقبه وحسن سياسته ، وحزمه الذي يفوق حزم المنصور العباسي ... وختم مقالته قائلاً : وصارت القاهرة من عهد المعز حاضرة الاسلام الكبرى كل أيام الفواطم الى أن دالت دولتهم عام ٥٦٧ هجرية .

ومما قال الدكتور حسن ابراهيم حسن استاذ التاريخ بالجامعة المصرية في جريدة البلاغ يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٣١ : واذا كان المعز نصرانياً — ولو في الباطن — فلا ينتظر منه ان يعمر المساجد ، وينشئ الجامع الأزهر العظيم ، وأن تضرب السكة باسمه ، ويشيد فيها بالاسلام وبالنبى وعلي بن أبي طالب وأولاده من بعده ، فينقش عليها « لا اله الا الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين » ... الخ .

ومما قيل تحت عنوان « تصريح فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر (السابق) ص ٧٣ وفي ٢١ أغسطس تلقى حضرة الاستاذ الفاضل أحمد عبدالحليم العسكري احد محرري الأهرام من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ الأحدي الطواهري شيخ المعاهد الدينية التصريح الآتي :

السؤال : واسطورة تنصر المعز لدين الله يا مولانا . فهل بلغ الى مسامح فضيلتكم تلك الضجة التي أقيمت بشأنها . وهل من الانصاف أن يقال عن المعز لدين الله مؤسس الأزهر انه تنصر في احدى الكنائس ؟

الجواب : نعم سمعت بها وعذبت لموضوعها كل العناية لأن المعز لدين الله عظيم من عطاء التاريخ الاسلامي وكان من أثاره بناء الجامع الأزهر وهذه الأسطورة لا أساس لها من الصحة ... الخ .

الادب في عصر الفاطميين

الأدب فن كسائر الفنون يشف عن كيان الامم ويتحدث عن صورة حياتها ويوضح ما اشتملت عليه تلك الحياة من عواطف وميول ومن آراء وأهواء . والأدب يفوق الفنون جميعاً في هذا النحو من الابانة والايضاح لأنه تصوير حي واستدلال ناطق ولأنه يبيد في وضوح ما اشتملت عليه أنظمة الشعوب وعقائدها ومدنياتها وأطوارها . وكما كان الأدب الجاهلي صورة من حياة العرب وكان في جملته وصفاً لمضارب خيامهم ومنتج قبائلهم ونعوت رماحهم وخيولهم وابلهم ، والحديث عن مغازيهم وحروبهم . فكذلك كان الأدب في عصر بني أمية يستطيع ان يصور لنا ضروب النزاع وأنواع المذاهب والخلافات التي سببها قيام الدولة الاموية وما تبعها من اضطهاد للخصوم ومحابة للأنصار . وعلى هذا كان الأدب في بغداد مرآة صافية تجلت فيها الحياة العباسية والحضارة البغدادية بكل ما فيها من خير وشر . فكنت تلص في ذلك الأدب مذاهب الحكمة والفلسفة كما كنت تجد فيه ضروب الخلاعة والمجون والاسراف في التخرجات والغزليات وكان الشعر يمد الخلافة بروحه المعنوية ويستمد منها غذاءه المادي ولعل الأمصار الاسلامية لم تخل من أدب قوي الا ان اصحاب ذلك الأدب لم تواتهم الخطوة بقصور الخلفاء ومحافل الوزراء ومجالس الندماء وكما ان صناعة الادب لا تروج إلا حيث الحضارة ومظاهر الثروة فكذلك الرواية كانت تابعة له في كل ذلك حين أصبح أمر العباسيين في يد غيرهم . ارتحل الشعر والنثر عن ساحتهم لينشد له بيئة أخرى يترعرع فيها وينمو في ظلها . وقد انتقل الشعراء فعلاً يلمتسون لأنفسهم في الشام دولة يقيمونها في ظل بني حمدان . وكان ملوك

تلك الأسرة يشجعون العلم وينصرونه ويستقبلون الشعر ويحيونه . فنحنذ أوائل القرن الرابع كاهن الحجاج بالعراق « قال السيموطي » دخل مصر ومدح المعز وأولاده والوزير بن كلثوم ومات سنة ٥٣٩ . ومن ذكرياته قوله :

ليالي النيل لا أنساك ما هتفت ورق الحمام على دوح وأغصان
أصبو الى هفوات فيك لي سلفت قطعتني وعيون الدهر ترعاني
مع سادة نجب شم غطارفة في ذروة المجد من ذهل بن شيبان الخ

بدأ عصر المتنبي وأبي العلاء بالشام على ما هو معروف ومشهور . أما مصر فلم تكن قبل الفاطميين مستعدة لانماء دوحة الأدب أو تشجيع الشعراء بالجوائز والصلات وكان ولايتها من قبل العباسيين بعيدين في جملتهم عن متناول اللغة وفهم أسرار البلاغة العربية والاطلاع على محاسنها ودقائقها . وكان في مصر الفقه والفقهاء والحديث وبقية العلوم الدينية . أما الشعر الجميل أو النثر البديع فلم يكن له مدخل الى نفوس الولاة ولا منفذ إلى صدور العمال وقد ورد المتنبي مصر وسرعان ما ارتحل عنها حاملاً في قلبه ذلك الحقد الذي ضمنه قصائده ومضى يطلب من بلاد المشرق لشعره مستمعاً ومجيزاً (وان كان للمتنبي ظرفه الخاص) .

الفاطميون ومصر

عندما قامت الدولة الفاطمية على ساقها كان مفروضاً انها من العروبة في الركن الأصيل ومن الهاشمية في المكان الجليل . وكان أولئك الخلفاء بأنفسهم دعاة علم وأصحاب فقه وكلام . إذ كانت دعوتهم تقوم كما أسلفنا على مذهب يحتاج دعاة والقائمون به الى نصيب من التعليم غير يسير . فاحتاجت هذه الدولة الى قوة البيان تضيفها الى قوة الأجناد والأعوان . وقد تم لها ذلك قبل أن تطأ خيول عسكرها وادي النيل . وقد كان لهم شعراء يتغنون بمفاخرهم وينظمون القصائد في مآثرهم .

وقد سبقت أبيات ابن سعدون الوريثي في مدح المهدي عبيد الله .

وقال أبو القاسم الفزاري القيرواني في المنصور بالله بن القائم بن المهدي بالله الفاطمي قصيدته المعروفة بالفزارية وهي موجودة في دار الكتب المصرية (أدب ٢٤٠٣١٠ ش) التي - أولها :

لعمرك ما أوس بن سعدى بقومه ولا سيد إلا وما رقيس بن عاصم الخ .
ومن أشهر ما اتصل بالمعز من الشعراء أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق قال صاحب التسمية هو نادر الزمان ، وجملته الاحسان ،
ومن تصرف بالشعر الجزل في أنواع - الجذ والهزل ، وهو بالشام .

وقال عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي يهنيء العزيز بخلافة مصر ويرثي أباه المعز لدين الله :

قد أصبح الجوهر العلوي منتقلا
يا منحة كملت في محنة عظمت
صنع من الله في خطب أتيج لنا
كان الزمان بمن أبقى ومن أخذت حروفه
قام العزيز بما أفضى المعز به
فقام يحفظ مسترعى رعى فكفى
كالسيف منتصلا والبحر مندققا
ومنها : -

في طلعة البدر من شمس الضحى عوض
وما الأئمة الا أنجم زهر
ان المعز الذي لا خلق يشبهه
ملك وجدنا التقى والعدل عدته
سمت الى العالم النوري همته
وأرجعت نفسه في القدس عنصرها
لم يرض خلقا من الدنيا يجاوره
لولا نزار وعين الله تحرسه
فان مضى كافل الدنيا وما ضمنت
وان هوى الجبل الراسي فذا جبل
عمت خلافته الدنيا برونقها
ملك أغر وأيام محجلة
أضحت ماوك بني الدنيا له خولا
يأبى الملك المامول نائله ومن هو
كان السرير سرير الملك منخفضا
ومن كبار الشعراء في عصر الفاطميين محمد بن القاسم وكان شاعر الحاكم
بأمر الله . وهو صاحب البيت المشهور قاله في الحاكم :

مازلت مصر من سوء يراد بها لكنها رقصت من عدله طربا
ومما رثى به المنتصر حظي الدولة أبي المناقب عبد الباقي بن علي التنوخي
شاعره :

وليس زدى المستنصر اليوم كالردى ولا أمره امر يقاس به أمر
لقد هاب ملك الموت اتيانه ضحى ففاجأه ليلا ولم يطلع الفجر
فأجرى عليه حين مات دموعنا سماء فقال الناس لا بل هو القطر
وقد بكى الخنساء صخرا وأنه ليبكيه من فرط المصاب به الصخر
وقلدها المستعلي الظهر حسب ما عليه قديما نص والده الطهر^(١)

وان الخليفة الحافظ ، أمر الشعراء أن يختصروا قصائدهم ولذلك يقول
أحد الشعراء :

أمرتنا ان نصوغ المدح مختصرا لم لا أمرت ندى كفيك يختصر
والله لا بد أن تجري سوابقنا حتى يبين لها في مدحك الأثر^(٢)
وقد اجتذب جود الفاطميين الى مصر شاعرا معروفا وهو أبو الحسن علي
بن ابراهيم الملقب بابن العلاني من اهل معرة النعمان منبت الشاعر أبي العلاء
المعري . ومما قال هذا الشاعر :

فمكة مصر والحجيج وفوده ويمناه ركن البيت والنيل زمزم
وشاكر ما تولى مقر بعجزه ولوانه في كل عضوله قم ... الخ

(شرحه رقم ورقة ١٣٣ ب) وقد عبر جعفر بن أبي زبيد عما خالج ضميره
من أسى بعد مغادرته مصر الى بغداد في قصيدة منها :

وما قصدنا بغداد شوقا لأهلها ولا خنيت مذقط أبصرنا عنا ؟
ولا اننا اخترنا على مصر بلدة سواها ، ولكن المقادير ساقتنا الخ ..

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣

(٢) عماد الدين الاصفهاني مخطوط ٣٣٣٢٨ ورقة ١١٠ ب .

وكان ابن الضيف وهو من شعراء الفاطميين الذين عاشوا في عهد الخليفة الأمر ، ملحداً في نظر عماد الدين الذي أبى أن يودع كتابه بعض القصائد التي نظمت في مدح الفاطميين محلاً ذلك بهذه الكلمات : « ابن الضيف كان من دعاة الاعياء ، المغالين لهم في الولاء . وكان في حدود سنة خمسمائة في عهد آمرهم . وله فيه مدائح كثيرة ... وكنت عازماً على خطه ، لانه أساء شعراً وان أحسن شعراء ، بل أظهر كفرأ ... لكنني لم أر أن أترك كتابي منه صفراً ، لانه البحر الزاخر يركبه المؤمن والكافر ، ويقصده البر الفاجر » .

(عماد الدين الاصفهاني ، المكتبة الملكية بباريس ، ومخطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ٥٢ ب) ويحدثنا القريني في عبارة شائقة أوردها في سياق كلامه عن المنطرة التي كانت تطل على بركة الحبش ، التي شيدها الخليفة الأمر فيقول : « في هذه المنطرة طاقات ، وعليها صور الشعراء ، كل شاعر واسمه وبلده . وعلى جانب كل من هذه الطاقات قطعة من القماش ، كتب عليها قطعة من شعر الشاعر في المدح . وعلى الجانب الآخر رف لطيف مذهب . فلما دخل الخليفة وقرأ الاشعار ، أمر أن توضع على كل رف صرة مختومة فيها خمسون ديناراً ، وان يدخل كل شاعر ويأخذ صرة بيده » (١)

وقد يتبين مبلغ جود الخلفاء الفاطميين وكرمهم من هذين البيتين اللذين نظمهما أبو العباس أحمد بن مفرج .

امرتنا ان نصوغ المدح مختصراً لم لا امرت ندى كفيك مختصر
والله لا بد ان تجري سوابقنا حتى يبين لنا في مدحك الاثر

ولقد كان لهم من مطولات ابن هاني عدة أدبية استطاعوا أن يبدأوا عصر المنافسة وعهد المساجلة واذا علمت ان ابن هاني قضى حياته الاولى بين عواصف الاضطراب ومطارح الاغتراب وان عيشه بالاندلس كان عسيراً مريراً ألزمه تحمل الاعباء وتلقي سهام الاعداء فانك لا ترى مندوحة من الايمان بتشجيع

(١) خطط القريني ص ٤٨٦ - ٤٨٧

الفاطميين للأدب عندما تدرك مبلغ حفاوتهم بابن هاني وقد أتى في ظل دوحتهما وقضى الشطر الأخير من عمره خادماً لدولتهم وترجماً ينشر في المشرق والمغرب دعوتهم . وطاب له المقام وأجزل له العطاء فاغترف من بحر الثناء ما شاء . ولو تصفحت أشعار ابن هاني للست فيها قوة ايمانه بالدعوة الجديدة وبيدو ان اكرام المعز له قد نشط بجرسته الفكرية وحلق به في السماء حتى كان يضيء فيها مع المتنبى في أفق واحد من البيان وعلو الحكمة وضرب الأمثال وإلى غير ذلك ولعل شخصية ممدوحه كانت على ما تليه شخصية اخرى على المتنبى . فهذا وغيره كانوا يمدحون عمالاً وامراء ووزراء وكان ابن هاني يمدح خليفة واماماً . ولو قدمنا الأمثلة في مدائحه لاستفاض بنا القول الى الاطالة وديوانه مطبوع مشروح .

ولما قدم المعز كانت مصر نهاية الأمل وبداية العمل أعني ان قد حمل اليها رفات السالفين وحضر الى قصره بكل ما لديه من نفائس وذخائر كان لا بد له من التفاني والاخلاص لوطنه الجديد فقد كان بحق مصرياً في كل شيء ولم تعد له ولا لبقية الفاطميين صلة بمسقط رأسه ومطلع أفقه . وما كادت الدولة تستقر حتى تألفت في سماء الأدب نجوم زاهرة وجيوش زاخرة . حمل رايتها ولده الأكبر الأمير تميم . وبدأ للشعر والنثر سوق حافلة ومنابر قائمة ومراسلات سائرة يشجعها المال وتغذيها المكتبات وتنميها المساجد والمدارس والجامع . وتتعاقب عليها الفرص المتوالية من تلك المواسم التي أقاموها والموائد التي ابتكروها فكانت مواسم للشعر قبل ان تكون للمظاهر أو للأعياد وفوق ذلك كله فانك لو قرأت كتاب الخليفة المعز إلى حسن القرمطي ورأيت نفسك بين يدي ملك قد أحاط باللغة والحكمة إحاطة السوار بالمعصم . أقول انك لو قرأت ذلك السحر الحلال من ذلك الكتاب المطول لأخذت عليك بلاغة مشاعرك واستولت على مجامع لبك ونواحي تفكيرك . وبدا لك من ذلك الملك القاهر فيلسوف ساحر أو حكيم نادر ولا اقصد بهذا إلى المدح او الأطراء ولكنني أردت أن أعرض ما يشعر به الأديب عندما يطلع على ذلك البيان الخلاب . فيرى ان

الخليفة يحمل بيده صولجان الأدب ويقوم من نفسه كاتباً يذكره بما عرفت من عبد الحميد وما درست من ابن العميد . والناس على دين ملوكهم .

ويحمل بنا أن نجتزي للقارىء يحمل من هذا الكتاب المسهب تشهد بعالمو كعبهم في الأدب ومبلغ علمهم بالأساليب الفخمة والبلاغة الساحرة من لغة العرب ويمكن الاطلاع على الكتاب يحملته في كتاب اتعاط الحنفاء للمقرئ ص ١٣٣ - ١٤٣ « من عبد الله ووليه وخبرته وصفه معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل علي أفضل الوصيين ، الى الحسن بن أحمد . بسم الله الرحمن الرحيم ... أيها الناس ، ان الله جل وعز اذا أراد أمراً قضاه ، واذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحاً ، وأبرزنا أرواحاً ، بالقدرة مالكين ، وبالقوة قادرين حين لا سماء مبينة ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضيء ولا قمر يسري ولا كوكب يجري ، ولا ليل يحن ، ولا أفق يكن ولا لسان ينطق ولا جناح يخفق ولا ليل ولا نهار ، ولا فلك دوار ، ولا كوكب سيار . فنحن أول الفكرة وآخر العمل ، بقدر مقدور وأمر في القدم مبرور ، فعند تكامل الأمر ، وصحة العزم وأنشأ الله جل وعز المنشآت ، وابدأ الأمهات من الهيولات ، طبعنا أنواراً وظلمة ، وحركة وسكوناً ، كان من حكمه السابق في علمه ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار وما في الافاق من آثار معجزات وأنوار باهرات وما في الأقطار من الآثار ، وما في النفوس من الأجناس والصور والأنواع من كثيف ولطيف ، وموجود ومعدوم ، وظاهر وباطن ومحسوس ولمحسوس ، ودان وشاسع وهابط وطالع ، كل ذلك لنا ، ومن أجلنا دلالة علمنا وإشارة الينا يهدي به الله من كانت له لب جميع وراي صحيح ، قد سيقنت له منا الحسنى فدان بالمعنى) وختم كتابه بهذه الجمل (وان أبيت الا فعل اللعين فاخرج منها فانك رجم وان عليك اللعنة الى يوم الدين ، اخرج منها فما يكون لك أي تنكب فيها قيل اخسئوا بها ولا تكلمون فما أنت الا كشجرة خبيثة من فوق الارض ما لها من قرار فلا سماء تظلك ولا أرض تقلك ولا ليل يحنك ولا نهار يكتك ، ولا علم يسترك ،

ولا مئة تنعرك ، قد تقطعت بكم الأسباب ، وأعجزكم الذهاب ، فأنتم كما قال الله عز وجل ، مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، فلا ما جأ لكم من الله يومئذ ولا منجاً منه ، وجنود الله في طلبك قافية ، لا يزال ذوو أحقاد وثوار هجاء ورجال انجاد ، فلا نجد في السماء مصعداً ولا في الارض مقعداً ولا في الارض ولا في البحر منهجاً ولا (في) الجبال مسلماً ولا الى الهوى سالماً ولا الى مخلوق ملجئ . حينئذ يفارقك أصحابك ويتخلى عنك أجيالك ويخذلك أترابك فتبقى وحيداً فريداً وخائفاً طريداً وهائماً شريراً قد أهلك العرق وكظك الفلك وأسأمتك ذنوبك واذ دراك خزيك كلا لا وزر الى (ربك)

فماذا ترى في أمة كانت ترى نفسها بين يدي حكام من غير العرب لا يعرفون لغة سوى لغة السيف ولا بلاغة غير بلاغة السياط ثم في لحظة الطرف ترى نفسها ماثلة أمام ملك متوج بتاجين من ملك وبيان جالس على عرشين من بلاغة وسلطان أليس شأن ذلك أن يفتح القلوب المتغلة ويستخرج العبير من الأكام المغلقة . تشجع الشعراء والكتاب لما رأوا في خلافتهم الجديدة من نفوذ الى جمال - الأساليب وتجديد في صوغ التركيب ولما رأوا من أن وزراءهم قد استحالوا الى كتاب بارعين ونقاد مؤلفين ولما رأوا كذلك من أن القضاة والدعاة الفاطميين يشيئون محاضراتهم الدينية في أسلوب غير أسلوب القواعد الفقهية بل ذلك الاسلوب الطليع الشائق الذي تصادفه في نهج البلاغة وتوحيد جعفر الصادق وبيان الجاحظ ورسائل ابن هارون . تحدثنا كتب مراجع الأدب أن مائة شاعر قاهوا برثاء يعقوب بن كلس وأن جميعهم اجيزوا بما شجعهم وتمادى لهم في الانشاء والابتكار لذلك لا نعجب اذا سمعنا أن جملة الأقلام وحذاق النظم بدأوا - يوجهون أنظارهم شطر مصر ويولون وجوههم صوب ذلك الملك الفتى الناظر لينهلوا من تلك المدنية ما يروي الصدى ويبرد النليل ، فقد ارتحل عبد الوهاب ابن نصر المالكي من بغداد وهو شاعر عالم فقيه لم يكن بها مجهول انفضال ولا محمود المكانة ولكنه يعد نموذجاً للكثيرين من أضرابه وانداده الذين لم تغنهم بغداد مع وفرة علمها ومكتباتها ومدارسها وقد رأوه لم يعد لخليفته الا اسمه

على السكة والمنابر . وليس له بعد ذلك من الأمر شيء فارتادوا خصب الحياة وطيب المكان في بلد يشجع ملوكه ووزرائه على الاجادة في التفكير والابتكار في التأليف . ذلك الأدب وما لونه الفني وما هي اتجاهاته الفكرية .

ونعود الى الموضوع لنقول :

كان عبد الوهاب بن نصر المالكي من أهل بغداد وكان فقيهاً مالكياً مبرزاً ، كما كان أديباً وشاعراً . وقد وصفه أبو بكر البغدادي في كتابه « تاريخ بغداد » فقال انه كان ثقة في الحديث وانه لم يلق من المالكيين احداً افقه منه ويصف لنا ابن نصر في احدي قصائده معيشته في بغداد فيقول :

بغداد دار لأهل المال طيبة وللمفاليس دار الضنك والضيق
اصبحت فيها مضاعاً بين اظهرهم كأني مصحف في بيت زنديق

وقد رحل ابن نصر الى مصر واجتاز في طريقه معرة النعمان وبها يومئذ ابو العلاء المعري فأضافه عنده وأشار الى هذا الحادث في قصيدته الى خازن دار العلم ببغداد حيث يقول :

والمالكي ابن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا النأي والسفرا
اذا تفقه احيناً مالكا جدلاً وينشر الملك الضليل ان شعراً^(١)

الحق ان ذلك الأدب قد جمع بين مزيتين مزية الفخامة في التعبير والجزالة في التعبير ثم المعاني الطريفة التي كانت تملئها المناظر الطبيعية الجميلة وتحت سماء مصر الصافية وجوها المعتدل وهوائها السجيع وشمسها المشرقة وطبيعتها الضاحكة بألوان الزهور الراقصة على ضفاف هذا النيل فكان شعراً يشتمل على الأوصاف الدقيقة والمدايح البالغة والمراثي الدامعة والجدل الحار والفلسفة العميقة الا ان لغته اختارت لنفسها طريقة ومذهباً غير طريقة الأولين ومذهبهم فلم تعد إلى البداوة ولم تسلك سبيل الاغراب والتعقيد بل كانت سمحة في ألفاظها رقيقة في حواشيها وقد برأت من الجناس والمحسنات والثقل التي اخذت تترج

(١) سقط الزند ص ١٣٤ .

تحت أعبائها في عهد الأيوبيين ومن بعدهم عندما خمل الأدب وأدركته صناعة التحسين اللفظي .

وخلا من دقة التفكير والتحديد في المعاني . كان ذلك الأدب مصرياً ويحرق لمن يؤرخ الأدب المصري أن يبدأه بعهد الفاطميين لأنه العصر الذي أخصبت به العقول واستكملت البلاد فيه استعدادها من علم وحضارة ونظام واستقلال . واذا بلغت الأمة أوج السيادة سرت العظمة من روحها الى أديبها والحرية الى تفكيرها ولقد عرفت مصر بحق معنى سيادتها ومجدها على أيدي هذه الدولة التي تمصرت لحما ودماً فأصبح كل شيء من آثارها مصرياً بصيغته وحقيقته . وهذا قول الخليفة العزيز بالله يدلنا على أنهم أحبوا رعييتهم وامتلت قلوبهم لها حذباً وحناناً وأحبوا أن يروا آثار النعمة وفيرة في مصر وطنهم الجديد . وهذا منتهى اخلاص الخليفة لرعيته .

قال الوزير يعقوب بن كلس : « سمعت العزيز بالله يقول لعمه حيدرة : يا عم ، أحب ان أرى النعم عند الناس ظاهرة ، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر ، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار ، وان يكون ذلك كله من عندي » قال المسجي وهذا لم يسمع بمثله قط من تلك^(١) .

ولو استعرضت قصيدة قيلت في ذلك العصر مع مثات غيرها في عصور أخرى لبدا اللون المصري في تلك القصيدة واضحاً جلياً بما يحمله من حسن الدعابة وجمال الفكاهة ودقة العبارة وخفة الروح ولم تكن الازمات والاضطرابات التي مرت بدولة الفاطميين بقادرة على ان تؤثر في قوة الشعر والنثر اذ لم تنقطع حركة التفكير والتأليف حتى من الوزراء والخلفاء انفسهم وقد كانوا في الفينة بعد الفينة يطالعون الناس بكتبهم ورسائلهم وحججهم ومقالاتهم .

فمن عهد المعز الى الأمر الى من بعده كان الشعر في اوج كاله ومستوى جماله

(١) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٥

لم يضطرب ولم يصبه ما اصاب الحكومة في بعض الاحيات من تزلزل وتغيير
ولكن الذي يستوجب التأثر العميق حقاً هو ان تلك الثروة الطائلة ذهب
اكثرها وتبدد اغلبها امام اعاصير السياسة فما نكاد نعتز من ذلك الادب الا على
القصاصد المتناثرة بين شتات المعاجم والكتب وما نكاد نصيها الا بين المخطوطات
والدواوين التي تناقصت اطرافها وتأكلت حروفها وسطورها فلعل ديوان تميم
وقد اصبنا جملته يعوضنا عن تلك الخسائر الادبية العظيمة ولعل في قراءته غنى
وسلوى عما فقدناه من امثاله من مثات بل الوف الدواوين .

ولكي نزيد القارئ معرفة بما كان لهؤلاء الخلفاء من قدر سام في ميدان
العلم والشعر والانتاج الفكري نقدم بين يديه اسماء بعض اشعار هؤلاء الخلفاء
ومصنفاتهم ومصنفات دعائهم الكبار ونبدأ بمؤلفات امير المؤمنين علي بن ابي طالب :
(١) جمع القرآن وتأويله او جمعه على ترتيب النزول (٢) كتاب املى فيه ستين
نوعاً من انواع علوم القرآن وذكر لكل نوع مثلاً يخصه (٣) الجامعة (٤) الجفر
(٥) صحيفة الفرائض (٦) كتاب في الزكاة (٧) كتاب في أبواب الفقه (٨) كتاب
آخر في الفقه (٩) عهده للأشتر (١٠) وصيته لمحمد بن الحنفية (١١) كتاب عجائب
احكامه (١٢) ما اثر عنه من الادعية والمناجاة المعروف بالصحيفة العلوية (١٣)
(١٣) كتاب الشهاب العلوي (١٤) ديوان امير المؤمنين (١٥) أكليم امير
المؤمنين . (١٦) وصية امير المؤمنين الى الحسن . (من فهرس المجدوع احمد
اتباع الفاطميين) .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية ص ٩٠٤ الطبعة الثالثة والعشرين عند
الكلام على المسكوكات العربية ما تعريبه ملخصاً : ان اول من امر بضرب
السكة الاسلامية هو الخليفة علي بالبصرة سنة ٤٠ من الهجرة الموافق لسنة ٦٦٠م .
ومن شعره : كما اورده سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص :

وعن الجاحظ في كتابي البيان والتبيين وفضائل بني هاشم والبلاذري .

(١) اعيان الشيعة ج ٣ ص ٩٨٨

في انساب الاشراف ان علياً اشعر الصحابة وافصحهم واخطبهم واكتبهم .

الناس من جهة التمثيل اكفاء ابوم آدم والام حواء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء

الحسن بن علي : له خطب واقوال في الحكم والآداب والمواعظ ونحوها .
ومما ينسب اليه من الشعر فمنه ما اورده ابن شهر آشوب في المناقب وقوله .

قل للمقيم بغير دار اقامة حان الرحيل فودع الأحبابا
اب الذين لقيتهم وصحبته صاروا جميعاً في القبور ترابا

وله ايضاً :

لكسرة من خسيس الخبز تشبعتني وشربة من قراح الماء تكفيني
وطمرة من رقيق الثوب تسترني حياً وان مت تكفيني لتكفيني

وقال وقد جاءه اعرابي فقال اعطوه ما في الخزانة فكان عشرين الف درهم
فقال يا مولاي ألا تركتني ابوح بحاجتي وانشد مدحتي فأنشأ الحسن يقول :

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال انفسنا خوفاً على ماء وجه من يسأل
لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل

(اي هو خجل) الخ

الحسين بن علي : له خطب واقوال في المواعظ والحكم والآداب :

كلما زيد صاحب المال مالاً زيد في هم وفي الاشتغال
قد عرفناك يا منغصة العيو ش ويا دار كل فان وبالي
ليس يصفو لزامد طلب الزه د اذا كان مثقلاً بالعيال

وقوله في زوجة الرباب بنت امرئ القيس بن عدي القضائية وابنته منها
سكينة اورده ابو الفرج في الاغانى :

لعمرك انني لاحب دارا تكون بها سكينة والرباب

وفي نسخة أخرى :

احبهما وابذل كل مالي وليس لعاتب عندي عتاب
وفي نسخة فيها عتاب وزاد الزير بن بكار :

ولست لهم وان عتبوا مطيعاً حياتي او يغيبني التراب الخ الخ

مؤلفات علي بن الحسين زين العابدين : (١) الصحيفة الكاملة في الادعية
تحتوي على احد وستين دعاء . (٢) الصحيفة الثانية السجادية جمعها الشيخ محمد
ابن الحسن بن الحر العاملي نزيل اصفهان . (٣) الصحيفة الثالثة السجادية جمعها
الميرزا عبدالله الاصفهاني المعروف بالافندي صاحب رياض العلماء . (٤) الصحيفة
الرابعة السجادية جمعها الميرزا حسين النوري . (٥) الصحيفة الخامسة السجادية
جمعها - السيد محسن الأمين العاملي صاحب اعيان الشيعة . (٦) رسالة الحقوق . وله
أقوال في الحكم والمواعظ . ومما نسب اليه من الشعر ، ما جاء في المناقب لابن
شهر آشوب ، وقوله :

لكم ما تدعون بغير حق اذا ميز الطحاح من المراض
عرفتم حقنا فوجدتمونا كما عرف السواد من البياض
كتاب الله شاهدنا عليكم وقاضينا الاله فنعم قاضي الخ الخ ..

مؤلفات محمد بن علي بن الحسين الباقر : (١) كتاب التفسير اورده ابن
النديم - (٢) رسالته الى سعد الخير من بني أمية . (٣) رسالة أخرى اليه
أوردهما الكليني في روضة الكافي (٤) قال ابن النديم ابو جعفر محمد بن علي له من
الكتب كتاب ، - الهداية ويمكن يريد به الباقر^(١) .

وقد روى عنه في فنون العلم الشيء الكثير وألف أصحابه في ذلك المؤلفات
الكثيرة .

ومما نسب اليه من الشعر ما جاء في كشف الغمة :

لنحن على الحوض ذواده نذود ويسعد وراده
فما فاز من فاز إلا بنا وما خاب من أحبنا زاده
ومن كان غاصبنا حقنا فيوم القيامة ميعاده

(٥) كتاب صفات الجنة والنار (٦) الرسالة الى جابر الجاقي (٧) كشف كبير^(١) .

مؤلفات جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق : (١) رسالته الى عبدالله
النجاشي . (٢) رسالة له . أوردها الصدوق في الحصال وأورد سنده اليها عن
الأعشى عن جعفر بن محمد تتضمن شرائع الدين من الوضوء والغسل بأقسامه
والصلوة بأقسامها الخ (٣) توحيد المفضل في رد الدهرية واثبات الصانع .
(٤) كتاب الاهليلجة برواية المفضل بن عمر . (٥) كتاب مصباح الشريعة
ومفتاح الحقيقة (٦) رسالته الى أصحابه (٧) رسالته الى أصحاب الرأي والقياس
(٨) رسالته في الغنائم ووجوب الخمس (٩) وصيته لعبد الله بن جندب
(١٠) وصيته لابي جعفر محمد بن النعمان - الأحول (١١) نثر الدرر (١٢) كلامه
في وصف المحبة لاهل البيت والتوحيد والايمان والاسلام والكفر والفسق .
(١٣) رسالة في وجوه معائش العباد . (١٤) رسالة في احتجاجه على الصوفية .
(١٥) كلامه في خلق الناس وتركيبه (١٦) حكمة القصيرة (١٧) نسخة ذكرها
النجاشي في ترجمة محمد ميمون الزعفراني . (١٨) نسخة رواها الفضيل بن عياض
عنه . (١٩) نسخة رواها عبد الله بن ابي اويس بن مالك بن عامر الاصبحي .
(٢٠) نسخة رواها سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي (٢١) نسخة يرويها
ابراهيم بن رجا الشيباني . (٢٢) كتاب يرويها جعفر بن بشير البجلي . (٢٣) كتاب
رسالته رواه عنه جابر بن حيان الكوفي . وله أقوال في الحكم والمواعظ .

ومما أثر عنه من الشعر : في المناقب : -

فينا يقينا يعد الوفاء وفينا تفرخ أفرأخه

رأيت الوفاء يزين الرجال كما زين العذق شراخه
وله : لا اليسر يطرؤنا يوماً فيبطرنا ولا لازمة دهر نظهر الجزعا
ان سرنا الدهر لم نبهج لصحته او ساءنا الدهر لم نظهر له الملعا
مثل النجوم على مضمار اولنا اذا تغيب نجم ، آخر طلعا
وله : في الاصل كنا نجومًا يستضاء بنا وللبرية نحن اليوم برهان
نحن البجور التي فيها لغائصكم در ثمين وياقوت ومرجان
مساكن القدس والفردوس تملكها ونحن للقدس والفردوس خزان
من شدّ عنا هوت فيه مساكنه ومن اتانا فجئات وولدات

مؤلفات :

١ - الامام احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وهو جد المهدي الفاطمي تنسب اليه رسائل اخوان الصفا . (٢) رسالة الجامعة نصفان (٣) جامعة الجامعة .

٢ - المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ) (١) كتاب الاسرار .

٣ - المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ) (٢) تثبيت الامامة لعلي بن ابي طالب (٢) وصيته الى المعز .

٤ - المعز (٣٤١ - ٣٦٥) (١) تأويل الشريعة (٢) كتاب الروضة . (٣) بيان في العلم ومجلسه . (٤) الرسالة الى حسن القرمطي . (٥) المناجاة (٦) الرسالة في شأن المسيحية .

من شعره قوله (في النجوم الزاهرة) :

لله ما صنعت بنا تلك المحاجر في المعاجر
امضى واقضى في النفوس من الخناجر في الخناجر

ولقد تعبت ببيتكم - تعب المهاجر في المهاجر
٥ - ومن شعر العزيز (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ) وذكره الثعالبي في يتيمة الدهر
وقدمات له ابن في العيد فقال :

نحن بني المصطفى ذوو محن يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الانام محنتنا اولنا مبتلى وخاتمنا
يفرح هذا الوري بعيدهم طرا واعيانا مآتمنا

ومن شعره قوله في جواب رقعة وصلته من داعي دعائه فيها :

اقسم لو انك توجتني : بتاج كسرى ملك المشرق
ونلتني كل امور الوري من : قد مضى منهم ومن قد بقي

وقلت ان لا نلتقي ساعة اجبت يا مولاي ان نلتقي

لان ابعادك لي ساعة : شيب فودي مع المفرق

فأجاب :

يا حجة مشهودة في الوري وطود علم اعجز المرتقى
ما أغلقت دونك ابوابنا الا لامر مؤلم مقلق
ولا حجبناك ملأاً فثق بودنا وارجع الى الاليتق
خفنا على قلبك من سمعه فصدنا صد اب مشفق
شيعتنا عدموا رشدهم في الغرب يا صاح وفي المشرق
فانشر لهم ما شئت من علمنا وكن لهم كالوالد المشفق
ان كنت في دعوتنا آخرا فقد تجاوزت مدى السبق
مثلك لا يوجد فيمن مضى من سائر الناس ولا من بقي^(١)

قيل ان قلم الحبر احد المخترعات الحديثة ويرجع عهده الى القرن الثامن عشر الميلادي ، وقيل ايضاً ان الاميركيين كانوا اسبق الناس الى معرفته ، ولذا اطلق عليه المصريون اسم « القلم الامريكي » واعتقد الناس هذا كله ولم يخطر

(١) ديوان المؤيد الشيرازي عن النسخة المحفوظة بدار الكتب الاعظمية بباكستان

ببالحمد ان هذا النوع من القلم انما عرف قبل ذلك بقرون عديدة . والذي اخترعه هو المعز لدين الله الفاطمي منشئ القاهرة ومشيد الجامعة الازهرية . فقد جاء في كتاب « المجالس والمسائرات » للقاضي ابي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور ابن احمد بن حيون التميمي المتوفي في آخر جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هـ (قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : ذكر الامام المعز لدين الله القلم فوصف فضله ورمز فيه بباطن العلم ، ثم قال : نحن نريد ان نعمل قلماً يكتب به بلا استمداد من دواة ، يكون مداده من داخله ، فمق شاء الانسان كتب به فامر ان يكتب بذلك ما شاء ، ومق شاء تركه فارتفع المداد وكان القلم ناشفاً منه يجعله الكاتب في كفه او حيث شاء ، فلا يؤثر فيه ولا يرشح شيء من المداد عنه ، ولا يكون ذلك الا عند ما يبتغي منه ويراد الكتابة به فيكون آلة عجيبة لم نعلم اننا قد سبقنا اليها ، ودليلي على حكمة بالغة لمن تأملها وعرف وجه المعنى فيها فقلت : ويكون هذا يا مولانا عليك سلام الله ؟ قال : يكون ان شاء الله . فما مر بعد ذلك الا ايام قلائل حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة به معمولاً من ذهب ، فاودعه المداد وكتب به فكتب ، وزاد شيئاً في المداد على مقدار الحاجة فأمر باصلاح شيء منه فأصلحه ، وجاء به . فاذا هو قلم يقلب في اليد ويميل الى كل ناحية ، فلا يبدو منه شيء من المداد ، فاذا اخذه الكاتب وكتب به كتب احسن كتاب ما شاء ان يكتب به ثم اذا رفعه عن الكتاب امسك المداد ..

فرايت صنعة عجيبة لم اكن اظن ان ارى مثلها وتبين فيه مثل حسن بأنه لا يسمح بما عنده الا لمن طلب ذلك منه ، ولا يجوز لغير مبتغ ، ولا يخرج منه ما يضر فيلطح يد من يسكه او ما لصق به ، فهو نفع لا ضرر ، وجواد لمن سأل وبمسك عن لم يسأل .

فأنت ترى ان المعز لدين الله الفاطمي وضع وصفاً دقيقاً لاقلام الحبر التي نستعملها اليوم ، وأمر بصنعها على النحو الذي رسمه ، ويفهم من كلام المعز لدين الله والنعمان ان هذا النوع من الاقلام لم يكن معروفاً قبل المعز ، واذاً فالمعز

لدين الله الفاطمي هو اول رجل بلغنا انه فكر في صنع قلم الحبر على هذا النحو وانه نفذ فكرته واخرجها الى حيز الوجود بان صنع قلم الحبر من الذهب .

(وهذه المقالة منشورة في مجلة الثقافة ، العدد ٨ من السنة الاولى)

٦ - المستنصر (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) (١) خطب مولانا المستنصر .

٧ - الحاكم (٣٨٦ - ٤١١ هـ) ومما ينسب اليه من الشعر - وقيل هو للامر (النجوم الزاهرة) .

دع اللوم عني لست مني بوثق فلا بد لي من صدمة المتحقق
واسق جيايدي من فرات ودجلة واجمع شمل الدين بعد التفرق

٨ - الأمر . (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ) (١) الهداية الآمرية (٢) اقليلا (٣) كتاب البرهان (وقد فند) ومن شعره قوله (النجوم الزاهرة) :

أصبحت لا أرجو ولا اتقي إلا إلهي وله الفضل
جدي نبي وأمامي أبي ومذهبي التوحيد والعدل

٣ - جاء في كتاب عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين الياني ج ٦ ص ١٨٧ ان هذه الاشعار للخليفة المعز لدين الله الفاطمي قالها في ابنه الامير عبد الله لما توفي في اقبال العيد : وقال فيه الامير (تميم) رثاء المعروف اوله : كل حي الى الفناء يصير ..

مؤلفات :

١ - المفضل بن عمرو الجعفي تلميذ جعفر الصادق ١ - في الحصال السبعين الحمودة واضداها ٢ - فصول من الاسرار العالية ٣ - الابتداء والانتفاء مما رواد عن جعفر الصادق ٤ - الأدلة على الخلق ٥ - رواية الارز .

٢ - ابو عبد الله محمد بن احمد النسفي البرزني الداعي في تركستان (٣٣١ هـ ٩٤٢ م) ١ - كتاب المحصول ٢ - كون العالم .

٣ - الداعي عبدان (٢٨٦ هـ ٨٩٩ م) ١ - رسالة الشمعة المسماة بمفاتيح النعمة .

٤ - ابو يعقوب اسحاق بن احمد السجستاني وكان كالحليفة من الامام الفاطمي في الري وقتل في بخارى سنة ٣٣١ هـ - ٩٤٢ م . ١ - كتاب الافتخار ٢ - كتاب^(١) الينابيع ٣ - كتاب اثبات النبوة ٤ - كتاب المقاليد ٥ - كتاب المبدأ والمعاد ٦ - رسالة مسلية الاحزان ٧ - كتاب تأليف الارواح ٨ - كتاب سلم النجاة ٩ - سرائر المعاد والمعاش ١٠ - رسالة مؤنسة القلوب ١١ - كتاب الغريب في معنى الاكسير ١٢ - الرسالة الباهرة ١٣ - كتاب الامن والحيرة ١٤ - رسالة الموازين ١٥ - تحفة المستجيبين ١٦ - اساس الدعوة ١٧ - كشف المحجوب ١٨ - تأويل الشرائع ١٩ - كتاب النصر في شرح ما قاله الشيخ الحميد في كتابه المحصول ٢٠ - كتاب الواعظ ٢١ - خزنة الادلة .

٥ - جعفر بن منصور اليمن داعي دعاة المعز لدين الله (منتصف القرن الرابع) .

١ - اسرار النطقاء ٢ - سرائر النطقاء ٣ - كتاب العالم والغلام ٤ - كتاب الكشف ٥ - كتاب الفترات والقارات ٦ - كتاب الرضاع في الباطن ٧ - كتاب الفرائض و حدود الدين ٨ - كتاب الشواهد والبيان ٩ - كتاب تأويل الزكاة ١٠ - كتاب تأويل سورة النساء ١١ - تأويل حروف المعجم .

٦ - حميد الدين احمد بن عبد الله الكرمانى داعي دعاة الحاكم بامر الله (المتوفي بعد ٤٠٨ هـ) .

١ - كتاب المصاييح في اثبات الامامة ٢ - الرسالة الوضيئة ٣ - كتاب الرياض^(٢) ٤ - كتاب الاقوال الذهبية ٥ - ثلاث عشرة رسالة ٦ - راحة

(١) حقق هذا الكتاب الاستاذ عارف ثمر .

(٢) حقق هذا الكتاب الاستاذ عارف ثمر .

العقل جزءان ٧ - تنبيه الهادي والمستهدي ٨ - معاصم الهدى ٩ - الاصابة في تفضيل علي على الصحابة ١٠ - فصل الخطاب وابانة الحق ١١ - رسالة النظم ١٢ - المضيئة في الأمر والأمير والمأمور ١٣ - الرسالة اللازمة في صوم شهر رمضان ١٤ - الروضة في الأزل ١٥ - الرسالة الزاهرة ١٦ - التوحيد في المعاد ١٧ - تأج العقول ١٨ - ميدان العقل ١٩ - الرسالة الحاوية في الليل والنهار ٢٠ - رسالة الواعظ ٢١ - رسالة المعاد ٢٢ - رسالة الكافية في الرد على هارون الحسني ٢٣ - كتاب خزائن الادلة ٢٤ - رسالة الفهرست ٢٥ - رسالة المقادير .

٧ - المؤيد في الدين ابو نصر هبة الله بن علي بن محمد الشيرازي السلمي داعي دعاة المستنصر بالله (المتوفي سنة ٤٧٠ هـ)

١ - ثمان مائة محاضرة المعروفة بالمجالس المؤيدية ٢ - ديوان المؤيد ٣ - السيرة المؤيدية ٤ - الابتداء والانتها ٥ - المسألة والجواب ٦ - كتاب نهج العبادة ٧ - شرح المعاد ٨ - المسائل السبعون ٩ - نهج الهداية للمهتدين ١٠ - اساس التأويل بالفارسية ١١ - السبع السبع ١٢ - الايضاح والتبصير في فضل يوم الغدير ١٣ - تأويل الارواح ١٤ - المجالس المستنصرية للمؤيد .

٨ - ابو حنيفة النعمان بن محمد بن المنصور بن حيون التميمي قاضي قضاة المعز (المتوفي سنة ٣٦٣ هـ) وقرأ عليه الشريفين الرضي والمروزي .

١ - كتاب الهمة في آداب الائمة ٢ - المجالس والمسائرات جزءان . ٣ - افتتاح الدعوة ٤ - المناقب والمثالب ٥ - اختلاف اصول المذاهب ٦ - الارجوزة المختارة ٧ - كتاب الطهارة ٨ - كتاب المنتخب جزءان ٩ - كتاب الاقتصار جزءان ١٠ - منهج الفرائض ١١ - مختصر الآثار ١٢ - ينبوع في الفقه ١٣ - دعائم الاسلام جزءان ١٤ - اساس التأويل ١٥ - تأويل الدعائم جزءان (١٦) جوابات عن مسائل خطاب بن وسيم ١٧ - شرح الاخبار ١٨ - جواب القاضي نعمان ومسائل الخيرة ١٩ - الاخبار في الفقه ٣ اجزاء من مختصر المصنف يتلوها . ٢٠ - شرح الخطب التي لامير

المؤمنين علي ٢٣ - كتاب الراحة والتسلي ٢٤ - مفاتيح النعمة ٢٥ - كتاب الدعاء ٢٦ - تأويل الرؤيا .

٩ - يعقوب الوزير بن كاس : ١ - مناسك الحج ٢ - كتاب الفقه .

١٠ - محمد بن زيد داعي العزيز (٣٦٨ - ٣٨٦) ١ - كتاب البلاغ .

١١ - حسن بن محمد البهيدي داعي العزيز ١ - رسالة إلى جماعة اهل ري .

١٢ - احمد بن ابراهيم النيسابوري داعي العزيز والحاكم ١ - اثبات الامامة .

٢ - كتاب المعجزة الكافية في آداب الدعاة والحدود ٣ - الزاهرة في معرفة الدار الآخرة .

١ - رسالة منير البصائر ٢ - رسالة النفس ٣ - غاية اللطائف والكتائف

٤ - رسالة النعم ٥ - غاية الموالي ٦ - رسالة في بيان اعجاز القرآن

٧ - ديوان الشعر ٨ - القصيدة الميمية في علي .

٢٨ - ابو حاتم عبد الرحمن الرازي داعي الديلم ١ - كتاب الاصلاح

٢ - مجالس سيدنا حاتم ٣ - كتاب الزينة ٤ - اعلام النبوة ٥ - كتاب الجامع .

٢٩ - الداعي المكوم بن علي بن محمد الصليحي ١ - قصة الرؤيا ٢ - حادثة

الارواح .

٣٠ - ١) كيفية الطلب لمن اراد التخلص من حبال الشيطان لأحد دعاة

الفاطميين .

٣١ - ١) سيرة القائد جوهر لابن زولاق .

٣٢ - ١) سيرة الاستاذ جوزر للمقصور الجوزري سكرتير الاستاذ جوزر

الذي هو وزير المعز .

٣٣ - ١) استتار الامام لاحد بن ابراهيم النيسابوري في عصر المعز وتتلوه

سيرة جعفر الحاجب لمحمد بن احمد الباني .

٣٤ - ١) ديوان ابن هاني الاندلسي شاعر المعز لدين الله .

(العودة الى الاستاذ الكبير)

نحب ان لا يفوت انقارىء ان النظر إلى الفاطميين من حيث هم ملوك وخلفاء يختلف عن النظر اليهم باعتبارهم ائمة اوصياء . واتباع الفاطميين يعتقدون منذ كانوا إلى الآن ان الامامة ميراث يتعاقبه المنصوص عليهم من ذرية فاطمة الزهراء وهذه الامامة تظهر احيانا وتستتر احيانا وفقاً لما تسمح به مقتضيات الاحوال . وان الامامة باقية فيهم ما بقي لهم .

وقد بقيت الامامة مؤيدة للملك مرشدة له منذ عهد المهدي بالله بالمغرب الى عصر الامر بمصر . وحدث في خلافة المستعلي ان قام نزاع بينه وبين اخيه نزار انتهى بقتل الاخير الا ان البقية من شعبيته وانصاره لم تنطفئ في جذوة حقدهم حتى عصر الامر . وقد صنف الامر كتاباً ١ - يدافع فيه عن وجهة نظره في الخلافة ويقيم الدلائل على امامة أبيه المستعلي مما يحقق لنا ان الخصومة كانت في ذلك العهد على أشد ثورتها . حتى ان الخليفة لم يكتف بما يصنفه دعائه فتصدر بنفسه للدفاع وحمل لواء القلم ضد النزاريين فإلبشوا ان دبوا كميناً لاغتيال الامر فطعنوه بسكين وقبل ان تدركه الوفاة أدرك بشاقب نظره وسعة حيلته ان الأمر يؤول الى شروان والخصومة قد لا تنتهي عند هذا الحد فارسل ولده الطيب بطريقة سرية وهو صغير لم يتجاوز الخامسة مع ابن مدين داعي دعائه واندعاة الآخرين واستوصي به الملكة الحرة أروى بنت احمد آخرة الملوك الصليحيين الذين قاموا في خلافة المستنصر دعاة ينشرون المذهب الفاطمي في كل بلاد اليمن ..

١ - وقد نشر هذا الكتاب « اسلامي ريسرج اليوسي ايشن » ببومباي

الهند (جمعية الابحاث الاسلامية في بومباي) .

٢ - سنة ٤٥٣ كتب الصليحي الى المستنصر الجيادي يستأذنه في اظهار

الدعوة ووجه اليه هدية جلييلة منها سبعون سيف قوائها من عميق . وبعث مع الهدية رجلين من قومه احمد بن محمد والد السيدة واحمد بن المظفر والد السلطان سبأ بن احمد ، فقبل المستنصر هديته وأمر له برايات وكتب عليها الالقب وعقد

له الأولوية واذن له في نشر الدعوة . ولم تمض سنة ٤٥٥ الا وقد ملك من مكة الى حضر موت سهلاً وجبلاً .

(قرة العيون لخبار انيمن لابن الديبغ بدار الكتب المصرية تاريخ ٢٢٤)
(ابن خلكان ج ٢ ص ٧٤) .

وفي نفس تلك السنة توفيت الملكة الحرة السيدة اروى بنت احمد الصليحي .

١ - قام ذوؤبيب بن موسى الداعي المطلق بعد الحرة الملكة اروى بنت احمد في اليوم الثاني والعشرين من شعبان سنة ٥٣٢ هـ وقام بعده اثنان وعشرون داعياً مطلقاً في اليمن بهذا الترتيب ٢ - ابراهيم بن الحسين الحامدي ٣ - حاتم بن الداعي ابراهيم ٤ - علي بن الداعي حاتم ٥ - علي بن محمد بن الوليد ٦ - علي ابن حنظلة ٧ - احمد بن المبارك بن الوليد ٨ - حسين بن علي بن الوليد ٩ - علي بن الحسين ١٠ - علي بن الحسين بن علي بن حنظلة ١١ - ابراهيم بن الحسين ١٢ - محمد بن حاتم ١٣ - علي بن ابراهيم ١٤ - عبد المطلب بن الداعي محمد بن حاتم ١٥ - عباس بن الداعي محمد بن حاتم ١٦ - عبد الله بن الداعي ١٧ - حسين ابن عبد الله ١٨ - علي بن عبد الله ١٩ - ادريس بن الحسن ٢٠ - حسن بن ادريس ٢١ - حسين بن ادريس ٢٢ - علي شمس الدين ٢٣ - محمد عز الدين .

ثم قام ثلاثة وعشرون داعياً مطلقاً في الهند بهذا الترتيب :

٢٤ - يوسف بن سليمان ٢٥ - جلال بن حسن ٢٦ - داود بن عجيبشاه ٢٧ - داود بن قطب شاه ٢٨ - شيخ آدم صفي الدين ٢٩ - عبد الطيب زكي الدين ٣٠ - علي بن حسن ٣١ - قاسم زين الدين ٣٢ - قطب الدين ٣٣ - فيرخان شجاع الدين ٣٤ - اسماعيل بدر الدين ٣٥ - عبد الطيب زكي الدين ٣٦ - موسى كليم الدين ٣٧ - نور الدين ٣٨ - اسماعيل بدر الدين ٣٩ - ابراهيم وجيه الدين ٤٠ - هبة الله المؤيد في الدين ٤١ - عبد الطيب زكي الدين ٤٢ - يوسف نجم الدين ٤٣ - عبد علي سيف الدين ٤٤ - محمد عز الدين ٤٥ - طيب زين الدين ٤٦ - محمد بدر الدين .

واولهم عبد القادر نجم الدين ابن الداعي طيب زين الدين وثانيهم عبد الحسين حسام الدين ابن الداعي طيب زين الدين وثالثهم محمد برهان الدين بن عبد القادر نجم الدين ورابعهم عبد الله بدر الدين بن الحسين حسام الدين . وخامسهم طاهر سيف الدين ابن محمد برهان الدين وهو في قيد الحياة وزار مصر قبل سنتين ولقبه الصحفيون (سلطان البهرة) وقد عين ابنه الاكبر محمد برهان الدين نائباً له . ويقال للنائب عندهم « المأذون » وهذه الرواية منقولة عن خصوم طاهر سيف الدين أما اتباعه فيقولون ان طاهر سيف الدين داعي حتى متصل بامام الزمان . وقد ذكرنا هذه الأشياء لمجرد البيان التاريخي ومن العسير ان نحاول الوقوف على حقيقة الأمر في وجود صلة هذا الداعي بالامام المستر وقد نشر بعض أحواله في كتاب فتى الهند الذي نشر في القاهرة .

ونعود لنقول ان الأمر استناب عنه في الملك احد بني عمومته ولقبه بالحافظ . ومن هذا اللقب وحده نستدل على ان الملك أصبح وديعة محفوظة وامانة ترد الى اهلها فان الحافظ لم يكن من أبناء الائمة ولا وارثاً شرعياً لها . ولكنه غضب الذمة واغتصب الوديعة واستأثر لنفسه بالملك . وقد خلا له الجو بموت الأمر وذهاب الطيب فولى عنه الدعاة وجوهم وضعف امر الشيعة وشاع الاضطراب وانفسح المجال للدعوى والوزراء ينادون بانفسهم . ولم يكن للحافظ من الأمر شيء وقد ازداد الحال من سيء الى أسوأ في خلافة من جاء بعده وهم الظافر - ٥٤٤ هـ - ٥٤٩ هـ والفائز - ٥٤٩ هـ - ٥٥٥ هـ - والعاضد - ٥٥٥ هـ - ٥٦٧ هـ حتى انقرضت اسرتهم بقيام الايوبيين . أما الطيب فقد ولي دعاة مطلقيين بعد الملكة الحرة اروى بنت احمد الصليحية فاصبحت هذه الدولية دينية محضة بعد الصليحيين لا شأن لها بالسياسة الدنوية . وقد اعتصموا بحبل حصين من جبال اليمن يتعاقب منهم الدعاة المطلقون بنص الائمة الذين بدأوا دور الاستتار الكبير من عهد الطيب حتى بلغ عدد هؤلاء الدعاة ثلاثة وعشرين باليمن ثم انتقلوا بالدعوة الى بلاد الهند واقام بها الدعاة كذلك حتى بلغ عددهم مثل عدد اسلافهم باليمن وكان جملتهم ستة واربعين الا ان الاخير منهم قتل في سنة ١٢٥٦ بالسهم كما

قيل على اثر مكيدة دبرها أحد منافسيه . ومن ذلك الحين انقطع خبر الامام ولم تعد رسائله تصل الى دعااته فاقام العلماء ذلك المنافس نائباً للداعي المقتول خوفاً من شتات شمل الجماعة حتى يرد نبأ صحيح من امامهم المستتر من ابناء الطيب . وبقيت هذه الدعوة موروثه في اسرة هذا النائب واعقابه حتى اليوم ٩ - وقبل ذلك أيضاً شجر الخلاف بين ابناء هذه الفرقة لقيام دعاة آخرين ونسبة الدعوة اليهم «والفرق بين الشيعة والفاطمية والامامية ان الآخرين ينتظرون ظهور مهدي معين هو الامام الثاني عشر الذي اختفى في سرداب ايام العباسيين . اما الفاطميون فعندهم ان الامامة باقية في نسل الطيب الذي هو الحادي والعشرون ، ويسمونه امام الزمان وقطب العصر . ثم تبقى هذه الوصية بالامامة في بنيه ولداً بعد ولد وخلفاً بعد سلف حتى يكمل عددهم المائة ، حينئذ يبدأ عهد الظهور الكامل يسمونه دور الكشف مستدلين على ذلك بخبر مأثور عندهم مفاده ان فاطمة الزهراء سألت النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيها مثل ما أعطى سليمان ابن داود ابنته عند زواجها . فاعطاها سبعة وهي تشمل على مائة حبة . وبين لها انها خير مما اعطي سليمان لابنته وفي حبات هذه السبعة رمزاً الى انه يكون من اعقابها مائة قطب يديرون رضى الزمان .

واليك ايها القارىء آخر وثيقة انفذها احد الائمة من سلالة الطيب الى داعيه المطلق ادريس عماد الدين ابن الداعي الحسن ابن الداعي علي بن محمد الوليد الالفى القرشي في منتصف القرن التاسع الهجري وهي ترشدنا الى ان الإمامة لم تنقطع بذهاب الفاطميين من مصر وانها بقيت تؤدي رسالتها وتثبت في الآفاق دعوتها وهي « بسم الله الرحمن الرحيم .. وبه نستعين . الحمد لله رب العالمين » « أي من عبد الله الواحد القهار ووليه محمد بن هاشم بن نزار » الحمد لله الذي جعل الحمد فاتحة كتابه ، وعد الجزاء على شكره والزيادة بعد ايجابه وتواعد على كفره بشديد عذابه ، نحمده ونشكره حمداً وشكراً يرضى به ونصبر على ما نابنا رجاء لثوابه ، ونشهد ان لا اله الا الله شهادة بريئة من الشك وارتياحه ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في خلقه من اسبابه ، ونشهد ان محمد عبده

ورسوله الذي اصطفاه باختياره وانتخابه ، وارسله مبشراً بما وعد من الجزاء ونذيراً من عقابه ، صلى الله صلاة عليه في النهار وانتباهه ، والليل واحقابه ، وعلى أبينا علي وصيه وخليفته وبابه ، والمجاهد دونه باسمه وقرضابه ، الفائز به وليه ومآته ، وعلى الائمة الطاهرين من آلهما خيرة الله وصفوته وأحبابه ، وسفن نجاته المخلصين من غرق الطوفان وزاخر عبايه ، وعلى من خلفهم متلفعاً من السر بحجابيه . اما بعد فانا اصدرا هذا الكتاب إلى عمدة دعوتنا وعمارها ونبراسها المضيء بشيعتنا في طخياء ظلمة الستر وسوائها ، فنخصه من السلام بما يزل به ومن التحيات المرضية بما يتصل به اسبابنا بسببه والله تعالى يحوطه ويكلؤه ويعني رعايته برمعه ويتولاه وينصره وانه الهه ومولاه ، ثم اننا ننبه ما لدينا من الغم لحدوث امر الله الختم بما اختار الله لمولانا ووالدنا نسباً وسبباً ومن كان للمؤمنين أباً ، نقله الله اليه واختار له ما لديه والحقه بأبائه الطاهرين واجداده وازلفه معهم في دار ثوابه ومعاذه فصلى الله عليه صلاة يزل به في الرضوان وبواصلنا بركانه في كل اوان فلولا ما امر الله تعالى به عباد الصالحين من الصبر والاحتساب بقوله تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) لما وسعنا الارض من بعده ، ولحرمنا طيب عيشها ومائها لفقدته ، ولكن تلك سبيل وكل يجوزها ، وحجة المولى الى دار نعيم يحوزها فمكانك منا وقربك ومحلك عندنا وعند ابائنا وابائك المرحومين وجهادكم في مرضاة الله ربك اشعرناك ما لدينا ، وعرفناك مالنا وما علينا ، كما قال المعز لدين الله عليه السلام : « مولاك مضي ومولاك بقي » فاثبت على ما انت فيه من إقامة دعوتنا ثبتك الله بالقول الثابت ، وجعلك شجرة مباركة في ازكى المنابت . وان رسولنا اوصل الينا جوابك ، وتحققنا ما فصلت به خطابك ، وما ذكرته مما قضى الله على اخوانك من اهل الدين وكبراء المؤمنين . وكان ذلك في عهد مولانا وسيدنا أمير المؤمنين فترجم وترحمنا عليهم بما يتقبله الله ويزلفهم في دار ثوابه وجنته ، ويحلهم مع محمد صلى الله عليه وسلم في زمراته ، وتحققنا ما ذكرت من استفتاحك لبعض بلادكم وحصولكم فالحمد لله تعالى يتم لك النصر والمعونة ويكفيك شر امته واعقابهم .

فهم في القرآن الشجرة الملعونة ، ويضم باخونيك عضدك ، ويشد بها اودك ،

فانهم بقية من ابائكم الذين لهم حسن السوابق ، والى المجلي ينتهي المعلي اللاحق
وعليك السلام ورحمة الله والاكرام . وقد أمرنا رسولنا بالوقوف في مكة
الشريفة حتى يأتينا بجوابك فأصدر اليه به من تحتصه من أصحابك ولا يصلنا
منك رسول فهو ينصب نفسه في طلبنا ولا يخبرنا لانا لا يقربنا بلد الى بلد ويزعجنا
من عندنا من الاضداد ان نستقر في مكان على الابد . واصدارنا اليك بوصلته متى
أمكن نصدر من يأتي به اليك في الاوان الذي يأذن الله به .

وكتب في شهر المحرم من سنة ست واربعين وثمانائة . وبالله نستعين وهو
حسبنا ونعم الوكيل . والحمد لله اولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً ، والصلوة على
نبيه ووصيه وآله الذين البسهم الله مفاخرأ ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد رثاهم عمارة اليمني بعد انقراضهم واستيلاء صلاح الدين بن ايوب على
المملكة بقصيدة وصف فيها مملكتهم وعدد مواكبهم وحكى مكارمهم وجلى
محاسنهم وعمارة هذا لم يكن على معتقد الشيعة بل كان فقيهاً شافعيًا قدم مصر
برسالة عن القاسم بن أبي هاشم بن أبي فليته أمير مكة إلى الفائز احد خلفائهم
في سنة خمسين وخمسة في وزارة الصالح طلائع بن رزيك . فاحسنوا له وبالغوا
في بره . فأقام عندهم وتآلف بهم وأتى بهم من المدح بما بهر العقول ، ولم يزل
موالياً لهم حتى زالت دولتهم واستولى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب
فروثاهم بهذه القصيدة فكانت آخر اسباب حنقه فصلب فيمن صلب بين القصرين
من اتباع الدولة الفاطمية :

رمى يا دهر كف المجد بالشلل	وجيده بعد حسن الحلي بالعطل
سعيت في منهج الرأي العثور فان	قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت ما رنك الاقنى فانفك لا	ينفك ما بين امر الشين والحجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل	شقيت مهلاً أما تمشي على مهل
لهفي ولهف بني الامال قاطبة	على فجيعتها في اكرم الدول
قدمت مصر فأولتني خلائفها	من المكارم ما أربى على أملي

قوم عرفت لهم كسف الالوف ومن
وكنت من وزراء الدست حيث سما
ونلت من عطاء الجيش اكرمة
يا عاذلي في هوى ابناء فاطمة
باللذر ساحة القصرين وابك معي
وقل لاهليهما والله ما التحمت
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة
هل كان في الامر شيء غير قسمة ما
وقد حصلت عليهما واسم جدكم
مررت بالقصر والاركان خالية
فلت عنها بوجهي خوف منتقد
اسبلت من اسفي دمعي غداة خلت
ابكي على مآثرات من مكارمكم
دار الضيافة كانت انس وافدكم
وفطرة الصوم اذ اضحت مكارمكم
وكسوة الناس في الفصلين قد درست
وموسم كان في يوم الخليج لكم
واول العام والعيدين كم لكم
والارض تهتز في يوم الغدير كما
والخيل تعرض في وشي وفي تيه
وما حملتم قرى الاضياف من سعة
وما خصصتم ببر اهل مملكة
كانت رواتبكم للوافدين وللضيف
ثم الطراز بتنيس الذي عظمت

كأهلها انها جاءت ولم اسل
رأس الحصان بهاديا على الكفل
وخلة خرس من عارض الخلل
لك الملامة ان قصرت في عذلي
عليها لا على الصفين والجمال
فيكم جروحي ولا قرحي بئندمل
في نسل آل أمير المؤمنين علي
ملكتم بين حكم السبي والنقل
محمد وابوكم خير منتعل
من الوفود ، وكانت قبلة القبل
من الاعادي ووجه الود لم يمل
رحابكم وغدت مهجورة السبل
حال الزمان عليها وهي لم تحل
واليوم اوحش من رسم ومن طلل
تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل
ورث منها جديد عندهم وبلى
يأتي باجلكم فيه على الجمال
فيهن من وبل جود ليس بالوشل
يهتز ما بين قصرين من الاسل
مثل العرائس في حلي وفي حلل
الاطباق الا على الاكتاف والعجل
حق عمتم به الاقصى من الملل
المقيم للطاري من الرسل
من الصلاة لاهل الارض والدول

وللجوامع من اخماسكم نعم
وربما عادت الدنيا فمعقلها
والله : لا فاز يوم الحشر مبغضكم
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ
ولا رأىجنة الله التي خلقت
اثمي وهداتي والذخيرة لي
والله لم نوفهم في المدح حقهم
ولو تضاعفت الاقوال واستبقت
باب النجاة هم دنيا واخرة
نور الدجى ومصاييح الهدى وهم
والله لا زلت عن حيي لهم أبدا

من تصدر في علم وفي عمل
منكم واضحت بكم محولة العقل
ولا نجا من عذاب النار غير ولي
من كف خير البرايا خاتم الرسل
من خان عهد الامام العاضد بن علي
اذا ارتهنت بما قدمت من عمل
لان فضلهم كالوابل الهطل
ما كنت فيهم بحمد الله بالخلجل
وحبهم فهو اصل الدين والعمل
من نور خالص نور الله لم يغفل
ما اخر الله لي في مدة الاجل

(عن كتاب صبح الاعشى للشيخ ابي العباس احمد الفلقشندي
ج ٣ ص ٥٣٠)

(حياة الامير تميم من ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) الى ٣٧٤ هـ)
(٩٨٤ ميلادية)

اما ديوان تميم فهو ما بين ايدينا ، واما شخصيته فقد اخفى التاريخ عنا
كثيراً من مقدماتها وموادها الاولى . لا لأن شخصيته من الضالة بحيث لا يعني
بها مؤرخ الحوادث الأدبية والشؤون الجسام . بل لان الظروف التي طمست
كثيراً من حقائق هذه الاسرة طغت بسيلها الجارف على هذه الشخصية ومهما
يكن من قلة المصادر التاريخية فان الحوادث المستفادة من التاريخ العام تستطيع
ان تخرج لنا من بين ثناياها معلومات لم تكن كل شيء ففيها شيء كثير
وغناء كبير .

يبدو لي ان حياة تميم بالمغرب كانت قليلة الآثار الادبية فان ديوانه كما سنفصل
البيان في ذلك هو فصول في الادب المصري البحت قليل الاتصال بحياة الفاطميين
في المغرب وملكهم وآثارهم على أني أحسب ان شخصية ابن هاني كادت تطفئ
إلى حد ما على شاعرنا الناشئ وهو بعد ما يزال في باكورة الشباب يستقي
مناهل العلم ويتعرف إلى الدنيا من حوله . وأعزو إلى مكتبة الفاطميين
اوفر قسط واكبر نصيب في حياة تميم . وقد قدمنا للقارئ ان المكتبة الفاطمية
قد وعت مئات الالوف من المجلدات وهم لم ينشئوها ولم يخلقوها مرة واحدة .
فقد كانوا يعنون بالعلوم ويضطلع ائمتهم باصولها وفروعها مستترين او ظاهرين .
ولما قام ملكهم بالمغرب كان منافسهم في الملك يتنافسون في حلبة العلوم
والفنون ويجمعون من مراجع اللغة ومصادر الدين ما يكبدونه جواد

قال ابن خلكان (ج ١ ص ١٧٢) في ترجمته :

ابو علي تميم بن المعز : كان ابوه صاحب الديار المصرية والمغرب ، وهو الذي بنى القاهرة المعزية . وكان تميم المذكور فاضل شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً ولم يل المملكة لان ولاية العهد لآخيه العزيز . فولىها بعد ابيه . واشعاره كلها حسنة وكانت وفاته في ذي العقدة سنة اربع وسبعين وثلاثمائة بمصر رحمه الله تعالى . وهكذا قال صاحب الدول المنقطعة (ص ٤٨) وزاد العتقي في تاريخه انه توفي يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور . واب اخاه نزار بن المعز حضر الصلاة عليه في بستانه وغسله القاضي محمد بن النعمان وكفنه في ستين ثوباً واخرجه من البستان مع المغرب وصلى عليه بالقرافة وحمله إلى القصر فدفنه بالحجرة التي فيها قبر أبيه المعز . وقال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتابه الذي سماه المعارف المتأخرة . انه توفي سنة خمس وسبعين والله اعلم . وقال غيرهما انه ولد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

وقد نشأ تميم في مدرسة بيته يتلقى فقه الشيعة وفنون اللغة وفلسفة الامامة وأسرارها من ابيه ومن دعاة أبيه وسترى ان ديوانه المصري يلقي على مصر جلباباً نسجه البيان الاندلسي وديجه فن قرطبة واشبيلية وغيرهما من تلك المدن التي نقشت فيها الطبيعة ابداع صورها واجمل مناظرها . ومن هذا نستطيع ان نعلم ان الاندلس (وقد كانت اقرب اليه من بغداد) قد اثرت في تفكيره ايما تفكير وتأثير سياً وقد انتقل ابن هاني من بلاد الاندلس إلى القيروان عاصمة الفاطميين يمدح المعز بغير المدائح وينثر على تلك الروابي ما تركته في نفسه الحداثق الغناء والقصور الشماء في وطنه الاول . غير ان تميماً لم يتأثر كثيراً بابن هاني بل لا نكاد نسمع له ذكراً او نعرف عنه خبراً في كل قصائده . فذهب ابن هاني يتلخص في ناحيتين هما اسلوبه اللغوي ومبالغته المغروفة ، ولكن تميماً تحرر من هذين القيدين ومن غيرهما ولم يعمد إلى محاكاة اسلوب او تقليد مذهب .

كانت حياته الاولى في ظل أبيه حياة دراسة وتعلم واستفادة واضطلاع وكثيراً ما كنت اسائل نفسي عن تلك الحياة التي لا أرى فيها أثراً ولو قليلاً لاشعاره فهمما يكن من هذا الدور من انشغال بالتعلم والبحث فانه لا يخلو من ثرات الفكر ونتائج العبقرية . ومن اجل هذا أرى ان قسماً من شعره الاول ما زال مفقوداً فقد قدم إلى مصر في نحو السادسة والعشرين من عمره وليس من المعقول ان تخلو تلك السابقة كلها من بضعة قصائد على الاقل ولا يمكن انه ولد في مصر شاعراً كاملاً على الصورة التي نراه بها . فان اكتمال البلاغة في ادبه وازدهار البيان في مدائحه لا يمكن ان يكون وليد المصادفة ولا اثر المفاجأة وعلى اي حال فنحن نعذر الادباء اذ اجمعوا على ان أفضل شعراء الفاطميين هو تميم ، فقد انشأ بها المدرسة الحديثة . فحصر قدرأت المتنبي على جلالة شأنه وقد اقام بها إقامة الضيف النازح والغريب المباح ولم تكن له بها حياة مستقرة بل لم تكن حياة مصر في شيء من الاستقرار . فلما قدم تميم كان جوهر قد مهد الطريق للعمران وابتنى على النيل جسوراً وعلى الشواطئ قصوراً واعد القاهرة رفيعه البناء جميلة الرواء وهو بمجهود ثلاث سنوات من قائد يخدمه الوف الاجناد والوف العمال . وقدم تميم على حضارة منسقة وطبيعة حالية بكل جميل الا الشعر فكان هو الحلية الاخيرة المنتظرة وقد خلا له الميدان بعد ان حملت الانباء نعي ابن هاني فانفرد بالمنبر والصولجان وانشأ في البلاد سوق البيان وهو لم يحسن إلى الشعر وحده بل إلى الشعراء ايضاً فقد كان قصره المدرسة الحديثة التي يلتقي على سلافيها الندماء ويتبارى على بساطها الشعراء فأجادوا وابدعوا . وكان لحسن الطالع ان صادفه شاعر نسيب يقاسمه مجد الحسب وراث الادب . ذلك هو ابن الرسي فجرت بينهما المراسلات التي تطالعك من حين إلى آخر في غير مكان من ديوانه ويظهر ان اسرة الرسي كانت اصيلة في روض القروض عريقة في مضمار البلاغة فأعانت هذه الاسرة وغيرها من الشعراء مضافاً إلى كل ذلك جمال الطبيعة في مصر هذا الشاعر على ان يجيد ما اجاد ويفيد ما فاد .

الرسيون من الحسن بن علي بن أبي طالب رض ونسبهم الى الرس جبل بين

اليمن وعمان . وقد ذكرت انسابهم ومفاخرهم في مكانها في كتاب « حلى النزم
في حلى اليمن » في مدينة صعده حيث توارثوا الامامه ، وسكن منهم بصر
جباة . ولما طالعت تاريخ مصر للقرطبي رأيت قد ذكر رجلاً رفيع القدر
كثير التواضع فقال في اثناء وصفه وكان كما قال الحسين بن ابراهيم الرسي :

لم تنه وهي فاقت الناس حسناً وحقيق بمثلها ان يتيها

ثم قال وهذا الشريف الرسي هو الذي كان بينه وبين تميم بن المعز مجاوبات
بالنظم وكان يكثر التنزه في بساينه وفرجه . فطلبت ديوان تميم بن المعز قد
حمدت فيه ذكره ، فعما وقع له من الشعر قوله ، وقد سألت الامير تيمناً ما اجتمع
عنده من شعره فتشاغل عنه فكتب له بذلك :

اني غريم والغريم مطالب كان المداين موسرا او معسرا الخ .. الخ^(١)

فأجابه تميم بشعر منه :

بلغت بلاعتك البديع واكثرنا فنظمت في الآداب لفظك جوهراً .. الخ
وان يكن قد تأثر بشاعر فان هذا الشاعر ابن المعتز لانها يتفقان في المذهب
البياني وفي حسن التشبيه وطرافة الاسلوب والتحرر من بعض القيود ، وكان
لا بد ان تقع بينهما المنافسة والمساجلة . فابن المعتز عباسي يدافع عن ملك ابائه
وتميم فاطمي يدافع عن قضية اهل البيت ، فهذه المفاضلة من جهة والصلة الادبية
من جهة اخرى .. اشتركنا في تنبيه لابن المعتز وردده عليه وبينهما من عظمة
الملك وعلو المكانة ما يجعل دفاع تميم عن بيته في اول الواجبات ، ولعلنا نعرض
إلى موضوع الموازنة مرة اخرى . وقصارى القول ان تيمناً قد جعل لمصر مكانة
لم تتمتع بمثلها سوى بغداد ، والاندلس ، بما كان فيهما من الشعراء ، ولو اننا
اكتفيينا من قصائده بالعناوين لوجدنا اسماء المواطنين المصرية والبلدان المصرية على
غرر القصائد تنبئنا بان تيمناً قد اهدى إلى مصر روحه وتفكيره وانه اصفاها
حبه وولاءه ، ومنها من ذات نفسه وقرارة ضميره افضل ما يبذله وطني مخلص .

(١) السفر الرابع من كتاب المغرب في حلى المغرب ص ٨٥ .

لوطن محبوب ولم يستفد شعراء الفاطميين من تميم وحدهم بل استفادوا واستفادت
الاجيال بعدهم من هذا المعين ، ونهلوا من ذلك الرحيق ، ولا يدفع ذلك باختفاء
ديوان تميم فهو بنفسه قد وضع المذهب الجديد والمدرسة الحديثة التي تأثر بها من
بعده ، فقصره ما برح منتدى للمادحين وسوقاً للقائلين . وكان ولده علي مقصوداً
بالمدائح مرجواً بالقصائد .

وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي الداني المتوفي سنة ٥٢٩ هـ
يصف قصراً بناه علي بن تميم بن المعز بمصر .

لله مجلسك المنيف قبابه بموطد فوق السماك مؤسس
موف على حبك المجرة تلتقي فيه الجواري بالجواري الكتنس
تقابل الانوار في جنباته فالليل فيه كالنهار المشمس
عطفت حناياه دوين سمائه عطف الالهة والحواجب والقسي
واستشرقت عمدا الرخام وظوهرت باجل من زهر الربيع وانفس
فهواؤه من كل قد اهيف وقراره من كل خد املس
فلك تحير فيه كل منجم واقفر بالتقصير كل مهندس
فبدا للحظ العين احسن منظر وغدا لطيب العيش خير معرس
فاطلع به قمرا اذا ما اطلعت شمس الحدود عليك شمس الاكؤس
فالناس اجمع دون قدرك رتبة والارض اجمع دون هذا المجلس^(١)

ونحن نرى في خفة روح تميم الصفة المصرية او الذوق المصري الذي يصبغ
الاديب بلون جذاب ويجعل أدبه مقبولا مستساغاً . ولئن انقضت دولة الفاطميين
في مصر فقد كان شعراء الايوبيين ومن بعدهم إلى ما قبل الفتح العثماني بقليل
ينهجون هذا النهج من الشعر الوصفي والادب الرقيق الذي مهد للادباء مادة
جديدة في الادب المصري او القومي .

قبل ان انتهي من تصدير هذا الكتاب لاضع تيمناً بين يدي القارىء يناجيه

(١) نهاية الادب الاول ص ٤١١ .

بمشاعره ويفضي اليه بكنون خواطره ، لا يسعني الا ان اسجل بمداد الشكر حضرات الذين قدموا إليّ مساعداتهم الادبية لاجراج هذا الديوان ، وساموا في ابياته بالتصحيح ، وفي رواياته بالاختيار والترجيح ، واخص بالثناء العاطر عالم اللغة العربية الدكتور عبد الوهاب عزام ، والشاعر الجليل السيد حسن القاياتي ، وإلى زميلي الشاعر الاستاذ الصاوي علي شعلان وإلى الاستاذ عارف تامر الذي اشرف على طبعه وقرأ مسوداته وغيرهم . واحسب انه لو كان الامير تميم حياً لكان ابلغ مني في شكرهم ، ولكن الله اقدر مني ومنه على مكافأتهم .

اصول الديوان

اعتمدت في نشر هذا الديوان على عدة نسخ مختلفة أهمها ما يأتي : —

- ١ — نسخة من مقاطعة كجرات بالهند وهي قديمة جداً وليس بها تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ .
- ٢ — نسخة أخرى من مقاطعة كجرات وهي قديمة كالسابقة ، وتاريخ الكتابة واسم الكاتب غير مذكور .
- ٣ — نسخة صحيحة من مقاطعة كجرات ايضاً ونسخت ١٥ من شهر صفر سنة ١١٩٩ هـ واسم الناسخ غير مذكور .
- ٤ — نسخة صحيحة كالسابقة وهي من مقاطعة كجرات ونسخت في سنة ١٢٧٢ هـ واسم الناسخ غير مذكور .
- ٥ — نسخة وجدت بمكتبة المدرسة الحكيمة في مدينة برهانيور بالهند ولا يعلم تاريخ نسخها ولا اسم ناسخها .
- ٦ — نسخة عادية وقد نسخت في اليوم التاسع عشر من جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ هـ واسم الناسخ غير مذكور .
- ٧ — مختارات من قصائد الامير تميم عثرنا عليها من مكتبة ليدن ، وهي أيضاً غير مؤرخة .
- ٨ — بعض قصائد الديوان التي وردت في كتاب عيون الاخبار في تاريخ

الفاطميين المخطوط من تأليف داعي الفاطميين ادريس عماد الدين اليباني . وهذه القصائد هي الخاصة بالمدح .

٩ - اشعار الامير تميم المنتشرة في مختلف كتب الأدب والتاريخ المطبوعة والمخطوطة .

مقدمة الديون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نضّر بعيون الأعيان رياض البيان ، وفتن القلوب بأفنان فنونه
أي افتنان^(١) ، وأرسل عليها اللواقح^(٢) من ذكاء مهرة الكلام ، وأنفذ في أصولها
وفصولها نفثات سحرة^(٣) النشار والنظام ، ففتق بنفحات نسائم البلاغة كأمها ،
وملأ بأزهار براعة اليراعة أردانها وأكمامها ، ورش عليها من أنوار الحكم ، ونوار
مكارم الشيم ، فأصبحت بقبول القلوب مطولة^(٤) ، ومواعد تنزه النفوس فيها
غير مطولة تسلب أساليبها عقول ذوي الذكاء ، وتلعب أفانينها بألباب أرباب
الركة والصفاء ، لم تغادر رقة نسيبها^(٥) قلباً خلياً ، ولم تترك لوعة لهفها وأسفها
أن يسمي سامع إلا شجياً .

تثير مدائح^(٦) حماسها وسماحتها دفائن قلوب الشهامة ، وأكف الكرامة ،

(١) في الاصول : « افتنان » .

(٢) اللواقح من الرياح : التي تحمل الندى ثم تجبه في السحاب ، فاذا اجتمع في السحاب صار مطراً .

وفي القرآن الكريم « وارسلنا الرياح لواقح » وقد جعلها هنا للذكاء لانه حمل الى البلاغة عمارة جهده ونافذ بصيرته .

(٣) في هـ : « سحر » .

(٤) المطولة : التي اصابتها الطل . والمطولة المسوفة .

(٥) في ج : « نسيبها » .

(٦) في ب : « ملامح حماسها » .

وتبسط مآدب^(١) أديها ، ومآثر سائر أربها^(٢) (بها تحل) عقد عبيّ الفهاهة ،
وحصر الفدامة^(٣) والبلاهة . والله درّ القائل^(٤) :

ولولا خلال سنهـا الشعر ما درى 'بناة' المعالي أين 'تبنى' المكارم

إلا أن هذه الروضة الغناء ، اختصت بين رياضها بشمرة البقاء ونضارة
الخضراء لا تزال تراها مخضرة الأردن مخضلة الاغصان ، على وجه الدهور لم^(٥)
يخلق جديدها كرور الأعوام والشهور . لا يخنى عليها أيدي البلى^(٦) ، ما امتد
أمد البلاء^(٧) ، فلا ينضب ماؤها ، ولا يذهب رواؤها . كلا وان طراوتها غير
ذاوية ليست بذابلة ولا ضاوية فلا تتغير بسموم الكساد ، ولا تطرقها الغيـر
وان كانت في عالم الكون والفساد ولقد أجاد أبو تمام ، بهذا النظام :

ولو كان يفنى الشعرُ أفناه ما قررت حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب
وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من ألقى إليه الكلمة^(٨)
وسلك في نظام العبودية كله ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله وصفيه وحيبيه

(١) في ب : « مادة أديها » . وفي د : « مآرب أربها » وقد تكون معرفة عن أربها .

(٢) سقط في ف ، ل ، وعلى هذه النسخة فكلمة عقد مفعول « تبسط » و « مآدب » فاعلة .

(٣) الفدامة : العي .

(٤) هو أبو تمام الطائفي ومطلع هذه القصيدة :

ألم يأن أن تروي الظما الحوائم وأن ينظم الشمل المبدد ناظم

(٥) كذا في ف ، ل ، وفي غيرها « ولم » .

(٦) هكذا في ف ، ل ، وفي سائر النسخ « لبد » وهو اسم آخر نسور لقمان بن عاد سماه بذلك
لانه لبد فبقي لا يذهب ولا يموت كاللبد من الرجال اللازم لرحلة لا يفارقه وهو من سبعة أنسر
هلكت جميعها قبله ثم تبعها فضرب به المثل في طول العمر وكان الاخرى بهذه الجملة أن تكون
هكذا « ولا يخنى عليها ما أخنى على لبد من البلى » ومنه قول الشاعر « أخنى عليها الذي
أخنى على لبد » .

(٧) البلاء هنا : مقصور البلاء أي لا يلحقها البلى مها امتد بها اسباب البلاء .

(٨) الكلمة : الستر ، والمعنى انه ألقى بنفسه الى ربه (ولعل الاصل كلمة - بفتح الكاف
وتشديد اللام أي الثقل من كل ما يتكلف وفي هامش ل : الكلمة والتكلان : التوكل أي جعل
عليه توكله واعتماده والكلمة على هذا بكسر الكاف واللام مخففة .

وخليله . صلى الله عليه وسلم وعلى آله وعترته ، وصحبه وعشيرته . وسلم تسليماً .

أما بعد ، فان الأمير الكبير تيم بن المعز لدين الله العلوي^(١) - تقمده الله
بالعفو والغفران ، وسقى ضريحه بديم الفضل والامتنان - كان قد ولّى إمارة
ممالك الشعر وألقى إليه زمام التصرف في أقطار النظم والنثر . وذلل لركوب
يراعته كل صعب من فنون الاتقان ، وسهل لتسلق براعته كل حزن من ضروب
سحر البيان . قد خطب في كل فن من شعبه على منبره وتحل في كل ندى من
رتبه بجلي ردايه ومثزه وصال فيها الفحول وقاوم بها كل بازل^(٢) صؤول
ولم تذله ركة^(٣) الطمع فيستذل^(٤) مديحه ولم تخالجه مهانة السؤفة فتغش
خطابه الملوكي صريحه بل كان (هو)^(٥) مقصود الثناء مصمود الفناء ألسنة
المدائح في كل مكارمه مطلقة الأعنة^(٦) وهو .

لم يبد في غير أبيه وأخيه الإمامين بلفظة سنة ومن أحسن ما قيل فيه
قول ابن رشيقي :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويه السيول عن الحيا عن البحر عن كفا الأمير تيم^(٧)

(١) في ب ، د ، ل (العبيدي) وقد اخذت هذه النسبة من عبيد الله المهدي أول خلفاء
الفاطميين ، وقد قام في ديار المغرب سنة ٢٩٦ هـ ويسمى عندهم (صاحب الظهور) لان الأئمة
قبله كانوا يستترون تقيه وخوفاً من اضطهاد العباسيين .

(٢) البازل : البعير الذي فطر نابه أي انشق بدخوله في السنة التاسعة .

(٣) الركة لغة : المطر القليل ويعني هنا التفاهة والقلة والحرص وأقرب من هذا أن يكون
أراد الركاكة وهي الضعف او القلة فاما ان تكون اتى بالركة في الركاكة كما يقول المولدون ولم
ترد الركة في العربية او يكون أتى بالركاكة وسقط النسخ (كا) من الكلمة ويبعد التفسير
الاول ان المطر القليل ورد فيه الرك بفتح الراء وكسرهما لا الركة .

(٤) كذا في ف وفي سائر النسخ « فيستزل »

(٥) كذا في ل

(٦) هذه الكلمة ساقطة من جميع النسخ ما عدا « ل » .

(٧) أورد بن خلكان هذين البيتين في مدح تيم بن المعز باديس الافريقي (راجع وفيات
الاعيان ص ١٣٧ طبع بولاق) .

وقد جُمع في هذا السُّفر ما وجد من فنون نظمه ليكون دليلاً على المفقود من افانين حكمته ، وسبيلاً إلى التنزه في طرائف أدبه وعلمه .

قال يمدح أخاه العزيز بالله أمير المؤمنين عند ظفـره بالتركي^(١) وأصحابه :

أعدلاً وما عدلتي النهى ولا طرد الحلم عني الصبا
وكيف تلومين صعب المرام وتلحين مثلي كهل الحجا
بلوت الزمان وأحداثه على السلم منهني لي والوغى
فما فلت حرّها لي شباً ولا ازددت بالسلم عنهارضا
إذا قلت لم أعد فصل الخطاب وإن صلت أيقظت عين الردى
أرتني التجارب ما قد بدا فقتت به كل ما قد خفا^(٢)
ولم يبلغ العمرني من سنييه^(٣) ثلاثين حتى بلغت المدى
وبرزت عزمًا على ثابت^(٤) وأريبت فتكاً على الشنفرى
إذا الجد لم يسم بالمرء لم ينل بالنباهة أقصى المنى^(٥)

(١) يريد به أفتكين - ويقال فيه هفتكين - الشرايى مولى معز الدولة بن بويه ، هرب من عضد الدولة وانضم للفرامطة بالشام ، وحارب الفاطميين ، ثم ظفر به العزيز وعفا عنه ، ولكن الوزير ابن كلس سمه في القاهرة سنة ٣٦٨ . انظر شذرات الذهب والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٣٣ واتعاط الحنفا ص ٢٩٤ (طبع دار الفكر العربي) .

(٢) خفا يخفو : ظهر وهو يناسب هنا وانما المناسب هنا « خفى » كرضي بمعنى استتر . وخفي -- كسمي - لغة طائية في خفى وكذا نظائره كرضى ونحوه .

(٣) في : ب ، ف « من سني » وهو بتشديد الياء والياء الاخيرة ياء التكلم .

(٤) هو ثابت بن جابر بن سفيان لقب تابط شراً ، لان أمه قالت له : كل اخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرك ، فقال : سأتيك الليلة بشيء فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه فلما راح أتى بهم في جراب متابطاً به فالتقاء بين يديها ففتحته فتساعين في بيتها فوثبت وخرجت فقال لها نساء الحي : ماذا تأكل به ثابت ؟ فقالت : أناني بأفاع في جراب فقلن : وكيف حملها ؟ فقالت : تابطها فقلن : لقد تابط شراً ، فزمته . وكان شاعراً من مشاهير العدائين (انظر الاغانى ج ١٨ ص ٢٠٩ طبع بولاق) .

(٥) في ، ل يروى هذا البيت بعد الذي يليه .

ولم يعض^(١) بي الدهر صفحاً ولا خليلي بي ظمأ ما أراه^(٢)
قلا تستشياً بروق السحاب أعيننا أخوا لكما لم يبت
ولم يسترح قلبه من أسى على ان لي عزمات إذا
ونفسا تن بها الحادثات ولم أرم سهمي الا أصبت
ولا أشرب الماء إلا دماً تهوت علي صعاب الامور
غدا ملء عيني منه قذى يبرده علل^(٣) من حيا^(٤)
فلاري في شيم برق الظبى على طول مسراه يشكو الوجى^(٥)
ولم تخل أحشاؤه من جوى تنوهضن هضن طوال القنا^(٦)
وقلبا يسد علي الفلا ولم أدع بالدهر الا احتذى^(٧)
إذا اعرضت لي طرق الاذى ويصغر عني جميع الورى

* * *

أنا ابن المعز سليل العلا وأنا ابن المعز سليل العلا
سما بي معداً إلى غاية فرحت بها فاطمي النجار^(٨)
وما احتجت قط إلى ناصر ولم أستشر في ملم ينوب
وصنو (العزيز) امام الهدى من المجد ما فوقها مرتقى
حسينيه علوي الجنسى ولا رحت يوماً ضعيف القوى
مشيراً أرى منه ما لا أرى

(١) لعلها « ولم يبد » وابداء الصفح والصفحة كناية عن الاعراض والمكاشفة بالمداواة يريد ان الدهر لا يأتيه ولا يصيبه بسوء فهو لا يشكوه لانه أمير مهياً له كل ما يريد كما يشكوه كثير من الشعراء .

(٢) في ح : « ما ارى »

(٣) في ب و ف « بلل » والعلل : الشرب الثاني يقال : علل بعد نهل

(٤) الحيا : المطر

(٥) الوجى : الحفا وهو ان يجد الالم في حافره او فرسنه من كثرة المشي

(٦) كذا في ل

وفي سائر الاصول : « أنهضن طول القنا »

(٧) احتذى أي أطاع ولبى

(٨) النجار : الأصل

ولست بوانٍ إذا ما أمرٌ
إذا أصبح الموتُ حتماً فلا
وإنما لقومٌ نروح الزمانَ
ومنا الامامُ العزيزُ الذي
سعى للشأم وقد أصبحتُ
فكشفتُ من ليلها ما سجا
ولما تقابلت الجحفلان^(٢)
ولم يبق في الصف من قائل
وقد ولغت في الصدور الرماحُ
وغتت على البيض^(٤) الذكور
كأن الرماح سكارى تجولُ
وقال يمدح الخليفة أبا المنصور العزيز بالله وقد تناول دواء :

لست أدري من المعلى المهنأ
أأهنيك يا شقيق المعالي
بشركك السعود بالنصر والعه
انما أنت «حجة الله»^(٦) لاحت
منكما بالشفاء والنعماء
أم أهني بك اتخاذ الدواء
زٌ وجاءتك بالعلا والبقاء
في البرايا ووارث الأنبياء^(٧)

(١) الشوى : الاطراف وجلة الرأس

(٢) الجحفل : الجيش ، وأراد الكتيبة فأنته

(٣) في هامش « صلت من الصليل وهو صوت الحديد أو من (الصلاة)

« اخضعت . : والطل : جمع طلية ، وهي العنق »

(٤) البيض (بالفتح) : جمع بيضة وهي الخوذة . والبيض (بكسر الباء) : جمع ابيض

وهو السيف . والذكور : جمع ذكر وهو من الحديد أبيسه

(٥) القب : جمع أقب وهو الضامر

(٦) حجة الله : من صفات النبي والائمة عند الفاطميين (راجع ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة) و (كتاب المجالس المستنصرية) .

(٧) تظهر عقيدة الفاطميين في الدور بوضوح في قول الشاعر عن الأمام : انه وارث الأنبياء . يقصد بذلك أن محمول ما جاء به الأنبياء قد جمع في الامام وللامام (المجالس المؤيدية غرطة) ، و (رسالة مباسم البشارات بالامام الحاكم مخطوطة بمكتبة كامل حسين) .

فابق ما شئت في نمو من الملا
لك عند الزمان عهدٌ جميلٌ
لك على رغم آنفِ الأعداء
ولدى المكرمات حسنُ بلاء

وقال الأمير يصف (القرافة) ويتضرع الى الله :

إذا كنت مصطفياً مربعا
منازل معمورة بالعفا
كأن العبير لها تربة
ويحيي النفوس بأرجائها
ديارٌ أدير بها النعيم
تزيدُ الشمسُ بها بهجة
وينبه فيها النيام الأذان
فمن ذاكرٍ ربّه خشيّة
ولا خيرة في حياة امرئ
رجوتك يارب لا لأنني
ولكنني مؤمن موقن
وأنت أهل لحسن الظنون
ومالي يا رب من شافع
وأني حنيف بريء اليك
فصفحك عن زلتي منعماً
فخُصّ (القرافة)^(١) بالاصطفاء
في مخصوصة بالتقى والبهاء
تضوع في صبحها والمساء
رقيق النسيم وطيبُ الهواء
ومغنى كملتد رجوع الغناء
وتحسن في مقلتي كل راء
إذا مزق الليل سيف الضياء
ومن مستهل بطول الدعاء
إذا لم يخف فصل يوم القضاء
أطعتك طوع أولي الانتهاء
بأنك رب الورى والساء
وأنت أهل لحسن الرجاء
اليك سوى خاتم الأنبياء
من الشك والشرك والاعتداء
وعفوك عن نبوتي والتواني

* * *

(١) القرافة في الأصل : بطن من المعافرين يعفر بن الحارث بن مرة . وعامة المعافر بصر ، ولهم خطة بالفسطاط تعرف بالقرافة ، وهي اسم أهم (شرح القاموس مادة قرف) وجاء في ابن خلكان : ومن بني غافق بطن يعرفون بالقرافة سكنوا سنج المقطم ايم الفتح العربي ، ثم تركوا أماكنهم وتفرقوا في البلاد المصرية وصار مكانهم مقبرة للمسلمين فسميت المقبرة في مصر بالقرافة نسبة لهؤلاء القوم وكانت القرافة في عصر الفاطميين مكن المتصوفة .

وأمر أن يكتب على طراز شقة^(١) هذه الأبيات :

أنا من رقة الهوى والهواء ومن النور ألفت أجزائي
تبذل الخرد الحسان لي الاو جهة دون الأمات والأباء
واذا غننت القيات فاني ستر الحاظها على الندماء
فكأني والشعر والأوجه البید ض بدور في ظلمة في سماء
ألمس الأوجه الحسان واستم مع من كل وجنة حمراء
لا أخاف الوشة ان رمقوني لا ولا أتقي من الرقباء
واذا قبلت رؤوس الغواني قبلتني أكبر الظرفاء
جل قدري عن الغلالة والتكة والقمص والقباء والرداء

* * *

وجرت أحوال دعت الى أن قال مخاطباً للخليفة العزيز بالله :

رضيت بحكم سابقة القضاء وان أضحت تكدر صفو مائي
وهل يستطيع أهل الارض حلا لعقد شد من فوق السماء
الى كم تهدم الأحداث ركني وتومني بجور واعتداء
يعاقبني^(٢) الزمان بغير ذنب وتحذلي يدي وذوو اصطفائي^(٣)
ويسعى بي لمن لوجاء ساع به عندي لحضب بالدماء
حياتي بين واش أو حسود وساع بي يسر بطول دائي
فان وشى علي الزور باغ فصبراً للمقادر والقضاء
وما أنا يا أبا المنصور إلا - كما تدري - على محض الوفاء

(١) الطراز : نوع من الاقمشة المنسوجة بالابرسم يشد به الرأس . والشقة بالكسر ما يشق من الثوب والمراد هنا ما تغطي به المرأة رأسها ووجهها . ويظهر ان هذه كانت زرقاء .. انظر البيت الرابع من هذه القصيدة .

(٢) في ل : « يعاديني » .

(٣) في ب : « وذوو صفائي » .

أتعلم كيف كانت لك انعطائي وأحين ملكتني والناس طراً
وحين رجوت نصرك لي فأني يحبك مبغض لي ساعياً بي
فيثلبني ويرجع سالم لم وأن تك ما قبلت له مقالا
وقد بلغتني أملي فتمم ولا تشغل ضميري باستماع
فقد طيبت عيشي في سرور وعيشي زائد طيباً اذا لم

وقال :

وإذا تأملت الوداع رأيت ولو ان قلبي فيك أعطى سؤله

وقال متغزلاً :

ولي صاحب لا يمرض العقل جهله اذا قلت (لا) في قصة لم يقل (بلى)
وان قلت هاك الكأس قال مبادراً سريع إذا لبي صبور اذا دعا
غدوت به يوماً الى بيت حانة وقد نفحت ريح الصبا بمنافس
فأفضى بنا الادلاج بعد تعسف مزنة أمّا أبوها فقصر

(١) يريد « رائي » .

(٢) الزولة ، المرأة الخفيفة الظريقة

وكيف رأيت قدماً فيك رائني^(١) ورحت خليفة في ذا الفضاء
بملك بالغ أقضي رجائي يروم لديك نقصي في خفاء
تهجك عليه أسباب الإخاء فحقك رمية بيد البلاء
تم لك السلامة في البقاء لوأش في مهدوم البناء
وقد أنعمت بالي في رخاء يكدره لديك بنو الزناء

دمعاً يفيض على الحدود دماء يوم الفراق لفارق الأحشاء

ولا تتأذى النفس منه ولا القلب وان قلت أصبو قال لا بد أن أصبو
ألا هاتها طاب التنادم والشرب يهون عليه في رضا خله الصعب
وللغيم دمع ما يكف له سكب عبيرية الانفاس طاب لها الترب
إلى زولة^(٢) شطاء منزلها رحب وحسبك ملك جده قيصر حسب

قصيرية^(١) ديرية هرقلية^(٢)
وقالت لنا : اهلاً وسهلاً ومرحباً
من أنتم فقلنا : عصابة من بني الصبا
فقلت على اسم الله حطوا رحالك
وراح نفى أقذاءها طول عمرها
أرق إذا رقرقتها في زجاجة
كان سراجاً في ترائب دنها
فقلنا لها : هاتي^(٥) بها وتعجلي
فجاءت تجر الزق^(٥) نحوي كأنه
فلما مزجناها بدا فوق رأسها
وطافت بها هيفاء مخطفة الحشا
تمایل ردفها وأدرج خصرها
شكا كشحها الزنار مما يجيعه
أغار على أعطافها كلما انثنت
أحلت لي الصبباء تقبيل وجهها
كأني وقد أضجعتها وعلوتها
وما فض^(٧) لامي صاها^(٧) يجناية

تقاصر منها الخطو^(٣) واحدوب الصلب
وقل لكم مني النباشة والرحب
دعاهم اليك القصف والعزف واللعب
فعندي الفتاة الرؤد^(٤) والأورد الرطب
فجاءت كما يُدري مدامعه الصب
والطف من نفس تداولها الحب
إذا أقبلت من ليلة الدن تنصب
ولايك فيما قلت خلف ولا كذب
على الأرض زنجي بلا هامة يحبو
حباب^(٦) كما ينساب من سلكه الحب
معاطفها سلم وأحاطها حرب
لياناً ولطفاً مثل ما تدرج الكتب
وضاق بها الخلخال وامتلأ القلب^(٦)
مع الكأس أو فدئ ملاحظتها الشرب
وما كان قبل السكر في لثمه عتب
من الشكل رفع تحت ضمته نصب
سوى قولها ان المسيح لها رب

- (١) اي منسوبة إلى دير القصير . وسأقي التعريف به . وفي ب « نصيرية » بالنون
(٢) هرقلية : نسبة الى هرقل مدينة بالروم واصل ضبطها بفتح الراء وسكون القاف ،
لكن الشاعر تصرف في النطق بها للوزن .
(٣) في ل تقاصر منها الخط . وفي سائر الاصول : تقاصر منها الخطب وكلها بحروف
(٤) الرؤد : الشابة الحسنة
(٥) في ل « فقلنا لها كيلى لنا » .
(٦) القلب : السوار
(٧) يعني باللام عن الذكر ، يشبه بحرف اللا وبالصاد عن فرج المرأة يشبه برأس الصاد
او مشقها .

قلنا أغاظتني بإظهار كفرها
وضرحت فخذنيها دماً بمصم
وقلت لها ارمأحنا علوية
فما برحت حتى أنابت وأسلمت
أبا حسن^(١) مالك^(١) المدامة واسقني
كأن الثريا في ملاءة فجرها
سلام على دير^(٣) القصير ومرحباً
فكم لذة فيه قضيت وغلة
منازل يستن الصبا في عراصها

ذبت عن الاسلام اذا ممكن الذب^(١)
تقر له البيض المهندة^(١) القضب
تقد تراس الروس ان طعنت عرب
فهل لي في فتكي بها بعد ذا ذنب
فقد شاب^(٢) رأس الشرق واحلوك الغرب
مصاييح^(٢) الا انها قد بدت تحبو
به فله مني التخصص والقرب
شفيت ولا واش علينا ولا شغب
ويعذب فيها ماء ديمتها العذب

وقال أيضاً يمدح الخليفة العزيز بالله وقت نزوله مناج الفتوح بالطواحين^(٤)
قبل الظفر بالاتراك :

إذا حان من شمس النهار غروب
ألا أبلغا القصيرين فالنفس^(٥) أني
الى ساحتي دير القصير الى الربا
منازل لم يلبس بها العيش شاحباً
هي الوطن^(٧) النائي الذي لم تزل لنا

تذكر مشتاق وحن غريب^(٦)
اليمن مذ فارقتهن كئيب
فمصرها حيث الحياة تطيب
ولم تلف فيهن الخطوب تنوب
نفوس اليه^(٨) نزع وقلوب

(١) كذا في الاصول : ولعلها « هات »

(٢) كذا في ل وف وفي سائر الاصول : « فقد غاب رأس »

(٣) دير القصير : دير قرب حلوان وهو على رأس جبل مشرف على النيل في غاية الزاخرة
والحسن وفيه صورة السيدة مريم وفي حجرها المسيح . كان تمارويه بن احمد بن طولوت يكثر
غشائه للشرب .

(٤) الدبارات للشابثي (مسالك الابصار) (معجم يا قوت) .

(٥) الطواحين : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين بالشام .

(٦) في م : « وحن حبيب » .

(٧) المقس : اسم مكان كان من المنتزهات شمالي القاهرة .

(٨) في ف ، ل وج : « هي الوطن الثاني » .

(٩) في ع : « اليه نفوس نزع .. الخ » .

واني لأهوى الريح من كل ما بدا
وما بلد الانسان الا الذي له^(١)
الى الله أشكو وشك بين وفرقة
ترى عندهم علم وان شطت النوى
لهم كبدي دوني وقلبي ومهجتي
فأية حزني لوعة وصباة
وما فارقونا يرتضون فراقنا
لهم أنفوس مرضى يقطعها الأسى
فللشوق في الأكباد منهن رنة
سيشفين داء البعد بالقرب عاجلا
وأن ظنون الناس افك وباطل

وقال يمدح الخليفة المعز لدين الله في وقت تمام عمل الشمسية لبنت الله الحرام
حرسه الله :

اليك مدت رقابها العرب
وانت من دوحة النبوة لا
ألست من يرهب الاله ولا
وكما مال بدء عزمته
فهكذا تصدع الملوك اذا
ويزدهي الدين بالمعز لدي

والملك ماء عليك منسكب
تألف إلا عدائك الريب
يصده عن حدوده سبب
لمذهب لم تحالف العقب^(٥)
صالت وتنفي الضلالة الشهب
ن الله والمرهفات واليلب^(٦)

وكل رجراجة عزائه
وهذه الدولة التي زخرت
يا حبذا دهرك الزلال اذا
وحبذا الشمسة التي نصبت
فايست العيد وهي حلتها
ينهب ياقوتها العيون فما
دائرة أهدت بغرتها
كأنما درها وجوهرها
كأنما رصعت مناقبك ال
حق على الشمس طول نقبتها
وقد أراها ولا مدام بها
نظمتها للهدى ولبتة^(٤)
في كبد المسجد الحرام لها
فلا تمشئ بأهله زمن
صلى عليك الاله ما طلعت

دلاصها^(١) والرماح والقضب
فلم يسعها الزمان والحقب
أمر دهر وعصرك الشنب^(٢)
يقصر عنها المديح والخطب
وأخفت اليوم وهو منتصب
يكمل الا من حيث ينتهب
أهله لا تجنأ^(٣) السحب
نجوم ليل سماؤها ذهب
غمر عليها وأفرغ الحسب
منها وذات الحياء تنلقب
فكيف قالوا لدرها الحبيب
وان سخطن الكواعب العرب
شوق ولبيت نحوها طرب
الا بما تشتهي^(٥) وترتقب
شمس وما انهل عارض لجب

وقال يرثي والده الخليفة المعز لدين الله :

كيف لا تعدم الجوم القلوبا
من يعزي الجياد أم من يسلي
فقدوا بعدك القلوب اللواتي
وامعزاه وامعزاه حتى

وترى نضرة الوجوه شحوبا
مجلس الملك والسرير الكثيلا
شقها واجب فشقوا الجيوب
يفتدي الدمع بالدماء خضيبا

(١) درع دلاص : ملاء لينة .
(٢) الشنب : البارد ، ويعنى به العذب الطيب
(٣) في ج ، و « أهله لا يحفها السحب » .
(٤) اللبة : المنحر
(٥) في ج ، هـ : « الا بما تبغني »

(١) كذا في م : وفي سائر الاصول « الذي به .. له » .
(٢) في ف ، ل ، ج ، ز « الفؤاد » . وفي م : « لها بين أحشاء الخب ذبيب » .
(٣) هذا البيت والاثنا قبله في اليتيمة ، في ترجمة الشاعر .
(٤) في م : « أدعى بها وأجيب » .
(٥) جمع العقبي . الامر : نهايته وجزاؤه
(٦) اليلب : الترسه او الدرع البانية من الجلود وقيل : جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس
الرؤوس .

فليذق غيري الحياة فاني
وقال متغزلاً :

تمتع بالمسرة والشباب
فحبك والزمان وأنت فيه
فحي على المدام بكف ساق
يدير بريقه ويديه خمرًا
كأن يديه حاكت وجنتيه
يداه ثم وجنته وقلبي
إذا ما أكثر العذاب فيه
عداوتهم وعذلم جميعاً
لعمرك إنما الدنيا عروس
بنفسجها ونرجسها وورد
فاهرق من دم الأبريق راحاً
فأبريقي وكأسي والغوادي (٣)
فتم الشرب ان الصحو عزم
فأريك ثم شربك والغواني

وقال يمدح الخليفة العزيز بالله حين الظفر بأبي تغلب بن حمدان : (٤)

(١) اللهاب : النار إذا خلص منها الدخان

(٢) في ل : انسكاب

(٣) في الأصول : « والغوالي » والغوالي جمع الغالية وهي طيب يتطيب به . كأنه يريد
ان الغالية كثرت عندهم حتى صارت كالسحاب وما اثبت انسب والغوادي واحدها الغادية وهي
السحابة تنشأ غدوة .

(٤) في ل : « وقال في المعز لدين الله امير المؤمنين » وابو الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن
بن سنان وكان ملك الموصل وديار ربيعة وقعت له حروب مع بني بويه الى ان طرقه عضد
الدولة البويهية واخذ بلاده فسار ابو تغلب الى الشام وكان على دمشق قسام داعية العزيز بالله ففنه
قسام من دخول المدينة فاقام بظاهرها ثم رحل إلى طبرية بعد مناوشات مع قسام ثم حاربه دغفل
ل في الرملة سنة ٣٦٦ فقتل بالمركة وبعث برأسه الى العزيز بمصر .

لوم لئيم كلما اشتد خاب
من لأم في الحب كئيب الحشا (٢)
واكبدا لم يبق منها الجوى (٣)
صباية تقدح في مهجتي
يا من تشفى بعذابي به
لو فتشوا جسمي ما أبصروا
لا زال سقمي وعذابي على
لا خير في الحب اذا لم يكن
في خد من يتمني من دمي
كأنما الاصباح من وجهه
فما رمى عن قوس أجفانه
لما تشكيت اليه الهوى
وزارني تحت رواق الدجى
يلوح في الظلمة للأؤه
مكتتما يفرق من ظلمة
والبدر في أول اقباله
فبات يعطيني من وصله
اذا سقاني الراح من كفه
كأنها في الكأس ما جال في

والشوق لا يصفي لبعض العتاب (١)
فانما أغراه بالاكثاب
بين ضلوعي للجوى ما يذاب
بلاعج البث شجى والتهاب
اني لأستعذب منك (٤) العذاب
غير الأسى يسرح بين الثياب
سقم المآتي والثنايا العذاب
في انفس العشاق ماضي الحراب
رشح وفي كفيه منه خضاب
لاح ومن خديه ذاب الشراب
قلبي بالألحاظ الا أصاب
بالسن الدمع رثى واستجاب (٥)
والليل في صبغ جناحي الغراب
كالبدر في مدرعة (٦) من سحاب
مستحسراً (٧) من قلق واكتئاب
كخط نون مذهب في كتاب
أضعاف ما أعطي من الاجتناب
مزجتها لثماً براح الرضاب
خديه من رقة ماء الشباب

(١) في دع والشوق لا يضي اليه العتاب .

(٢) في ج « كئيب الجوى »

(٣) في ع : « واكبدي لم يبق مني النوى »

(٤) في ع : « فيك العذاب » وفي ز « ذاك العذاب »

(٥) في ب : « بكى واستجاب »

(٦) المدرعة : جبة مشقوقة المقدم

(٧) استحسّر الرجل : اعيا

حتى تولى الليل في جيشه
كأنما الليل بأصباحه
أو كأن مثل الجور في لونه
قل لأبي المنصور يا خير من
ويا اماما قابلت ملكه
نحوك القدرة والنصر من
ان ابن حمدان عدا رشده
ظن الذي اخلفه ظنه
فيا أبا تغلب سؤت المنى
كيف يلاقي الأسد منك أمرؤ
حاربت^(٣) بالبغي امام الهدى
وكان قد طاب لك عفوه^(٤)
وجهه بالبيض كتاباً له
وعجلت رأسك سمر القنا
كذاك من حيسر^(٥) عن سعده
يا بن معز الدين أبشر فقد
وانحل عن ملكك عقد الاذى
لانك الغرة من هاشم

وحل ضوء الصبح عقد النقاب
كان عذاراً حالكا ثم شاب
فجله عدل نزار فغاب^(١)
أقام أو حث لمجد ركاب
لوائح الاقبال من كل باب
حباك بالحكم^(٢) وفصل الخطاب
ورام ان يظفر جهلا فخاب
فيها وخال الماء لمع السراب
ومت بالتهديد قبل الضراب
قد فر من ادنى نباح الكلاب
ولم تهب منه عزيزاً يهاب
فعاد مرا منه ما كان طاب
اليك منشوراً^(٥) فكنت الجواب
وخلفت جسمك رهن التراب
مثلك لا يزداد إلا اغتراب
مدت لك الاملاك^(٧) طوع الرقاب
قسرا وذلت لك فيه الصعاب
والصفو من ساداتها واللباب^(٨)

وابن الصفا والحجر وابن الهدى
كفالك كف تنهمي بالثواب
كم من يد أوليتني جمّة
ما زلت تدنيني وتعلي يدي
فرخت من نعمك بادي الغنى
والله ما في جسدي شعرة
وقال أيضاً :

ويوم خدعت الدهر عنه فلم أزل
لدى روضة عالت رباها كرومها
كأن سحيق المسك خالط أرضها
كأن بنات النيل^(٤) والريح ترقني
وقال يذم الدهر :

أغنيت دهرك تتقي
ولو اتقيت معاصي الرحم
لأمنت من نار الجحيم
ان لم تراقب من له

وقال يهنئ الامام العزيز بالله بعيد :

قواضب الرأي أمضى من شبا القضب والحزم في الجد ليس الحزم في اللعب
والعز ليس براض عن علا ملك ما لم تعنه سيوف الهند بالقضب

(١) الكتاب في التأويل الباطني عند الفاطميين هو علي بن ابي طالب (راجع المجالس المستنصرية) .

(٢) كذا في ب ف ، ل : وفي سائر النسخ « حي النصاب »

(٣) السخاب : قلادة تتحل بها الاعناق

(٤) بنات النيل : السفن فيه . والطلي جمع طلبة وهي العنق

(٥) كذا في ل ، ف « من المعائب » . وفي ر من « المعاييب » .

فيه الحوادث والمصائب
ن فيما أنت راكب
م وفي الحياة من النوائب^(٥)
حكم عليك فمن تراقب

(١) في ع « فخاف من عدل نزار فغاب »

(٢) كذا في ب : وفي سائر الاصول « بالنصر »

(٣) في د « جازيت »

(٤) يقصد ما حدث بأفتكين الشراي الذي عفا عنه العزيز والذي اشرنا اليه في ص ٧

(٥) في ع « منشورا »

(٦) في ع : « خيب عن سعده » ولعلها محرفة عن « خيب في سعيه »

(٧) كذا في ب ف ، ل : وفي سائر النسخ « الآمال »

في ع : « والصفوف من صفوها والباب »

وليس يستطعم الراحة طيبة
وتركك الشيء مما تستريب به
إذا استربت بشيء فامح ظننه
أعلى المراتب ما تبنيه مجتهدا
بت ساهرا عند رأس الأمر ترقبه
والهم بالخطب قبل الخطب منبهة
يرجى دفاع الرزايا قبل موقعها
وأفضل الحلم حلم عند مقدرة
يها العزيز من العلياء منزلة (٤)
خليفة علوي أصل مورثها
لقد حوت أبا المنصور مرتبة
أنت المسمى المرجى قبل مولده
ما زلت تخطب للعلياء أنفسها
حق جلست على الجوزاء منفردا
مكارم حزتها لم يحوها ملك

من لا يخوض اليها شدة التعب
عجز وداعية تقضي إلى العطب
فذاك أنفى الليل الشك والريب
وأفضل المجد ما تحويه بالنصب (١)
ولا تبت نائما عنه (لدى الذنب) (٢)
ومن رمى بسهام الحزم لم يحجب
وليس يرتجع الماضي من النوب
وأعذب الجود (٣) ما وافى بلا طلب
لم يحوها ملك في سالف الحقب
ومولد نبوي الجنس (٥) والحسب
من المكارم طالت أرؤس الرتب
والخامس القائم المذكور في الكتب (٦)
دون الملوك ببيض الهند والذهب
بها وقبلتها في موضع الشنب
في سالف الدهر من عجم ولا عرب

(١) في ف ، ك « بالقضب » .

(٢) في ف ، ك « لدى الرتب » .

(٣) كذا في في ب ، وفي سائر الاصول « واعذب الود »

(٤) كذا في ب ، وفي سائر الاصول : « مرتبة »

(٥) في ل ، هـ ، « نبوي الحسن » .

(٦) يريد انه خامس اربعة خلفاء وهم : المهدي والقائم والمصور والمعز ثم العزيز بالله وهو المراد هنا . ونلاحظ ان الشاعر مدح امامه بأنه القائم الخامس وتلك عقيدة من عتقائد الفاطميين يشركهم فيها غيرهم من الفرق الاسلامية بأن القائم هو (المهدي المنتظر) وكل امام هو قائم بالقوة ، الى ان يأتي قائم القيامة وهو القائم بالفعل ، كما ان الفاطميين ذهبوا مذهب الفيشاغوريين القائل بأن الموجودات بحسب طبيعة العدد وخواصه فلكل عدد خاصية ليست لغيره ، ولكل امام خاصية وقوة وصفات ليست لغيره حسب ترتيبه في سلسلة الامامة ولذا قال الشاعر الخامس سائما

يا ناصر الدين والجدوى وطالبها
هناك عيداً أعدت السعد فيه لنا
برزت فيه بروز الشمس كاسفة
تأملوا منك بالإبصار اذ نظروا
أطاب لي العيش اني منك منتصر
وأكثر الناس ذبا عن ذوي رحم
واننا غصنا فرع يضمها
فمن علاك (٢) معالي التي شرفت
لا زلت تبقى على الأيام مقتدرا
وما مالت الريح بالاغصان والقضب

وفارس القول والانباء والخطب
عونا على نكس الأيام والشغب
بضوئها لضياء البدر والشهب
تقوى امام ولاذوا منك بابن نبي
بأنصر الناس للقريب وللنسب
وأعلم الناس (بالتفضيل) (١) والأدب
إلى أواصر جند واحد وأب
ومن أياديك ما أحوي من النشب
ما مالت الريح بالاغصان والقضب

وقال معارضاً قصيدة عبد الله بن المعتز التي أولها :

(ألا من لنفسي وأوصالها ومن لدوعي وتسكابها)

(إذا فزع الشوق حب القلوب) (٣)
أرقت لبرق أضاء الدجوت
سرى والدجنة منشورة
كأن السحاب به عادة
كأن البروق سيوف الغمام
ومنبجس القطر مشعج (٥)
كأن يعاليه (٦) في الصبا
نشاوى نواشر أطراها (٧)

كواها بشدة تلهاها
وأذهب حلقة أطناها
فمزق أعلام أثوابها
مشوفة (٤) بين أترابها
إذا هزها ثم رامى بها
جهير الواعد صخابها
نشاوى نواشر أطراها (٧)

(١) في ف ، ك ، ل « للتفضيل للأدب »

(٢) في ل : « فن معاليك عليائي »

(٣) في ف ، ك ، ل هذا الشطر « إذا فرغ الحب حب القلوب » .

(٤) مشوفة : مزينة .

(٥) المنعجر : السائل .

(٦) اليعاليل : جمع يعلول وهو السحاب الأبيض وقيل القطعة البيضاء منه .

(٧) الاطراب : نقادة الرياحين .

سقين عطاش متون الربا
وأبدن تفويف بسط الرياض
كأن الشقيق بأرجائها
فعوجا على أرج موتق
تعلل ما بين حوذائها^(١)
بصفراء شابت ولم تحتلم
سلاف اذا انتسبت للنديم
كأن السقا لها يقسمون
تطوف علينا بها غادة
اذا سلطت سحر أجفائها
دعاني فلست بمستحسن
ألا قل لمن ضل من هاشم
أواسطها مثل أطرافها
أعباسها كأي حربها
وأولها مؤمناً بالإله
بني هاشم قد تعاميت
أعباسكم كان سيف النبي
أعباسكم كان في بدره
أعباسكم قاتل المشركين
أعباسكم كوصي النبي

أعباسكم شرح المشكلات
عجبت لمرتكب بغيه
يقول فينظم زور^(١) الكلام
(لكم حرمة يا بني بنته
وكيف يجوز سهام البنين
بذا أنزل الله آي القرآن
لقد جار في القول عبد الله
ونحن^(٢) لبسنا^(٣) ثياب النبي
ونحن بنوه ووراثه
وفينا الامامة لا فيكم
ومن لكم يا بني عمه
وما لكم كوصي النبي
ألسنا لباب بني هاشم
ألسنا سبقنا لغاياتها
بنا صلتم وبننا طلتم
ولاتسفهوا أنفسنا^(٥) بالكذاب
فأنتم كلحن قوافي الفخار

وقال^(٦) في النيلوفر :

وبركة تزهو - بنيلوفر

وفتح مقفل أبوابها
غوي^(١) المقالة كذاها
وبحكم تنميق اذهاها
ولكن بنو العم أولى بها
بنو العم أف لنصاها
أتمعون عن نص أسهاها
وقاس المطايا بركاها
وأنتم جذبتم بهداها
واهل الوراثة أولى بها
ونحن أحق بجلباها
بمثل البتول وأنجها^(٤)
أب فتراموا بنشائها
وساداتكم عند نساها
ألسنا ذهبنا بأحساها
وليس الولاة ككتاها
فذاك أشد لاتعاها
ونحن غدونا كاعراها

تسمية يشبه نشر الحبيب

«١» الاقرباب : جمع قرب بالضم والسكون وبضمين وهي الخاصرة او من الشاكلة الى مراق
ن . وقد استعارها هنا للربا .

«٢» الزرباب في الاصل : الذهب وقد استعارها هنا للزنا .

«٣» الدساكر جمع دسكرة وهي بيوت الاعاجم يكون فيها اشراب والملاهي .

«٤» الحوذان : نبات شهى طيب الطعم ، يرتفع طول الذراع له زهرة حمراء في أصلها صفرة .
«٥» النصاب : الذي ينصب نفسه لعمل لم ينصب له ، مثل من يدعي الرسالة وليس برسول .

(١) في ل : « غر » وفي سائر النسخ « غور » ما وضعناه يلائم السياق ..

(٢) في ل ، ك « فنحن »

(٣) يشير إلى قصة الكساء وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في المبالغة .

(٤) جمع نجيب ، يريد أولادها النجباء

(٥) كذا في ك ، ف ، ل . وفي بعض الاصول « آنفأ » وهو جمع أنف

(٦) وجدت هذه المقطوعة في نسخة . وهي في كتاب المستطرف ٢-٣-٢٨

مفتاح الأجفان في نومه
أطبق جفنيه على خالده
حتى إذا الشمس دنت للغيب
وغاص في البركة خوف الرقيب

وقال في الزهد :

يا عجباً للناس كيف اغتدوا
لو حاسبوا أنفسهم لم يكن
من شك في الله فذاك الذي
يحييهم بعد البلى مثل ما

قيل : ان الامام العزيز بالله مدّ يده الكريمة إلى الامير تميم ببنفسج وورد
كانا بين يديه ، فنأوله ايّاهما وحيّاه بهما ، فقال ارتجالاً :

مد العزيز يمينه ببنفسج
فكان زرقته على محمها
حيّى فأحيا مهجتي بتحية
وأشار مبتسماً إليّ بوجهه
أنا من نداه ومن فواضل كفه

وقال أيضاً في الغزل :

ربّ ليل مستطاب
بتّ أسقي الرّاح فيه
مرضت عيناه حتى
كلما أودعت لثمي
ونجوم الليل تحكي

(١) في ل ، هـ : « مقطوفة » . ولم تنهج : لم تبل .

(٢) في ب ، ل : « عز مدلج » .

(٣) في ل : « أحور أفليج » .

(٤) فأنهج : فأخلق وبلى .

وقال يصف فوّارة :

خليلي وقد ولى الظلام وهملجا^(١)
فقموا إلى ساقيكما فاهتما به^(٢)
ودونكما قهوة بابلية
على نرجس غض يلاحظ سوسنا
وقاذفة بالماء في وسط بركة
إذا قذفت بالماء سلته منصلا^(٤)
وكان عيون العاشقين تعيرها
تخال بروز الماء من جفن عينها
تحاول ادراك النجوم بقذفه
لدى روضة جاد السحاب ربوعها
كأن غصون الأقحوان زمرد
ونوار نسرين كأن نسيمه
فيا ساقبي استعجلالي^(٩) وصرّفا
ولا تحملاهم الزمان فانه

(١) هملج : مشى مشية سهلة في سرعة .

(٢) في ب : « منقوبة » . وهو محرف عن مقدية بالتحريك وهي ضرب من الشراب .

(٣) وحف الشعر : كثف واسود ، ويعني به الماء المتدفق من البركة . والسجسج الذي ليس

فيه حر مؤذ ولا قر . وفي ل : « من الظل » في مكان « من الشعر » .

(٤) المنصل : السيف .

(٥) السجل : الدلو العظيمة مملوءة .

(٦) في ل : « منها » .

(٧) في ب : « خرجا » .

(٨) في ب « جو السماء » .

(٩) في ب : (استعجلاني) و . « صرفا » أي لا تمزجا .

دعاني وندمانني وكأسي ومزهري^(١)
 كأنّ ثراه^(٢) كلما صافح الندي
 بقايا الغوالي^(٣) في نحر نواهد
 سأطلب حقّي ان قضى الله لي به
 فلبست وان عاقرت كأسي بسالك
 ولا مشتر بالمجد مستحسن الصبا
 ولكنني موفّ لنفسي حقوقها
 فحسبي بالمعشوق^(٤) ربعا ومنهجها
 وهزّ نسيم الريح الوية الدجى
 ينازلن باللحظ الكميّ المدجج^(٥)
 وأفتح منه كلّ ما كان مرتجيا
 من الأمر فيها كل ما كان أسمجا
 ولا مشتر طرق المهالك بالنجا
 ورائضها فيما استوى وتعوجا

وقال يصف بركة الحبش^(٦) وخليج^(٧) بني وائل ويشبهها :

كأن البركة الغنّا اذا ما
 وقد لاح الضحى مرآة قين^(٨)
 ترى قمر الدجى قمراً حداه
 فلا تعص الصبا في لبس لهُو
 غدت بالماء مفعمة تموج
 قد انصقلت ومقبضها الخليج
 طلوعا ما له فيها بروج^(٩)
 فان الدهر ذو شغب لجوج

(١) في ل : « مزهري » ،

(٢) المعشوق : اسم بستان كان مطلاً على النيل بالقرب من الحبش في الجهة التي تعرف اليوم بساحل اثر النبي . وكان يعرف بجنان الأمير تميم ، ثم جدهه الافضل ابن امير الجيوش فصار يعرف به . انظر المقرئ في الكلام على البساتين .

(٣) كذا في ل . وفي غيره من الاصول : « تراها » .

(٤) الغوالي : جمع غالية وهي طيب معروف .

(٥) كذا في ل ، هـ ، وفي سائر الاصول : « المضرجا » .

(٦) بركة الحبش موضع : بين مصر القديمة ودير الطين بالقرب من جسر النيل . انظر الكلام عليها في خطط المقرئ وحسن المحاضرة للسيوطي .

(٧) كان هذا الخليج يأخذ من النيل في الجهة الجنوبية لمصر القديمة ، وكان يدخل إلى بركة . وانظر المقرئ في الكلام على هذه البركة ، وقد ذكر الشاعر هذا الخليج في آخر

نبي .

(٨) القين : الصانع .

(٩) يصف في هذا البيت ان القمر يتمثل فيها ، فيجعله يرى قمراً يحدوه أي يتبعه في الطلوع ، وهذا القمر الذي يتصور فيها ليس له فيها بروج ، قدر البروج هو القمر الحقيقي ، وجهه في السماء . فقوله : « حداه » بكسر الحاء والذال المعجمة أي حداه ، ويصح ان هذا الاخير على صورة الفعل الماضي أي كان بجذائه ، ويضع قولهم حدوته . قعدت بجذائه .

قافية الحاء

وقال في الخمر :

لو لم تفح لم تعرف الراح
 كأنها ترجم عنها السنا^(١)
 لأنها في الكأس اصباح
 أو ذاب في الاقداح تفاح

وقال يفتخر :

تركنا النعيم لاهل النعيم
 ونطرد بالعز ذل الخمول
 رؤوس الرماح وحد السيوف
 ومالي ألام على ان غدوت
 وجئنا العناء لكي نستريحاً
 ونشرب ماء المعالي صبوحة
 يقودان للطالبيين الفتوحا
 بمالي جوادا وعرضي شحيحا

وقال لما أرسل الخليفة العزيز بالله إلى الامير يستدعي منه توجيه العشاريات^(٢) والسارية فأنفذها وكتب معها أبياتاً وهي هذه :

بعثت بساكنات طائرات
 تطير اذا المجاديف استحثت
 كفوت اللحظ وهي بلا جناح
 بها^(٣) طيرات أجنحة الرياح
 كأن سوادها في الماء يحكي
 سواد الأعين النجل^(٤) الملاح

(١) السنا : النور

(٢) العشاريات والسارية : ضرب من المراكب كان يركبها الفاطميون مزخرفة يوم فتح الخليج .

(٣) كذا في ل وفي سائر النسخ « لها » .

(٤) في ل « الكجل » .

كأن مرورها (شدا وعدوا^(١))
ولو أني استطعت بعثت روجي
مزجت بصفوودك صفو ودي^(٢)
لأنك انت نبا سيفي حسامي
عليك صلاة ربك من امام

مرور يديك في بذل الساح
تقيك وقاية^(٣) القدر المتاح
فقلبي منه دهري غير صاح
وانت اذا دجا ليلى صباحي
مطير الجود (ميسور^(٤)) النجاح

وقال يمدح الخليفة لدين الله ويهنئه في يوم عيد ويذكر إقامته من علة كانت
نالتة ويذكر هزيمة الأغشم القرمطي^(٥) :

ألا كل يوم من زمانك عيد
زمان كريعات الشبيبة ناعم
ولكن يوم العيد خص بموقف
يلوح عليه من تجليك رونق
فلا تحسبوا اللفظ الذي سار خطبة
تبلغ هذا الملك عنك وأشرقت
ليهنك انت الله فوقك مالك

وهل فوق اشراق الضحاء مزيد
وعصر قديم بالمعز جديد
له كل أيام الحياة سعود
ويظهر فيه من سنائك وقود
ولكنه حلى لهم وعقود
ترائب من أفعاله وخدود
ودونك كل المالكين عبيد^(٦)

(١) كذا في ب وفي سائر النسخ « بدءاً وعدوا » .

(٢) كذا في ل وكتب فوق « وقاية » كلمة « جناية » أي ان هذه نسخة اخرى وفي سائر
: « يقيك وقاية المفدي المراح » .

(٣) في ل ه : « قلبي » .

(٤) في ج ، ل « منشور الجناح » .

(٥) هو الحسن بن أحمد بن أبي سعيد برلم القرمطي ، ولد بالأحساء سنة ٢٧٨ وقد كان
جباراً قاسياً اغار على الشام في سنة ٣٦٠ وقتل القائد المشهور جعفر بن فلاح أمير دمشق للمعز .
وتوفي القرمطي هذا بالرملة في شهر رجب من سنة ٣٦٧ وكانت شاعراً فصيحاً وبلقب الاعصم
وكانه حول إلى الاغشم « بنزاه وتأيابه عن لقب حمد الى لقب سوء وذم (ملخص من تاريخ ابن
الاثير) ومن وفيات الاعيان لابن خلكان في ترجمة جعفر بن فلاح الكتامي .

(٦) في العقيدة الفاطمية ان الامام مثل للعقل الاول (المبدع الاول) الذي ليس فوق
مرتبة (راجع حمد كامل حسين : نظرية الثلث والثلول . وديوان المؤيد ، في الدين
بمعة .

وانك غرس الله فينا واننا
وجوه تجلت في سنائك وأنفس
وهل أنا الا من بناك^(٢) التي غدت
وكل بحمد الله قد رام هدمه
وتأبى ويأبى الله أن ينقض الذي
وقد شرده الله الأعادي والضنى
بعر يسد الخافقين ودولة
فرحت وحسن البرء مثلك زاهر
فأي أيدي الله نبدا بشكرها
لئن خصني منها الاله بخطوة
وللناس آمال ضروب وأنفس
وليس لنا الا عليك معول
فلا زالت الدنيا ونورك لبسها

غروسك ينمى فضلها^(١) ويزيد
ونبت تروى في ثراك وعود
يشيدها فضل لديك وجود
فأعيام ما تبثني وتشيد
تريد وأن يعلو عليك مرید
وأعقب نار الحادثات خمود
لها فوق أعناق الساء صعود
وشخص الضنى كالمارقين طريد
لديك وأي المكرمات نعيد
لقد عم منها العالمين سعود
تسوق إلى أوطارهم^(٣) وتقود
وليس لنا الا اليك محيد
ولبسك فيها صحة وخلود

وكتب من الرملة إلى بعض أهله بالقاهرة عند سيره بالطواحين^(٤) :

الجسم ينقص اذ فارقتكم سقما
لا تحسبوا انني للهو بعدكم
قد عزني^(٥) فيكم صبري وفارقتي
كأنني واله^(٦) قد شردت فئات

والشوق يكثر في قلبي ويزداد
أحن أو للذيد العيش أقتاد
تجلدي فالأسى لي بعدكم زاد
كرها وأمسى لها في الحي أولاد

وكتب إلى بعض من عدا عليه زمانه :

(١) في ل : « فعلها » .

(٢) جمع بنية بضم الباء وكسرهما ، وهو المبني .

(٣) في ل « أوطانهم » .

(٤) الطواحين : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين بالشام .

(٥) عزني : غلبي .

(٦) في ل : والد وهو تحريف .

ان الأمور اذا اشتدت معاقدها
كذلك الدهر إن جاءت فوادحه
كم من ٢٣٠ قريش خيف سطوته
ما أحسن السيد فالسيد وان عظمت
والله لو كان لي حكم على زمي

يفرج الله منها كل ما وردا
في اليوم فارج لها ألا تدوم غدا
فجل من صعبه المقدار ما عقدا
رزية فالزم الاقدام والجلدا
جعلته لك محضاً صافياً أبدا

وقال يمدح الامام العزيز بالله ، وهي اول قصيدة قالها فيه في سنة ٣٦٥ هـ :

جارية مدهشة القد
كالقمر الدال على لكنها
في ليالي البدر وفي دعصها
تبسم عن برق وعن لؤلؤ
بتنمها تحت ظلال الدجى
أجني ثمار الحر من مضحك
سماوي ايدي وغى خادر
تكتنني ما يندى من جوى
تخفي وتبدي بي وجدا كما
أستعظم الظالم كما
لاند في الحسن لها مثل ما
(لا زالت الجيزة معمورة
(اني ألت العيش فيها بما
المود بسام إلى ماجد
سماوي راحته مزنة

ظالمة مظلومة الحد
في حسنها كالرشاء الفرد
غضن به رمانتها نهد
منظم أحلى من الشهد
من مفرش الورد على مهد
شفاهة من ورق الورد
مع شادن أحور في برد
منى كما أكتم ما عندي
أخفي من الحب وما أبدي
زادت من الوصل على الصد
أنسى في الحب بلا ند
بكل مخطوف الحشانهد^(١)
أولى عزيز الدين من رقد^(٢)
أروع بسام إلى المجد
تبدأ^(٣) بلا برق ولا رعد

(١) وهي نونية الحلافة بعد أبيه في شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

(٢) زيادة في هـ . مات منها سائر الاصول .

(٣) دنا بالندى . أي تبتدىء وتستهل . ولعله مصحف عن (تندی) من أندى على الناس
اذا أفضل عليهم . والنداء وجوده فيهم - والندى من معانيه المطر - وأندى المطر الارض
اذا بهسا .

كأنما في الخزم آراءه
الملك ذو عقد ولكنه
ما السيف أمضى منه في عزمه
بأيها البدر الذي جده
قصر في مدحك لكنني
فان تسأخني فيا نعمة

مشتقة من قضب الهند .
في عذره واسطة العقد
في غمده اذ سل من غمد
محمد أكرم من جد
أواصل المدح كما أبدي
يقصر عن حمدي لها جهدي

وقال وكتب الى الخليفة المعز لدين الله :

كتب ولو قدرت بقدر^(١) شوقي
ولكني اقتصر على سلام
وله فيه وقد شكأ^(٢) أماً :

نفسى أحق بشدة الوجع
الله يعلم والمعز مصدقي
لجعلت نفسي جنة عن نفسه
وبذلت ما عندي له من حجة

أبدأ وانت أحق بالمجد
لو كان يمكن دفع ما يردي
ووقيته صرف المني^(٣) وحدي
وان احتقرت له الذي عندي

وأقام مولانا العزيز بالله بسردوس^(٤) أياماً وتأخر عنه الأمير لمرض عرض له .
فكتب اليه :

الله يعلم ما طوته جوانحي
قالوا : العزيز ترحلت اجماله

لما رأيت البين أنجز وعده
ونأى فكيف وجدت عندك بعده

(١) في ح ، ل ، هـ : « ولو كتبت ببعض شوقي » .

(٢) في ل : وقال فيه قدس الله روحه وقد شرب الماء . هـ وقال فيه صلوات الله عليه وقد
شرق الماء ويتضح من المقطوعة أنها قيلت في المعز لدين الله .

(٣) المني : الموت .

(٤) سردوس : خليج حفرها همامان في مصر . وكان هذا الخليج أحد نزعات الدنيا يسار
فيه يوماً بين بساتين مشتبكة وأشجار ملتفة وفواكه دانية . قال المقرئ : أما الآن فقد ذهب
ذلك وبطل الخليج وعوض عنه ببحر أبو النجا .

فأجبتهم : إني لأكفر فضله
ولعل من سمك^(١) الساء يرده
ثق بالنجاح فان ربك كاليء^(٢)
هذا الذي أستطيعه جهدي وقد
وقال في الغزل :

ونواله ان رحت حيتاً بعده
عجلاً ويكفيننا نواه وفقده
لك يا نزار ومطلع لك سعه
وفناك من أعطاك منه جهده

أعذب الأشياء عندي
وثنايا عطر
وحبيب ليس يرضي

قبلة في صحن خد
خلقت من ماء شهد
لحبيبه بصد

وقال أيضاً وكتب الى بعض الأصحاب :

جزيت بفرط الود مثني وموحدا
وما زلت في منهاج سنة أحمد
وتشبهه هدياً وبراً ومذهباً
وما زلت أرجو فيك هذا فراسة
سعودك قادت صفو ودك نحونا
فلا يبتعد ما يعتريك به المنى
إذا استبعد الأمر الجهول تضايقت
وتلقى اللبيب الماجد الطبع ثابتاً
وانك للمشهد رأياً وحكمة
ولم أزعج^(٣) وعظي نحو ودك أنني
أكنه ذكر يزيد هواك لي
حلفت بأبائي الكرام أليمة

ومثلك من سام الهداية واهتدى
تشيّد منه كل ما كان شيدا
كذا يشبه الآباء من طاب مولدا
وأعلمه حتى بدا منك ما بدا
وما زال سعد المرء للمرء مرشدا
فقد آن منه كل ما قد تبعدا
خلأثقه عنه وملّ التجلدا
تزيد سجاياه الرزايا تشددا
وحزماً إذا اشتد الزمان وسؤدا
أخاف عليه الدهر أن يتبددا
وفاء إذا كل الهوى وتجهدا
وبالله حلفنا بعد ذاك مؤكدا

(١) في ل ه : « من رفع الساء » .

(٢) في ح : « كافل » .

(٣) في ح ه : « ولم أزعج »

لتجتنين السؤل مما تحبه
وما هي الا ليلة طاب جونها
وتبلغ أقصى ما تؤمل في العدا
فلا تبتئس اذ ذاك وارقب لها غدا
وكتب إلى آخر منهم وقد طال عهده بالاجتماع :

شوقي اليك على التبا
وكذا الحب وداده
والحر من لا تنقض الأ
ما جفن شوقي مذنات
جمعت بها فيك المنى
فكأنني بك للورى
داوى أنفرادي منك أ
وتذكر وتفانض
وخلأث^(١) بيض على
وكذا الأديب اذا تأد
ومصاحب ومواصل
أبا محمد المحم
اني فقدتك مثل ما
أو مثل ما فقد الكرى
فلقد يعود حرارة
فاسلم سلمت معجلا
فلقد أعارك ظرفة
وسما بك الأدب الطريد
والجد ليس يناله
هذا الزمام لما يسوء
رأي الليالي في تفد

(١) في ج : « وخلص »

وقال وقد اعتل الامام المعز لدين الله بمصر العلة الاولى :

لا نالك السقم المحذور ان وردا
الله يعلم أني مذ سمعت بما
يا ليت ما يعتريه بي فأنقذه
أوليت كل سرور يستبد به
(أما الزمان^(١)) فلا يعلوك حادثه
ألنت ما لم يزل صعب القياد كما
فكيف أخشى عليك الحادثات وقد
سأستقيد^(٢) بك الدنيا التي امتنعت
الله ملكك الدنيا وساكنها
والله جارئك مما أنت تحذره
صلّى عليك اله الخلق من ملك

وعشت فينا عزيزاً سالماً أبدا
دهاك عاود قلبي الشجو والكدا
أوليتني واجد كل الذي وجدا
دونى وأغدو له مما بهم فدا
قد ظلّ يسعى بما ترضاه مجتهدا
حللت من صرف^(٣) هذا الدهر ما انعقد
ملكك من حادثات الدهر كل مدى^(٤)
مني وألبس أثواب العلا جددا
والله أعطاك ما لم يعطه أحدا
ومصطفيك ومعطيك الذي وعدا
لولاه ما طاب لي عيش ولا يودا

وقال يمدح الامام العزيز بالله ويهنئه بمولود ولد له :

ليهن الملك مالكة الجديد
أتيت به أبا المنصور فرداً
يلوح عليه منك هدى وفضل
حكاك كما حكيت أباك شبها
ولدت الشمس يا صبح المعالي
فأفنية الزمان به ملاء
وليد كانت الدنيا ترجى

ووارثه وإن رغم الحسود
تنير به الليالي وهي سود
ويظهر فيه منك حجا وجود
كذاك الأسد أشبلها الاسود
فأنجب والد ونمسا وليد^(٥)
وكوكبها بأسعه سعيد
ولادته وترقبه السعود

(١) في ب : « ان الزمان »

(٢) في ل : من « رزء » .

(٣) في ب « سدى » بفتح السين وهو ما مد من خيوط الثوب وهو ضد اللحمه .

(٤) أي اقتادها وأجذبها إلي وقد استعمله متعدياً والوارد في اللغة استقاد اي اتقاد .

(٥) في ل : « وبها » .

تباشرت الليالي والمعالي
وكم رصدته آمال البرايا
وكم هتفت به رهن^(٢) الأمانى
وكم رجّت الخلافة أن تراه
الى ان تم أمر الله فيه
فألقت تحملها الدنيا تماماً^(٥)
وأعطيت الخلافة ما تمنت
وأطلع بدرها وعلا ضحاها
وقر الملك واتطدت^(٦) ببناءه
وعز الحق^(٧) وارتفعت قناه
فكيف إذا نما واشتد حتى
وقاد الخيل واعتقل العوالي^(٨)
وشن على العدا من كل فيج
على قب سوابق طاويات
فعمّر عمر باقية الليالي

بمنه وجددت العهود
حوافل (قبل يظهره^(١)) الوجود
ليطلقها ونادته الوفود^(٣)
كما يرجو أحبته العميد^(٤)
ولاح السعد واقترب البعيد
به ولكلّ حاملة حدود
به والله يفعل ما يريد
واسفر صبحها ونأى الهجود
فأمكنه التزيد والصعود
وجدّ الوعد واشتد الوعيد
تم به المصادر والورود
وخافته التهاشم والنجد
كتائب لا تحاد ولا تحيد
أياطلها^(٩) كما تطوى البرود
تواصله السلامة والخلود

(١) أي قبل أن يظهره ، فحذف (أن) ورفع الفعل بعد الحذف .

(٢) الرهن : جمع رهن وهو يحبس ازاء حق ودين ،

(٣) كذا في ج ، ل وفي سائر الاصول .

وكم هتفت به زهر الاماني ليطلعها ونادته الوفود .

(٤) العميد : هو الذي هذه العشق واخناه .

(٥) يقال : ولدت المرأة لتام بكسر التاء وفتحها اذا ألقته وقد تم خلقه وقد حذف الشاعر الجار .

(٦) اتطدت : ثبتت ومادته وطد والبني جمع بنية بضم والكسر وهو ما تبنيه .

(٧) في ل : الخلق .

(٨) العوالي جمع عالية وهي أعلى الرمح ويكنى بالعوالي عن الرماح أنفسها .

(٩) القب : جمع أقب وقباء من القب وهو ضور الخصر او البطن يريد الخيل أياطلها أواسطها وأحدها أيطل وهو الحاصرة .

يصرف أمره قبضاً وبسطاً
ويرضي الدين والدنيا جميعاً
عزيزي نازري مليك
فآيات القُرآن له تراث
نما بين المكارم والمعالي
فهناك الإله به العطايا
وقابل نجمك الاسعاد فيه
فأنت أعز من ملك البرايا
عليك صلاة ربك ما أضاعت

وقال يرثي أهل البيت :

نأت بعد ما بان العزاء سعاد
فليت فؤادي للظعائن مربع
نأوا بعدما ألفت مكايدها النوى
وقد تؤمن الاحداث من حيث تتقى
أعاذل لي عن فسحة الصبر مذهب
ثوت لي أسلاف كرام بكر بلا
أصابته من عبد شمس عداوة
فكيف يلبث العيش عفواً وقد سطا

يُشدّ الحلّ فيه والعقود
وتحى في القلوب به الحقود
له الدنيا ومن فيها عبید
وأبناء النبي له جدود
فطارفها له ، وله التليد
وان رَغِمَ المُعادي والحقود
وشدّ بقاءَ نعماك المزيّد (١)
ومن خفقت بنصرته البنود
بوارق مزنة واخضر عود

فحشوّ جفون المقلتين سهاد
وليت دموعي للخليط مزاد
وقرّت بهم دار وصحّ وداد
ويبعد نجح الأمر حين يراد
وللهو غيري مألّف ومصاد (٢)
هم لثغور المسلمين سداد
وعاجلهم بالناكثين حصاد
وجار على آل النبي زياد (٣)

(١) المزداد : جمع المزايدة وهي الرواية والسقاء ويجوز أن يكون (مراد) بالراء المهمة من راد يرود طلب مرعى او منزلاً والرائد المرسل في الناس النجعة وطلب الكلأ ومساقط الغيث واسترادت الدواب اذا رعت وروائد الدواب التي ترعى من بينها وساثرها مجبوس عن المرتع او مربوط كما يصح ان يكون (مربع) في صدر البيت أصله (مرتع) .

(٢) المصاد : أعلى الجبل ويراد به هنا المعقل والملجأ أو مكان الصيد .

(٣) يرید زياد بن ابيه وهو والد عبيدالله بن زياد بن ابيه الذي أمر بمحاربة الحسين بن علي حين ذهابه إلى العراق وقتل هناك بكر بلا .

وقتلهم بغياً عبید (١) وكادهم
بشارت بدر طالבוهم (٢) ومكة
فحكمت الأسياف فيهم وسلطت
فكم كربلة في كربلاء شديدة
تحكم فيهم كل انوك جاهل
كأنهم ارتدوا ارتداد أمية
ألم تعظموا يا قوم رهط نبيكم
تداس بأقدام العصاة جسومهم
تضميهم بالقتل امة جدهم (٦)
فما تواتر عطا صابرين على الوغى (٨)
ولم يقبلوا حكم الدعي (٩) لأنهم
ولكنهم ماتوا كراماً أعزة
وكم باعالي كربلاء من حفائر
بها من بني الزهراء كل سميذع

يزيد بأنواع الشقاء (٢) فبادوا
وكادوهم والحق ليس يكاد
عليهم رماح للنفاق حداد
دهام بها للناكثين (٤) كياد
ويغزون غزوا ليس فيه محاد
وحادوا كما حادت ثمود وعاد
أمالكم يوم النشور معاد
وتدرسهم جرد هناك جياذ (٥)
سفاها وعن ماء الفرات (٧) تذاذ
ولم يجبنوا بل جالدوا فأجادوا
تساموا وسادوا في المهودوقادوا
وعاش بهم قبل الممات عباد
بها جثث الابرار ليس تعاد
جواد اذا اعياء الانام جواد

- (١) يرید بعبيدالله بن زياد ويرید يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكان يلي الخلافة يومئذ .
(٢) في ب شقاق .
(٣) كذا في ل ، ه وفي سائر الاصول « قاتلوهم » ويرید ثار قتلى بدر من المشركين من بني امية وقتلى مكة يوم فتحها النبي صلى الله عليه وسلم .
(٤) في ب : « للناكثين » والكياد : المكيدة مصدر كايذ .
(٥) يعني بذلك ان عمر بن سعيد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي كان يحارب الحسين بن علي أمر بعد قتله الحسين ان يوطئوه سنابك الخيل فانتدب لذلك نفر منهم فداوسه بخيلهم .
(٦) في ج ، ل ه امة أحمد .

- (٧) يعني بذلك ان الجيش منع الحسين ماء الفرات ليميته عطشاً هو وأهل بيته .
(٨) في ب : « الوفا » .
(٩) يعني به يزيد بن معاوية لانه ورث الخلافة عن ابيه ولم يتولها بمشورة من المسلمين والاقراب انه يرید عبيدالله بن زياد وكان شرط لآمان الحسين أن يضع يده فأبى الحسين وهو يدعى لانه ابن زياد الدعي ادعاه ابو سفيان كما هو معروف .

معفرة في ذلك الترب منهم
فلهفي على قتل الحسين ومسلم^(٢)
ولهفي على زيد وبثا^(٣) مرددا
الا كبدي تقني عليهم صباية
ألا مقلة تهمي الا اذن تعي
تقاد^(٤) دماء المارقين ولا أرى
أليس هم الهادون والعترة التي
تساق على الارغام قسراً نساؤهم^(٥)
يسقن إلى دار اللعين^(٦) صواغرا
كأنهم فيء النصارى وانهم
يعز على الزهراء ذلة زينب^(٧)
وقرع يزيد بالقضيب لسنه
قتلتم بني الايمان والوحي والهدى
ولم تقتلوه بل قتلتم هداكم
أمية ما زلتم لابناء هاشم
إلى كم وقد لاحت براهين فضلهم
متى قط اضحى عبد شمس كهاشم

وجوه بها كان النجاح يفاد^(١)
وخزي لمن عاداهما وبعاد
إذا حان من بث الكئيب نفاد
فمقطر حزناً أو يذوب فؤاد
أكل قلوب العالمين جماد
دماء بني بنت النبي تقاد
بها انجاب شرك واضمحل فساد
سبايا إلى أرض الشام تقاد
كاسيق في عصف الرياح جراد
لاكرم من قد عز منه قياد
وقتل حسين والقلوب شداد
لقد مجسوا^(٨) أهل الشام وهادوا
متى صح منكم في الاله مراد
بهم ، ونقصتم عند ذاك وزادوا
عدى فاملأوا طرق النفاق وعادوا
عليكم نفار منكم وعناد
لقد قل انصاف وطال شراد^(٩)

(١) في ل : يقاد .

(٢) هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب كان قد بعثه الحسين رائداً له إلى العراق قبل رحيله
فقتله عبيد الله بن زياد في الكوفة .

(٣) في هامش ل « وبثى مردد »

تقاد أي يطلب بها القود وهو الدية .

يريد نساء الحسين من اهل بيته وقد ذهبن إلى الشام إلى يزيد بن معاوية أرسلهن اليه
عبيد الله بن زياد بعد مقتل الحسين .

(٦) في ل : « النعيم » .

(٧) يريد بها زينب بنت علي بن أبي طالب ، وامها فاطمة الزهراء ،

(٨) مجسوا : دخلوا المحسوبة . وهادوا : دخلوا اليهودية .

(٩) اشراد : النفور .

متى وزنت صم الحجار بجوهر
متى بعث الرحمن منكم كجدهم
متى كان صخركم^(١) كعليهم
متى أصبحت هند^(٢) كفاطمة الرضى
آل رسول الله سؤتم وكدتم
أليس رسول الله فيهم خصيمكم
بكم أم بهم جاء القرآن مبشراً
سأبكيكم يا سادتي بمدامع
وان لم أعاد عبد شمس عليكم
وأطلبهم حتى يروحوا وما لهم
سقى حفرأ وارتمك وحوتمك

متى شارفت شم الجبال وهاد
نبياً علت للحق منه زناد
إذا أعد ايمان وعد جواد
متى قيس بالصبيح المنير سواد
ستجيا^(٣) عليكم ذلة وكساد
إذا اشتد ابعاد وأرمل^(٤) زاد
بكم أم بهم دين الاله يشاد
غزار وحزن ليس عنه رقاد
فلا اتسعت بي ما حيت بلاد
على الأرض من طول القرار مهاد
من المستهلات العذاب عهاد^(٥)

وأمر أن يكتب على طرة^(٦) جاريته وعصابتها :

طمع الورد أن ينافس خدي
أنا أنسية ولكن حسني
لو تأملتني العيون لا جرى
صاغني الله واصطفاني لما

طمع الغصن أن يقاس بقدي
حسن حورية بجنة خلدي
لحظها رقة مع الماء جلدي
صاغني فردة الجمال لفرد

وقال أيضاً :

سألته قبلة فجادا
وقال أخشى من الاعادي

ثم لوى خده وحادا
واتقي الأعين الحدادا

(١) يريد أبا سفيان بن حرب واسمه صخر .

(٢) يريد هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان .

(٣) كذا في ل : وفي سائر النسخ : « ستجني » .

(٤) أرمل : نقد .

(٥) العهد : الغيث ، واحده عهدة بفتح الاول وكسره وسكون الثاني .

(٦) في ح : « طرز جاريته » .

لأن خدي من مدام يكتب فيها اللثام^(١) صاداً

وكتب من مدينة الرملة الى من تخلف بالقاهرة المعزية من الأهل :

أنتم في المنام حلمي وانتم
كل عضو مني اليكم مشوق
لم أفارقكم ولكن جسمي
فهنيئاً لكم بكائي^(٢) عليكم
كلما حثي اشتياقي اليكم
قلت لبيك أنت نعم المنادي.

وأمر أن ينقش في المجلس الذي تطول^(٤) العزيز بالأمر ببناؤه له :

أنعم من العيش بما تشتهي
واغتنم اللذات مستمتعاً
في مجلس أسس بنيانه
كأنه من حسنة لم يزل
شد بنائه وعلا سمكه
فلوبدا كسرى له لم يكن
وكم قصور شيدت قبله
وكيف لا يشرق حسناً وقد
الملبسي النعمى التي صيرت
أثني عليه شاكراً بالذي
يا رب صيرني له واقعياً

(١) يريد باللثام التقبيل . يقول انه اذا قبلها كان مكان القبلة ما يشبه حرف الصاد من شكل النعم وهذا يتم عليها .

(٢) في ل : « شوقه » .

(٣) في هـ : « وفائي » .

(٤) تطول : امتن .

(٥) أراد باللحمة هنا : اقاربه .

وصل يا رب عليه كما
وقال أيضاً :

رأتني وفي كفي ورد أشمه
فقلت تذكر وجنتي باحمراره
وأرفعه حباً^(٢) على العين والحد
فقلت ولم لا يذكر الورد بالورد
وقال أيضاً :

ومريض الجفون عذب السجايا
مطلتي به الليالي ولكن
فالتقينا على مراد الأماني
يا له من ممرض اللحظ واللف
تعتريه مهابتي^(٣) فهو كالخا
فاضحاً للفضيب قدأً بقدر
سمحت لي بقربه بعد بعد
واشتفينا بلا تقدم وعد
نظ ومن هازل بقتلي مجد
ثف وهو المسلط المتعدي
وقال :

انما قبلت يا سوء لي دمائي فوق خدك

ووجد على ظهر نسخة الامام^(٤) التي عليها في الترجمة خط الامير تميم أبيات
ذكر انه قالها بعد ما كتب النسخة وجمعها أيام توفي ، وهي هذه :

ما زال في الحب شوق موجع وأسى
حتى رمى البين بالتفريق الفتنا
فأه من لوعة مشبوبة وجوى
قالت وعبرتها مخلوطة بدم
لا تطلب النطق مني بالسلام فما
أبقى فراقك لي روحاً ولا جسداً
مبحر يقطع الأحشاء والكبد
وحل من وصلها ما كان قد عقدا
في الصدر لم يبق لي صبراً ولا جلداً
تجري وانفاسها مرفوعة صعدا
أبقى فراقك لي روحاً ولا جسداً

(١) في ل، هـ : « الحق » .

(٢) في هـ : « حيناً » .

(٣) في ب : « مخافتي » .

(٤) في هـ : « الأم » .

فطللت ملتثماً^(١) من صحن وجنتها وردا ومرتشفا من ثغرها بردا
وطاويآ في الحشى منها رسيس^(٢) هوى لا أحسب الدهر يبلى عهده أبدا

وقال يوم الرحيل من بلبيس إلى العباسية :

حدا^(٣) الفراق فهلاً أيها الحادي لا شيء أوجع من بين وابعاد
استودع الله من فقدي لرؤيتهم أمر من فقد شرب الماء للصادي
لولا دموعي في يوم الوداع أذاً لأحرقت زفراقي ثم عوادي
فان قضى بالتلاقي الله ثانية فالشكر أعظم ما صيرته زادي
وقال في آداب النفس :

إذا الدهر أعطاك القياد مملكاً ودارت بما ترجو عليك سعوته
فلا تعم فيه عين قلبك حيرةً وخذ وأفد من كل ما تستفيد
يموت الفتى طفلاً وكهلاً وعبطة^(٤) ويبقى على الأيام والدهر جوده
فكن لجميع الناس فيه مشاركا فعما قليل سوف تصحو رعوته
ولا تتكبر ان قدرك فوق ما ملكت وان الكبر ما لا يزيده
وزد لعطاء الله ذلً تواضع فانك والأقوام طرا عبيده
وتناول الأمير دواء بالقاهرة وكان الخليفة العزيز بالله مبرزاً بعين شمس ،
فدعت الضرورة ان غاب عن حضرته الجليلة اربعة أيام فقال وكتب بها اليه :

أغيب ولي مهجة لا يزال اليك سراها وتبكيها
ولكنك الشمس حيث انصرفت من الارض يصحبني نورها
إذا ما غدت لك عندي يد تعظم في الفضل تأثيرها

(١) كذا في الاصول . والذي في كتب اللغة التثمت المرأة : شدت اللثام على فمها . وظاهر
انه يريد التقييل .

(٢) الرسيس : الثابت .

(٣) في ج ، ب : « جد » وفي ه : « بدا » .

(٤) يقال اذا عبطه الموت : أخذه شاباً صحيحاً ليست به علة .

صدت حياء فنادينني^(١) سجاياك يعطفني خيرها
كما يتداوى اذا ما انتشى من الراح بالراح تخمورها^(٢)

وكان العزيز بالله قد خرج الى سردوس وأقام بها ، وتأخر الأمير تميم عنه
لعله عرضت له منعه من المسير معه ، فكتب اليه هذه الأبيات :

غدا غامر الأوطان في مقلي قفرا لبينك عنها ، واغتدى سهلها وعرا
وأظلمت الآفاق منها توحشا كأنك كنت الصبح والشمس والبдра
ومالي أرى هذي القصور كأنها قد امتلأت مذغت عن أرضها ذعرا^(٣)
ولم أتخلف انني عنك صابر فكيف تطيق العين عن نورها صبرا
ولكن دهرأ عاقني واستهاضي فخلفني رغماً وأوجعني ضرا
ولوطار من قبلي مشوق لشائق لطرت بشوق يقطع القلب والصدرا
وعلمك بي يكفيني العذر كله لانك تدري صفو سري والجهرا
فيا ليتني أفديك من كل حادث والقي خطوط الدهر دونك والدهرا
ولو أن عمري كنت أدري انتهاء أحطت به علماً وأعطيتك الشطرا
سقى سردوس الغيث ما دمت ثاويها وكساها صوبه الورق الخضرا
ولا برحت تحتال في حلي روضها كما اختالت العذراء في حليها كبرا^(٤)
ربوع ديار (بالعزيز) عزيزة يطاول فيها مجده الأنجم الزهرا
عليك صلاة الله من ملك به نفى الله عنا الجور والظلم والفقرا

وقال أيضاً متغزلاً :

شبهتها بالبدر فاستضحكت وقابلت قولي بالنكر
وسفحت قولي وقالت متى سمجت حتى صرت كالبدر

(١) في ه : « فنا تثنى » .

(٢) اخذ هذا من قول الشاعر :

تداويت عن ليلي بليلي من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخر

(٣) في ب : « وغرا » والوغر : القد .

(٤) في ه ، ل : « بكرا » .

البدر لا يرنو بعين كما
ولا يميظ المرط^(١) عن ناهد
من قاس بالبدر صفاتي فلا
زال أسيراً في يدي هجري

وقال في الغزل يصف جارية حسنة الوجه :

يارب ليل بثته ناعماً
أخرج فيه لصبا^(٢) من صبا
وعذبة الالفاظ معشوقة
راججة الأرداف ممكورة^(٣)
كأنما البدران في وجهها
فلم أزل أشرب من كفها
حتى تضجعت وبني منه ما
والبدر قد مد على نيله

وقال في الغزل :

عاقب بما شئت سوى^(٤) الهجر
أليس قد رحت على كل ذا
جدد ولو بالسؤال ذكري فما
يا من أرى ذلي في حبه
ومن اذا شبهته لم أجده
لوجه شهباً سوى البدر

سل لحظ عينيك وتفتيره
كأن فكري لك دوني فما
وقال في الشمعة :

وباكية متوجة بنار
إذا ما توجت في دار قوم
فتاة عمرها عمر قصير
ولكن نفعها نفع الكبار

وقال وقد ودعه بعض أهله لسفره : قال صاحب « اليتيمة » وهو مما
يتغنى به :

قالت وقد نالها للبين أوجعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت
وأعطف علي المطايا ساعة فعسى
كأنني يوم ولت حسرة وأسى
وقال أيضاً :

أحب عدوي فيك والكاشح^(١) الذي
لأنهم من أجل حبك أصبحوا
ولولاك ما خادعت قلبي ومهجتني
ولو لم أكن أرضيك إلا بناظري
وما غاب عن قلبي الرشاد وطرقه
وقال في الغزل :

والله ما^(٢) قلت بشئ ما صنعا
ولا قطعت الهوى ولو قطعاً

(١) أماط الشيء وماطه : نحاه وأبعده وأزاله . والمرط كساء من خز أو صوف أو كتان

ز به .

(٢) كذا في ت . والذي في باقي الاصول : « في الجسر » .

(٣) يريد : من صبوة الى صبوة .

(٤) المكمورة : المطوية الخلق المدجته والمستديرة الساق .

(٥) كذا في ت . والذي في باقي الاصول « من » .

(٦) في معظم الاصول « عذري » بالعين والذال ، وما اثبتناه عن « ت » .

(١) الكاشح : مضمحل العدواة المتولى عنك وده ، والعدو المبعض كأنه يطوي العدواة في
كشحه ، أو كأنه يوليئك كشحه ويعرض عنك بوجهه ، والكاشح : ما بين الخاصرة الى الضلع ،
وهو من لدن السرة الى المتن .

(٢) كذا في ت . وفي باقي الاصول : « لا » .

وكيف يستطيع قلع مقلته
يا قمرا لم يجد لعاشقه
هاك حديثي فما انتفعت به^(١)
أحدث النفس عنك خالية
وأكثر السعي في البقاع اذ
وربما قد نقشت شبهك في

وقال أيضاً :

أعذر قلبي وهو لي غير عاذر
ومن لي بصبر أستزيل به الجوى
نأوا والأسى عني بهم^(٢) غير منتأ
فأول شوق كان آخر سلوتي

وقال يصف الزمان وينذمه^(٣) :

يا دهر ما أقساك من متلون
أتروح للنكس الجهول مساعدا^(٤)
واذا نوت كدرت شمة باخل
أرضيك ولو صفوت^(٥) لاني
رمز إذا أعطى استرد عطاءه
ما قام خيرك يا زمان بشره

(١) في هـ : « فؤادي » .

(٢) في هـ : « لهم » .

(٣) في الاصول « ونذمه » ونراها محرفة عن (وينذمه) كما يدل عليه معنى الابيات وسياقها .

(٤) كذا في ب وفي ت « مرمها » ولعلها « مرفها » . وفي باقي النسخ « مهدا » . والنكس :

الرجل الضعيف المقصر عن غاية النجدة والكرم .

(٥) في ت : « كرمت » .

(٦) في نسخة ت ورد هذا البيت هكذا :

ما قام بشرك يا زمان خيره
والى بنا ما قل منك وما كفى

وقال متغزلاً :

يا غزلاً اذا شكوا
واذا رمت وصله
وهو من بعد ذا يس
ليته جاد لي الغدا
ت اليه تصلنا^(١)
صد عني وسوف
ل بعينه مرهفا
ة بوعد وأخلفا

وقال يصف بستان قصره المعشوق :

يا بها المعشوق لا فارقت
فكل معشوق له عاشق
كأنما الحسن بلألائه
وكل عين بك مفتونة
اذا رنا نرجسك المشتبي
كأنما فاجأها كاشح
فابيض منها لمفاجأته
وابتسم النسر من حولها
رباك أنوار واشراق
والناس طرا لك عشاق
على ثرى أرضك مهراق^(٢)
وكل قلب لك مشتاق
بأعين فيهن اطراق
بكل ما تكره سباق
محاجر واصفر أحداق
فهو صقيل الثغر براق

وقال متغزلاً :

سألته قبله يوماً^(٣) على عجل
واعتل ما بين اسعاف يرققه
وقال وجهي بدر لاختفاء به
وقال وكتب من الرملة^(٤) إلى بعض من تخلف بالقاهرة من أهله :

(١) تصلف الرجل : تكلف الصلف ، وهو الادعاء فوق القدر تكبرا ، والصلف مجاوزة .
قدر الظرف والبراعة .

(٢) اللأ الاشراق والضيء واللمعان . ومهراق مصبوب .

(٣) كذا في ت . وفي باقي الاصول « منه » .

(٤) الرملة : بلد بالشام من كور فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا .

تغير بعدكم حالي وساء لبعديكم بالي
ولا والله ما قلبي لكم ناس ولا قالي
وددت لو انكم تدرو ن أشواقي وبلبالي^(١)
ودمعي عند ذكراكم واطراقي واذلاي
فهل تلقون ما ألقا د من وجد واعوال^(٢)
لقاؤكم وقربكم منى نفسي وآمالي

وقال خمسة يمدح الخليفة العزيز بالله :

دم العشاق سطلول^(٣) ودين الصب ممطول
وسيف اللحظ مسلول ومبدي الحب معذول
« وان لم يصنع للائم »

اذا لم يظهر الحب ولم ينهتسك الصب
ويفش سره القلب فجملة ما ادعى كذب
« فبح يا أيها الكاتم »

واحور ساحر الطرف يفوق^(٤) جوامع الوصف
مليح الدل^(٥) والظرف جنت الحاظه حتفي
« فمن يعدي على ظالم »

أطاع جفونه السحر وذل لوجهه البدر

وماد بردفه الخصر وأشبهه ثغره الدر
« فقلت محبه هائم »

يعنفني على حيي ويهجرتي بلا ذنب
كأني لست بالصب لقوة ريقه العذب
« أما في الحب من راحم »

خذوا بدمي قنا القد وحسن توردد الخد
وليل الشعر الجعد وثقل الكفل النهدي^(١)
« وسقم الأعين الدائم »

متى يظفر بالوصل وينفي الجور بالعدل
محب دائم الخجل^(٢) سليب الصبر والعقل
« كئيب مدنف هائم »

بحسن الأعين النجبل وعض الوقف والحجل^(٣)
بذاك القصب الجزل^(٤) وريق كجنى النحل
« وثغر يطمع الشائم^(٥) »

سلوا الشمس التي طلعت علينا ثم ما أفلت
عسى ترثي لمن قتلت بعينها وما علمت
« فقد يستعطف الظالم »

(١) التمدد : المشرف العظيم المرتفع .

(٢) الخجل : الفساد يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالجنون والمرض المؤثر في العقل والفكر .

(٣) الوقف : السوار . والحجل : الخلخال . وفي الاصول (وغض) وأراها مصحفة عن (وعض) المهمة ، يريد ان المحبوبة لسمتها وربالتها وعبالتها يضغط السوار على يديها كما يعض الخلخال ساقها ، ولعل قوله (بذاك القصب الجزل) بعده يؤيد ذلك .

(٤) القصب : عظام اليدين والرجلين ونحوهما .

(٥) الشائم : الناظر المتطلع .

(١) البلبال : شدة الهم والوساوس في الصدر .
(٢) أعول اعوالا : رفع صوته بالبكاء والصياح ، وقد يكون الاعوال حرارة صوت لزين والمحبة من غير نداء ولا بكاء .
(٣) في هـ « العاشق » . والطل : هدر الدم وعدم اخذ الثأر به ، وذلك اذا قل الاعتدالية فلم يؤخذ له بثأر ولم تعقل له دية ، فيصير ثأره كأنه ظل .
(٤) كذا في (م) وفي باقي النسخ : « يفوت » .
(٥) دل المرأة ودلاها : تدلها على زوجها ، وذلك أن تريه جرأة عليه كأنها تخالفه وما بها خلاف والدل والدلال ايضاً : حسن الحديث ولطف المزاج وجمال الهيئة والمنظر .

أما والخرد (١) الصفر شبيهات سنا البدر
وألوان صفا الحمر لقد أضرم في صدري

« غراماً ليس بالنائم »

وراح تبعث الطربا وتحيي الظرف والأدبا
يثير مزاجها حببا (٢) تحال به عيون دبا (٣)

« ودرا صفه الناظم »

أما والحجرة الكبرى وزمزم والصفى ومنى
ومن لبي بها ودعا وطاف البيت ثم سعى
« خميصاً (٤) نجبتاً (٥) قائم »

لقد أضحى لنا خلفا نزار وابتنى الشرفا
وأصبح خامس الخلفا وأحيا سعيه السنفا
« فأضحى بالهدى قائم »

امام جاود (٦) الديما ندى واستخدم الهمما

جمع خريدة أو خرود : وهي البكر لم تنس ، او هي الحفرة الحية الطويلة
الخافضة الصوت المتسترة وقد جاوزت الاعصار ولم تعنس . وأراد بالصفى صافيات
يؤثر فيها صفرة الاصيل ونحوه وينعكس لونه عليها ، والصفرة أيضاً من اثر الطيب
والزعفران ، وللشعراء في الغزل بالصفرة شعر كثير ، قال بشار بن برد :
بيضاء ضحوتها وصف راء العشية كالقوارير ، ويقال طفا الجباب على
(٢) الحبب والحباب : فقايع الماء ونحوه التي تطفو كالقوارير ، ويقال طفا الجباب على
راب .

(٣) الدبا : الجراد قبل أن يطير ، واحده : دبة .
(٤) الخميص : خالي البطن من الطعام ، وخص البطن : خلا فهو خميص ، ورجل خميص
الحشا : ضامر البطن دقيق الخلقة .

(٥) أختب الرجل لله : خشع وتواضع . واختبوا إلى ربهم : اطمأنوا اليه وتواضعوا
لعظمته . وهو يصلي بخشوع واخبات وخضوع وانصات .
(٦) جاورها : جاراها في الجود ، وفي نسخة : هـ « جاوز » .

وحاز المجد والكرما وأصبح في الورى علما
« نجيت في العلا ناجم »

اذا على الملوك علا وان سيل الندى بذلا
ولم يلق العفاة بـ « لا » وروى البيض والأسلا
« وراح من العدا ناظم »

نما في المجد عنصره وطال النجم مفخره
وفاق البدر منظره فصرف الدهر يحذره
« أبي لين صارم »

وحيد في فضائله شريف في أوائله
يجود ببذل نائله ويعشق لفظ سائله
« جواد حازم عازم »

بنى العلياء والمجدا وحاز الشكر والمجدا
وأصبح في الورى فردا وشد الملك فاشتا
« وراح لعقده ناظم »

كان جبينه القمر وعزمة رأيه القدر
فليس يفوته ظفر ولا يفتاله حذر
« على ثبج (١) العلا جائم (٢) »

عظيم في تواضعه جليل في صنائعه
يجود على مطاوعه ويقطع حبل قاطعه
« على عليائه حاتم »

يخاف السيف سطوته ويخشى الرمح هزته

(١) ثبج الشيء : وسطه ومعظمه .

(٢) جثم يجثم : لزم مكانه فلم يبرح .

ويهوى المجد غرته ويرضى الجود شيمته
« لأن صحابه ساجم^(١) »

إذا ما اعتد في كرمه وراح على علاممه
عدا والنجم في قدمه وراح الدهر من خدمه
« وساد الشم من هاشم »

إذا ما سيل لم ييخل ويعطي قبل أن يسأل
جواد إن يقل يفعل ويشبه جده المرسل
« بما جهل الورى عالم »

كريم السعي مشكور ببذل العرف مشهور
وبالعلياء مذكور على الأعداء منصور
« وليس لمجده عالم »

لأن الله أعطاه جوامع ما تنناه
وفضله وأعلاه ومكنه وأرضاه
« وليس لفضله جاذم »

براه الله للفضل بلا ند ولا مثل
فعدل قسمة العدل وأرضى الجود بالبذل
« لأرزاق الورى قاسم »

ولما لم يسع شعري معاليك ولا فكري
جعلت المدح كالشكر لأنك مالك العصر
« من الغر بني فاطم »

كيف يبلغ الشكر مكافأتك والذكر

ولا يبلغك القطر ولا يشبهك البحر
« سماحا يفرق الزاحم »

هو البدر الذي طلعا هو الصبح الذي سطعا
هو الغيث الذي اندفعا هو السيف الذي قطعنا
« مجديه وبالقائم »

فلا زلت على الرشد وفي الاقبال والسعد
رفيع القدر والحد سليم الفضل والمجد
« وأنف من أبى راغم »

وقال يفتخر :

همي أنافت^(١) بي على الهمم
وسما بقدرى في العلا أدبي
تثنى عليّ إذا سكت يدي
وإذا الكرام جفوا تكرمهم
في كل صالحة مددت يدي
وأقل ما أدريه من زمي
فاسأل خطوب الدهر عن جلدي
هل شم اطواد الجبال سوى
والمجد فرع أصله كرمي
والشمس من عرضي تلالؤها
لم أخش قط حلول حادثة
وجهت جودي قبل مسألتي
لا غير اني مانع شرفي
فلتعلم الدنيا وساكنها
قبل الفطام ومبلغ الحلم
حتى وطئت كواكب الظلم
بسماحا وتضيء لي شيمي
لثما فاني عاشق كرمي
ولكل مكرمه سعت قدمي
رفع الجهول وسقطة الفهم
وغوامض الأشياء عن فهمي
حلمي وهل غضب سوى كلمي
والدهر رمح سنه قلبي
بسنا والأيام من خدمي
والليث لا يخشى من النعم
وبعثت فعلي قبل لفظ فمي
ومبين فضل علالي في الأمم
اني عظمت بها عن العظم

(١) اناف : ارتفع واشرف .

وشفى نوالي الناس من عدم
وجلست من أملاكهم شرفا
الا العزيز فانه ملك
جدي النبي المستضاء به
وأنا الذي شهد الوفاء له
أرجى وأخشى سطوة وندى
وقال :

ماحل في الحب لوم
بالعين عن كل وجه
صبرا فلاحزن يوم
ولا حلا فيه نوم
سواك منذ غبت صوم
وللمرة يوم

وقال وكتب بها إلى بعض أصحابه :

لو تقصيت وصف شوقي وتوقي
غير اني كتمته وهو باد
كلما صنته اكنتماماً بقلبي
فهو كالراح في الزجاج، وهل تخ
لك مني محبة الطبع والفظ
خلة لا تحول غدرا ولا تط
واذا صحت الحقائق في الآن
لي قلب أمضى من الدهر في الدهر
ففؤادي اذا صمت نطوق
ودئ غيري تصنع ورياء
وأنا الشمس لا تسر سوى النور
فرغ اللفظ دونه والكلام
مثل ما تكتم البروق الغمام
شف عن محض سره الاكتنام
فى عن اللحظ في الزجاج المدام؟
رة، والطبع ليس منه انصرام
مع في حل عقدها الأيام
فس صح المراد والاعتزام
ر اذا كعت^(١) القلوب الطغام
ولساني اذا نطقت حسام
وهواه بشاشة وسلام
ر ولا في ضيائها اظلام

(١) كعه : جبينه وخوفه . الطعام أروغاد الناس .

وبلي على من كل عد
ويضره لبس الغلا
لو لابس الوهم الخفي
أوزارني لم استطع
ظبي يعذب مهجتي
بأبي رضاه وسخطه
لما استقل من الهوى
ناديته لم يبق حب
بن أبصرته تعظمه
ثل والشنوف^(١) ويؤله
أديمه لجرى دمه
خوفا عليه الشمه
ظلماً وقلبي يرحمه
وصدود وتبرمه
ما لم أزل استعظمه
فوق حبك أعلمه

وقال : يرثي جارية له توفيت في سنة أربع وسبعين :

كل سيوف الموت غضب حسام
وللردى داع اذا ما دعا
للها ما بان به يومها
كانت رضى النفس ونيل المنى
ريحان سمعي وسنا مقلتي
لهفي على ما فات من قربها
لهفي على تلك الطباع التي
لهفي وقل اللهف مني لمن
لم أدر في حي لها ما الأيسى
وكل محبوب له ضجرة
وما تجنت قط منذ أيقنت
ولا دعاها التيه يوماً إلى
اذا غدا كل حسام كهام
جد ولم يرع الخلق ذمام
من رقة الظرف وحسن الوسام
ولذة العيش وطيب المدام
وسؤل قلبي من جميع الأنام
لهفاله في كل عضو سقام
قد خلصت من كل عيب وذام
كان سلوى عنه كل اهتمام
ولا تطعمت السيم الغرام
يطول فيها العذل والاختصام
اني بها ذو كلف مستهام
أن تظهر الدل وتبدي الملام

عضا على الكف واهلكا أسفا
ان الامام العزيز بان له
بغيا وموتا كذا بداعين
وبان ما تحت كل حسي^(٢)

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب . والشنوف : جمع شنف ، القروط الاعلى .

(٢) زيادة عن هـ . وليس في بقية النسخ .

فلعنة الله غير مقلعة
وهل أنا غير راحة برزت
وما رأينا وان وشت^(١) عصب
هنتك أعيادك التي بك قد
نحن من العبيد اذ سلمت لنا
برزت كالشمس يوم أسعدها
كأن في السرج منك منتصبا
في جحفل جر من فوارسه ...
فن مشير براحة صرفت
تأملوا من نبهم خلقا
حتى اذا ما علوت منبرهم
خوفت بالله ثم جئت به
تضم تحميدة الى عظمة
أنت الامام المبين حكمته
صلى عليك الاله من ملك
كالعروس باقية
أحر من وقفة الوداع ومن
تزري بألفاظها العذاب على
وتحتفي قلة اذا ذكرت
وذاك ان الذي مدحت بها

« مش » .

(٢) زيادة في ع : بدر سماء ونور شمسين.

(٣) في ع : خوفت بالله من جنيت به . مبينا أوضح الطريقين .

(٤) لعله يريد اعوجاج اللام واختاءها من آخرها وهم يشبهون العذار باللام وتقدم مثل .

يبه وقال الشاعر : كان عذاره في الحد لام ومبسمه الشهي العذب صاد .

وان من صاغ تلك ضمنها
افكين في افك^(١) وزورين
وقال في أول يوم ركب فيه الخليفة المعز لدين الله بصر الى بستان كافور^(٢) ،
وكان يوم النوروز للقبط :

لو كانت للنوروز لما أتى
ناداك : أنت العيد يا عيد من
لو جل^(٣) عن قدر العيان امرؤ
أوتيت في المهد العلا والندی
فما عسى يحصيه فيك الثنا
يا حسن ما أصبح يسمو به
قد سافرت فيك بمدحي الوری
وسالمتني منذ نوهت بي
لا زلت تبقى قاهراً للعدا
وقال يصف الناعورة :

(١) هذا العجز غير مستقيم الوزن . فلعل الاصل (افكين في افكك وزورين)
والقصيدة من بحر المنسرح . والافك : الكاذب .

(٢) بستان كافور : كانت بستاناً كبيراً فسيح الرقعة ، يشغل المنطقة التي تحد اليوم من
الشمال بشارع أمير الجيوش البراني ، ومن الغرب بشارع الخليج المصري ، ومن الجنوب بشارع
السكة الحديدية ، ومن الشرق بشارع الخردجية وبين القصرين والنحاسين ، فكانه اليوم في شرقي
الخليج فيما بين جامع الشعراي والسكة الجديدة قريباً من الموسي ممتداً في الجهة الشرقية إلى
النحاسين وكانت مساحته تبلغ ٣٦ فدانا بمقياسنا اليوم ، وبه كان ينزل الاخشيذ اذا قدم إلى
مصر من سفر ، وقد بنيت القاهرة عنده ، ولم يزل ماثلاً الى سنة ١٥١٦ ، وفي دولة الملك المعز
أبيك هدم البستان لما خربت القصور والميدان وبني موضعه اصطبلات ودور ومسكن ،
وأزيلت أشجاره ، ثم اختطت المالك البحرية والعريضة به اصطبلات كذلك (انظر خطط
المقريزي ص ٣٥ ج ٢ ، والتجوم الزاهرة ص ٤٨ ج ٤ ، والخطط التوفيقية لعل باشا مبارك
ص ٢ ج ١ .

(٣) في الاصول « حل » وهو تصحيح .

وقال في الغزل :

يا عذبة الوصل والصدود ويا
ولم أذقه ولا سمعت بمن
بلى تعشقتها بلا حرج
ولم تكن قبلي موافقة
يا دجن ليل بدا على قمر
وغصن بان يمس فوق نقا
يا حسنا كامل الصفات اذا
حسبك حسن غدت بدائعه
كم ذا التجني على ظالمة
أتستحلين في الجفا سقمي
مالك لا تهدين منعمة
ويلاه يا ظلوم أما
تلوئنا في الهوى ومعتبة
مني ولو بالسلام منعمة
أعقب^(١) ثغراً من ابنة^(٢) الدن
ذاق ولكنه كذا ظني
كانت وقبلتها ولا أكنى
بل خلصة نلتها بلا اذن
وبدرتم يغيب في دجن^(٣)
أعجب به من نقا ومن غصن
لم يضح خلق بكامل الحسن
أوسع من فطنتي ومن ذهني
وكم على حتف مهجتي أجنبي
أم تستطيبين في الهوى غني
من ظلمك المستطيل ما يبني
يكفيك ما قد سلبته مني
كذاك حقاً تلون الجن^(٤)
ثم اخلطي ما مننت بالبن^(٥)

وأكل يوماً رطباً، فجاءه بعض جواريه برمان يدفع به ضرر الرطب، فقال:

(١) عبق به الطيب : لرق به وبقي وفاح وانتشر ، ورجل عبق وامرأة عبقة : اذا تطيبا بأدنى طيب لم يذهب عنها اياماً .

(٢) الدن : الاناء العظيم من آنية الخمر . وابنة الدن : كناية عن الخمر .

(٣) يريد بالدجن الشعر ، وبالقمر وبدر التم : الوجه .

(٤) شبهها بالجن كقول الشاعر :

ويحك يا جني هل بدا لك أن ترجعي عقلي فقد اني لك
انما أراد امرأة كالجنية اما بلهاها او في تلونها وابتذالها (تاج العروس) وفي بعض الاصول

« الحسن » .

(٥) المن هنا من من فلان على فلان اذا عظم صنيعه عنده وفخر بمعرفه لديه وأبدأ فيه وأعاد حتى يفسده ويبغضه ، ومنه قوله تعالى : (لا تبطلوا صدقاتكم باللن والاذى) .

وناطقة كلما حركت
تثن اذا دار دولابها
وتبكي وليست بحزونة
فتنطق بالصوت لا من فم
كان لها ميتاً في الثرى
اذا زمرت أطربت نفسها
غشاء يرقص كيزانها
فتهوى فوارغ في بشرها
كان مدامها فضة
وليست بناطقة في السكون
فتطرب سامعها بالأنين
بكاء الحب الكئيب الحزين
وتقذف بالدمع لا من جفون
فأدمعها مع^(١) كل حين
فغنت بمختلفات اللحون
ويظهر فيهن وثب المجون
وتصعد منها ملأى العيون
مدوبة لونها أسمىجوني

وقال يذم الزمان :

أقول لسرب من حمام عرضن لي
ويسكن في خضراء ناعمة الربا
بوارح لا يتحشبن بيننا ولا نوى
فقلت هنيئاً للحمام أمانه
اسرب الحمام لو لقيت بعض ما
ولو قد علمتن الذي أنا عالم
ومن جرّب الأيام تجربتي لها
فحسبك يادهر اضطلعت^(٢) بنار من
وأكثر ما اهجوك يا زمني به
ذمناك يا صرف الحوادث قانتصر
فانا أناس لانذل لنكبة
يغردن في أعلى الغصون ويندبنا
أنيقة روض النبت آتية المغنى
روائح لا يعرفن هما ولا حزنا
وان كانت الأيام لم تعطيني امنا
ألاقي لأصباحتن أول من يضمني
لما ناح منكم هاتف ، لا ولا غنى
درى أنها ليست تدوم على معنى
لو انك سم في تراقية^(٣) ما أنا
من الفعل اني لم أحسن بك الظنا
وسؤناك يا ريب الزمان فخذ منا
واخلاقنا لا تعرف الخوف والجنبنا

(١) مع جمع هامع ، من همعت عينه : اذا سالت دموعها .

(٢) اضطلت بالنار : احترق ونقاسى حرها .

(٣) التراقي : جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاقل ، وهما ترقوتان .

بأبي من سعى يبرد عني
ليته يطفئ الذي بي من الشو
أنا أشواقه اذا بات قربي
حر بعض الغذاء بالرمات
ق الى وجهه بقرب التداني
مثل شوقي اليه في الهجران

وحضر جماعة من الاصحاب إلى المعشوق - وهو بستان بركة الحبش -
للقصف به ، وكان معهم أبو الحسن علي بن الحسين القيرواني الشاعر ، فكتب
عن الجماعة ابياتاً وهي :

قل للأمير بن الامام التذي
لو صوّرت أفعالك الغرّ ما
نحن من المعشوق في لذة
فأي شيء ابتدى وصفه
اماء العذب القليل القذى
رحت به للهوى في فتية
نلقى الصبّا فيه بحر الصبّا
صفراء لولا طيب أنفاسها
نشرها مزجاً وعرفاً وما
واليم يهديننا لطرق الصبا
كأنما رقة مسموعة
أمتنا من نائبات الزمان
أصبحن إلا أوجها للحسان
زادت على لذة طيب الأمان
منه وقد أفرط في كل شان
أم ظله الداني من كل دات
كلهم حرّ كريم هجاء
ونطرد الهم ببنت الدنان
غابت عن الحسن ولطف العيان
لنا سوى المثلث من ترجمان
إذا تبارت فيه أيدي القيان
رقة ما يلفظ منك اللسان

فأجاب الأمير :

لا تقتل الاحزان الا بما
صفراء في الكأس خلوقية^(١)
أدق محسوساً اذا صرفت
أودعه الابرقي دمع الدنان
مخلوقة من قبل خلق الزمان
من دقة الفهم ولطف البيان

١ - خلوقية : نسبة إلى الخلق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة ، وتغلب عليه الصفرة
والحرارة لان أعظم اجزائه من الزعفران .

يقتص من اقدامنا ثأرها^(١)
ينظم فيها ماؤها لؤلؤا
أو درة ضمت على عسجد
دونكموها فاشربوا صرفها
وانصتوا ما بين أقداحها
حتى اذا هزتك نشوة
فادرعوا اخلاقكم واطربوا
وان أغب عنكم فاني كمن
هناكم الله وملاككم

وقال :

قصرت على دير القصير مجوني
وكانت به للراح عندي وللصبا
اذا بكر الناقوس باكرت شربها
ورحت صريعاً بين كأس مدامة
ولم تهتك اللذات ستر مروءتي
وقال يصف عود الغناء :

لسان العود أفصح من لساني
اذا شدت مثالبه الملاوي
ودارت أكؤس الصهباء صرفاً
فيا لك من منادمة وقصف
وحسن بيانه فوق البيان
وجاوبت البوم به المثاني
وحركت الغواني للأغاني
تزل^(٢) بها ملهات الزمان

(١) في معناه قول صفي الدين الحلي :

أمت تحاول منا ثار والدها

وقول ابن المصري :

تذكرت عند قوم دوس أرجلهم

(٢) كذا في د وفي باقي الاصول : « تذلل لها » .

وقال في الشكوى :

لم يرزني دهري كما
لكنه أنحى^(١) علي
أكلاً وشرباً من دمي
دهر يقل به السرو
يا نفس قد جار الزما
وتحلمي عن جهله
لو كان حراً ما سطا

وقال في الغزل :

ما هجرت المدام والورد والبدر
منعتني من الثلاثة من لو
قالت : الورد والمدامة والبدر
قلت : بخلاً بكل شيء فقالت
قلت : يا ليتني شببك قالت

وقال يرثي أهله :

الحر لا يأتي الدينه
ومن المكارم والتقوى
والمرء يستر بالسقاء
والحلم أعظم ما يكو
والعقل أجمل زينة

(١) أنحى عليه : مال .

(٢) الصغر : الذل والهوان .

(٣) الرضاب : الرقيق يرشف ، وكثرة ماء الاسنان .

والظلم من لؤم الطبأ
والبغي يؤذن بالبوأ
أو ما ترى بالبغي ما
الناكبين^(١) عن الهدى
والقاسطين^(٢) الوائب
سكفروا برب محمد
وشفوا بسبطيه الحقو
ونسوا مقال نبيهم
من كنت مولاه فقد
جلت بسفك دم الحس
ماذا أبيع بكر بلاء
ماذا تحطفت الصوا
بكت السماء لفقدهم
أهل الفضائل والمكا
وذوو النبوة والهدا
قتلت أمية هاشما
بحقود بدر طالبو
خذلوا النبي بقتلهم

ع وعادة النفس الرديه
ر وبالدمار والمنيه
أفضت اليه بنو أميه
والجائرين على الرعيه
ن على ابن فاطمة الزكيه
بغيا فما حفظوا نبيه^(٣)
د وحاربوا ظلماً وصيه
وهو المعدل في القضيه
أضحى أبو حسن وليه
ين وقتله عندي الرزيه
من النفوس الهاشميه
رم منهم والسمهريه^(٤)
والأرض واحتذت البريه
رم والندى والأريحيه^(٥)
ية والعلا واللوزعيه^(٦)
اعظم بذلك من بليه
هم والدماء المشركيه
وتعصبوا للجاهليه

(١) نكب عن الامر : حاد عنه ومال وانصرف .

(٢) قسط يقسط قسطاً : جار وعدل عن الحق قال تعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) .

(٣) في الاصل (بنيه) .

(٤) السمهري : الرمح الصاب ، الى سمير ، اسم رجل ، وهو زوج رديئة ، وكنا مثقفين للرمح ومقومين لها .

(٥) الاربيحيه : الارتياح للمعروف .

(٦) اللوزع واللوزعي : الذي الحديد الفؤاد .

هدموا الشريعة ، والشر
لم تخف عن رب البرية
ما عذرهم يوم النشو
وأتى النبي مطالباً
ودم الحسين على البتو
نحروه غير مذمم
في كربلاء يجود بالذ
حتى انثنى لسيوفهم
أعزز علي مجاله
وبنو أبيه حوله
قد جردوا بيض المنا
حتى تفانوا حوله
والفاسق ابن زياد (٥) الـ
لا يأتلي (٦) في قتل أب

حتى اذا ما عفروه
حثوا المطايا للشأ
شهرؤا نساء نبيهم
أسرى يسقن كما تسا
حتى اذا جاؤوا يزيد
أبدى الشتات وقال ثا
أعزز على وقوفهن
والرأس ملقى وهويق
يا عين جودي بالدمو
آليت لا ذقت المنا
ولأهجرن لذيذك
حتى أزور أمية
وأذيقهم كأس المنى
حتى أقوم بثأر
ان لم أزد طعم الكرى
حتى تروح أمية

على ثرى الأرض الثرية (١)
م بكل طاهرة حييه
وتقاسموا بالبغي فيه (٢)
ق المشركات بلا تقيه (٣)
مد يهن واحتضروا نديه (٤)
رات الرجال العشميه (٥)
ثواكلا فوق المطيه
رع بالقضيب على الثنيه (٦)
ع على مصاب الفاطميه
م ولا اضطجعت على حشيه (٧)
ل معيشة عندي هنيه
في كل بلقعة (٨) قصيه
ة بالغدو وبالعشيه
آبائي من العصب الشقيه
عن أعين منهم عميه (٩)
لسوى أمية مدعيه

(١) الصدى : العطش وشده ، وفعله صدى يصدى فهو صد ، وهي صديعة (بتخفيف
الياء) كفرحة . وشدد الشاعر ياءها للوزن .

(٢) يريد (دريئة) وهي في الاصل الحلقة يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها . قال عمرو
بن معد يكرب الزبيدي رضي الله عنه : ظلت كافي للرماح دريئة - أقاتل عن ابناء
جروم وفرت .

(٣) في ل و هـ « في تلك العشية » .

(٤) الناصبية : فرقة نصبوا على العدا ودانوا ببغضته .

(٥) هو عبيد الله بن زياد بن أبيه (أبي سفيان) قتل سنة ٦٧ هـ في واقعة الخثار بن أبي
عبيد الثقفي الذي بعت برأس عبيد الله إلى المدينة في نحو سبعين ألف راس ، وشاهدتهم نساء أهل
البيت ، وكانت ملحمة عظيمة انتقم الله فيها من أهل الحرم ، ونصبت رؤوسهم حيث نصب
وأس الحسين رضي الله عنه .

(٦) لا يأتلي : لا يقصر ولا يبطئ ولا يفتر .

(١) الثرى : التراب الندى ، وتريث الأرض تثرى فهي ثرية نديت ولانت بعد
الجدوبة واليبس .

(٢) فيه : مخفف عن فيه : والفية : الغنيمة .

(٣) أي بلا حفظ ولا صيانة ولا حماية ، واتقى الشيء تقي وتقية : حذره .

(٤) الندى : مجلس القوم ومتحدثهم ما داموا حاضرين ومجتمعين فيه كالنادي .

(٥) عشمي : نسبة إلى عبد شمس جد بني أمية .

(٦) الثنية من الأضراس : الاربعة التي في مقدم الفم ، ثنيتان من فوق ، وثنيتان من أسفل .

(٧) الحشية : الفراش الخشو .

(٨) البلقع والبلقعة : الأرض القفر التي لا شيء بها . رقصة : بعيدة .

(٩) ذاد يذود : منع وصرف وطرده .

فبرئت من نسب الوصي
لهفي على النفر الذي
تالله لا برحت لهم
حتى أكر عيش تل
وتروح ثارات الحـ
إني وآبائي وقو
ذاقوا الردى وتجرموا^(١)
بيد الغوي^(٢) ابن الغوي
الناقضين الناكث
البائعين صوابهم

وقال متغزلًا :

بأبي من شربت من راحتيه
وسقتني تحت العناق ثناياه
كلما علي ثناياه حيا
وبرماني قضيب الجن
فهو كالدعص كالقضب كبدرة
ضاق القمص أن تحيط بردفـ
مثل ما قد شربت من مقلتيه
رحيق السلاف من شفتيه
في بورد الشقيق من وجنتيه
بهما قام مثل رادفتيه
م لولا ظلام سالفتيه^(٣)
ه ونهديه فانشقق عليه

- (١) الوله : الحزن وذهاب العقل لفقدان الاحبة ، وفعله وله يوله ، وقد وله الحزن والجزع ، وأوله . وشجاه يشجوه شجوا : أحزنه ، والشجو : الهم والحزن .
(٢) يريد محتمية بتخفيف الياء ، غير ان الشاعر شدد الياء للضرورة هنا ، وفي غير موضع كقوله (مدعية) في (مدعية) و (عية) و (صدية) في (صدية) .
(٣) تخزمتهم المنية : استأصلتهم واقتلعتهم .
(٤) يريد عبيد الله بن زياد بن أبيه أبي سفيان .
(٥) غوى الرجل يغوي غيا وغواية : انهمك في الباطل .
(٦) السالفة : تطلق على خصل الشعر المرسلة على الحد ، واصل السالفة صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه .

يا عذولي عليه جهلا أتستح
كيف أسلو عنه وعيني وقلبي
وقال في الغزل :

شكوت اليها - لا شكوت - صبابتي
فلما منعت الشكو مني تجلدا
أماطت^(١) عن الحدين فضل قناعها
فقلت لها واستعجلتني بواذر
شهادة حق أشهد الله انني
وقال في الغزل^(٢) :

يا شادنا جرد من لحظه
أردد علي القلب من قبل ان
وقل لعينيك ترد الذي
سيفا فلم يبق به حيا
يعلم خلق بيننا شيا
قد سرقت من نوم عينا

- (١) أماط : رفع وازال وأبعد .
(٢) بدالي : أي نشأ لي رأي جديد ، وتغير رأيي عما كان عليه ، يريد الشاعر انه رجع عن سلوه وعاد إلى هواه وغرامه . وفي ت « شكوت » مكان « سلوت » .
(٣) هذه القطعة لم ترد في اصول الأعظمي . وقد اثبتناها عن نسخة (ل) .

نسخ الديوان

اولاً - النسخ التي رجع اليها المؤلف وكانت محفوظة في مكتبته الخصوصية:
بأهند قبل قيام الباكستان وهي كما جاء في وصفه لها :

(١) نسخة مدرسة الحكمة بأهند ، لا يعلم تاريخ نسخها ولا ناسخها ،
وقد رمز لها بالحرف (ح) .

(٢) نسخة قديمة جداً ، ولكن تاريخ الكتاب واسم الكاتب غير مذكورين.
وقد رمز لها بالحرف (ب) .

(٣) نسخة قديمة جداً ، ولكن تاريخ الكتاب واسم الكاتب غير مذكورين.
وقد رمز لها بالحرف (د) .

(٤) نسخة صحيحة كتبت في ١٥ من صفر ١١٩٩ هـ وقد رمز لها:
بالحرف (و) .

(٥) نسخة كتبت في اليوم التاسع عشر من جمادى الاولى سنة.
١٣٣٨ هـ ، وقد رمز لها بالحرف (ز) .

(٦) مختارات قديمة عثر عليها في مكتبة ليدن ، وهي غير مؤرخة ، وقد
رمز لها بالحرف (ل) .

(٧) بعض قصائد الديوان الواردة في كتاب « عيون الأخبار للداعي ادريس.
عماد الدين الباني » (نسخة مخطوطة خاصة) ، وهي القصائد الخاصة بالتاريخ ،
وقد رمز لها بالحرف (ع) .

الأسود ، وكثيرة الأخطاء الإملائية والسقط وإخلاط الشعر ببعضه ببعض ، وتقع في ٣٣٥ صفحة ، في كل صفحة ١٧ سطراً ، مرتبة حسب الجدية القوافي .

وقد ورد في الصفحة الأولى منها ما نصه :

« ديوان الأمير الفخيم (كذا) المسمى بتميم بن المعز لدين الله صلوات الله عليهم ... الخ .. وأوصل هذه النسخة عن نسخة محفوظة بمكتبة رامبور بالهند ، وقد وصلت للدكتور محمد كامل حسين عن طريق الاستاذ ايفانوف ، وقد رمز لها بحرف (ف) .

(ج) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٣٦٤ ز وهي منقولة عن نسخة محفوظة بجزيرة داعي الله الأمين سيدنا ومولانا عبدالله بدر الدين سلطان بهرة ، ولم يذكر ناسخها ولا تاريخ نسخها ، وقد رمز لها بحرف (ت) .



(٨) الأشعار المنتشرة في كتب الأدب والتاريخ المنشورة والمخطوطة ، وقد رمز لها بالحرف (م) .

النسخة التي رمز لها بحرف (ل) وهي نسخة مصورة عن نسخة في ليدن تحتوي ١٧٩ لوحة ، ومتوسط ما في الصفحة ١٧ سطراً ، وعدد ما فيها من المقطوعات الشعرية ٤٩٩ ، ولم يدون تاريخ كتابتها ، وبأول صفحة فيها تلك ، تاريخه ١١٧٢ هـ ، وهي في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ١٦٠٢٥ ز .

ثانياً - النسخ التي حصلت عليها دار الكتب المصرية بالقاهرة :

(١) نسخة تقع في ٤٣ صفحة ، في كل صفحة ١٥ سطراً ، وقد كتبت بالمداد الأسود ، وعناوينها بالمداد الأحمر ، وترتيب قصائدها يخالف ترتيب سائر النسخ ، فانها رتب على ترتيب فنون الشعر ، ثم رتب كل فن من هذه الفنون على حساب الجدية القوافي ، إلا في مطولات القصائد ، فان الناسخ قد جعلها في الباب الأول ، ويكثر فيها الحرم في الباب المشار اليه ، وقد ورد في الصفحة الأولى من هذه النسخة ما نصه :

« ديوان الأمير تميم المجموع على أبواب الشعر » .

كما ورد في آخر تلك النسخة بالمداد الأحمر ما نصه :

« هذا ما وجد من أشعار الأمير تميم بن المعز لدين الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين المنتظرين إلى يوم الدين ، المنقول من النسختين القديمتين تماماً ، ووقع الفراغ من انتساخه في اليوم الأول من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٧٢ من هجرة النبي صلوات الله عليه وعلى اله . ويرى الدكتور محمد كامل حسين انها يمنية نقلت إلى الهند ، وقد رمز لها بحرفي (هـ ، لك) ، وكانت هذه النسخة مملوكة له ، ثم تفضل فأهداها لدار الكتب المصرية ، وأضيفت إلى رصيدها برقم ٢٥٧٠٩ ز .

(ب) نسخة خطية ، يبدو انها حديثة ، وقد كتبت في الهند بالمداد

« تعليقات وموضوعات فاطمية »

شاء الاستاذ الأمير عارف تامر ان يضيف هذه التعليقات الى كتاب عبقرية الفاطميين فجاءت مكملة له في موضوعه وقد ألقت أضواءً جديدة على ناحية مجهولة في أدبنا وتاريخنا ، فنشكر للاستاذ الأمير عارف تامر جهوده .

* * *

ان صفحات التاريخ لتدل على اهتمام المسلمين حكومة وشعباً بالمكتبات التي اسست قوائمها في مختلف العهود التاريخية الاسلامية ، وكيف كان ارتقاؤها بعد ، وكيف كان انحطاطها فيما بعد .

اهتم الاسلام بالمكتبات دائماً اهتماماً كلياً ، والتاريخ يشهد أن أعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن : أولها خزانة الامويين بالاندلس ، ثانيها خزانة العباسيين ببغداد ، وثالثها خزانة الفاطميين بالقاهرة ، فهذه الخزائن في الاسلام عديمة المثال ، لا نجد واحدة من الخزائن يفوق على بهاء هذه الخزائن وبعثتها ، وكانت أعلامها مترفرفة في جميع البلاد الاسلامية وكانت أصولها ثابتة وقوانينها مضبوطة ، لا سيما ان الخلفاء كانوا يشتاقون ويهتمون بشهر الثقافة ، فكانوا يؤسسون مراكز ومكتبات لكي يعم ضياء التعليم فتمحى آثار الجهالة عن قلوب الناس .

ومما لا شك فيه أن العصر الفاطمي كان أشهر العصور الاسلامية فيما يتعلق

بنشر الثقافة الاسلامية والعربية والعلوم الاخرى وتأسيس المعاهد التعليمية في مختلف أرجاء الدولة الفاطمية ولقد أقاموا مكتبات كثيرة تعد المراكز الكبيرة كانت تجمع فيها خزائن الكتب الحجة ، فهذه الكتب لا تتعلق بالمذهب الفاطمي فحسب بل تتعلق بالعلوم المتفرقة المتنوعة من الفلسفة والنجوم والهندسة والمنطق والرياضيات والطبيعات والالهيات فهذه العلوم كلها كانت مطوية في مكتبات الفاطميين .

ولا غرو فان جميع المكتبات المختلفة كانت لها أهمية خطيرة ، ولكن مكتبة الفاطميين في مصر رجحت في المقابلة للمكتبة الاسبانية .

بلغت الثقافة في عصر المعز الفاطمي أعلى مبلغها ولا سيما في الثقافة التي تتصل بالدعوة الاسلامية كالفقه والتفسير ، ونبغ في عهده علماء أفذاذ وشعراء وأدباء وشارك المعز الفاطمي في هذه النهضة العلمية بحظ أوفر ونصيب أكثر .

ولا غرو فقد ازدهرت العلوم الاسلامية في القرن الرابع الهجري ورفع البويهيون والمحمدانيون لواءها في الشرق كما ساهم الامويون بالاندلس في هذه النهضة .

ولم يكن الفاطميون أقل شأنًا في هذا السبيل فقد اشتهر المنصور الفاطمي بسعة الاطلاع ، ولم تشغله مهمة الخلافة عن البحث والتأليف بل انه كثيراً ما كان يبحث على ابنه المعز ، أن يتوفر على الدرس ويؤلف الكتب ، وكانت مكتبة المعز بالمنصورية ثم بالقاهرة زاخرة بالكتب وبما تحويه من المعلومات العامة وكانت هذه الخزانة الفاطمية ثالثة الخزائن في الاسلام التي اشتهرت بعظمتها وجلالها وكثرة كتبها .

كذلك لم يكن الوزراء الفاطميون أقل حماسة في اقتناء الكتب والحصول عليها من الخلفاء وزملائهم في ديار اخرى فقد كان الوزير يعقوب بن كلس يبحث على العلم ويجمع بداره العلماء كما تقدم . وكان في داره قوم ينسخون القرآن الكريم وآخرون ينسخون كتب الحديث والفقه والأدب والطب . ثم يقارنونها ويشكلونها

وينقطنونها ، وقد خلف برجوان استاذ الحاكم من الكتب ما لا حصر له ، كما كان للمشير بن فاتك - وهو من أمراء مصر - خزائن عظيمة .

وكانت هذه الخزانة الفاطمية ثالثة الخزائن في الاسلام التي اشتهرت بعظمتها وجلالها وكثرة كتبها وأهميتها الكبرى .

أما أولى هذه الخزائن فهو بيت الحكمة العباسي ببغداد ، وقد أسسه هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ) وجمع من الكتب ما لا يحصى كثرة ، ولم يزل على ذلك الى ان استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦ هـ فذهبت هذه الخزانة العباسية فيما ذهب وذهبت معالمها وعفت آثارها .

أما الخزانة الثانية فهي خزانة خلفاء بني أمية بالاندلس ، وكان منشؤها الخليفة الحكم المسنصر بن عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠-٣٦٦ هـ ، فقد كان محباً للعلم ، جامعاً للكتب على انواعها ، فأنشأ في قرطبة هذه الخزانة وجمع فيها الكتب من جميع أنحاء العالم ، فكان يبعث في شرائها رجالاً من التجار ومعهم الاموال ويحرضهم على البذل في سبيلها لينافس بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب العلماء والكتاب اليه وقد اجتمع له من الكتب عدد عظيم ، فكان مجموع ما حوته تلك المكتبة أربعائة ألف مجلد .

على ان هاتين الخزانتين لم تصلا في عظمتها وجلالها إلى مبلغ ما وصلت اليه خزانة الفاطميين . وقد وصفها المقرئ بن بأنها كانت من عجائب الدنيا ، وانه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم منها ، وانه اشتملت على مليون وسبائة ألف كتاب ، وكان فيها من الخطوط أشياء كثيرة .

على انه مما يدعو إلى الاسف حقاً ان تتلاشى أغلب هذه المجلدات التي امتلأت بها خزائن القصور الفاطمية الزاهرة في غضون الشدة العظمى التي حفت بالبلاد سنين طويلة في عهد المستنصر الفاطمي ، فقد نزع من هذه المكتبة ما يقرب من الفين وأربعمائة ختمة مكتوبة عليها بماء الذهب والفضة ، أخذها الأتراك لهم من الارزاق .

هذا بالإضافة إلى ما ذهب إليه المقرئ من أن عدداً غير قليل من الكتب الجليلة وقد اتخذ بعض العبيد والامراء من جلودها نعالاً وأحذية . ثم أحرقوا أوراقها زعماً منهم أنها تحوي كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم وإن عدداً آخر كبيراً من الكتب أغرق وأتلف ، وما بقي أتت عليه الرياح والتراب فصار تلالاً عرفت « بتلال الكتب » .

ولكن رغم هذه المحنة التي حاقت بكثير من الكتب الفاطمية ، فإن الفاطميين سرعان ما عوضوا عما فقدوه منها ، واستطاعوا أن يكونوا لهم خزانة عظيمة في عصر العاضد الفاطمي آخر خلفائهم ، وقد بيعت هذه الكتب التي غصت بها خزانة الفاطميين عندما استولى صلاح الدين الأيوبي على القصور الفاطمية الزاهرة ، واستغرق في بيعها عدة أعوام ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على كثرتها وغزارتها .

واستطاع الفاطميون لعنايتهم بها وحرصهم على اقتناء المجلدات النادرة أن يبذلوا غيرهم من أصحاب المكتاتب في البلدان الإسلامية الأخرى ، بيد أننا نأسف لضياع بعض هذه المجموعات القيمة من الكتب النادرة في الشدة العظمى وضياع الجانب الآخر .

وكذلك أتلفت المكتبات الكثيرة وأحرقت ، كما أن « هلاكو » في سنة ٦٥٦ أباد المكتبة التي بناها السيد مرتضى ببغداد ، وأغرقت تلك الكتب التي جوتها ببغداد في نهر دجلة ، وبلغ عددها ستمائة ألف كتاب .

وقيل أنه استعمل تلك الكتب مكان التبن وبنى بها اصطبل الخيول . وروى المؤرخ الهندي شبلي نعماني أن بعض المؤرخين في بغداد يقول أن التتار أغرقوا تلك الكتب حتى أسود ماء نهر دجلة بمسح تلك الكتب ، وما ظلموا على المكتبات البغدادية فقط بل وصلوا إلى تركستان وما وراء النهر وخراسان وبلاد جبل فارس والعراق والشام ، وأبادوا الإعلام الإسلامية العلمية من المكتبات .

وفي سنة ٥٠٢ هـ احتل المسيحيون طرابلس الشام فأحرقوا جميع مكتباتها . ولاسيما مكتبات مصر والشام وإسبانيا ، وبمالك إسلامية في الحرب الصليبية .

أحرقت مكتبة طرابلس الشام بأمر كاؤنت بري سينت جيل وكانت المكتبة تحوي أكثر من ثلاث مائة ألف كتاب .

كذلك أحرق كاردنل دي ميش ثمانين ألف كتاب في يوم واحد .

وكذلك بنى القاضي ابن عمار المكتبة العالية في طرابلس الشام واشتملت تلك المكتبة على مائة ألف كتاب ؛ لكن أحرقت تلك المكتبة في الحرب الصليبية .

كذلك أحرقت المكتبة العمومية في بغداد في محل كرخ أقامها أبو نصر وزير بهاء الدولة سنة ٣٨١ هـ واشتملت تلك المكتبة على عشرة آلاف كتاب يقول ياقوت الحموي : « رأيت جميع المكتبات الإسلامية ولكن ما رأيت أحسن منها . وذكر المؤرخون هذه المكتبة بدار العلم » لكن أحرقت بأمر القائد طغرل بيك السلجوقي حين قدومه في بغداد .

تنأسف أشد الأسف على ضياع تلك المكتبات الإسلامية ، فأى شيء دعى المفسدين إلى إحراق تلك المكتبات العظيمة القدر ، وما أحرقت تلك المكتبات بل أحرقت قلوب المؤرخين المصنفين المشهورين ، إذ تركوا قلوبهم منطوية في غضون أوراق تلك الكتب . فلو أن أحرقت تلك المكتبات لكانت لنا ثروة إسلامية وأي ثروة .

المغمورون في التاريخ

أبو يعقوب اسحاق السجستاني

— السجزي —

يعتبر « أبو يعقوب اسحاق السجستاني أو السجزي » في طليعة العلماء الذين جاهدوا وعملوا وكرسوا أنفسهم لوضع قواعد فلسفة كونية عالمية قائمة على دعائم فكرية عقائدية وأسس علمية متينة وعلى ركائز ثابتة الأركان لا تتزعزع مهما طرأ عليها من أزمات . بل هو في الواقع من الذين ضحوا بكل ما يملكون في سبيل نشرها وتعميمها في الأقطار الأخرى حتى اتهم أخيراً بالكفر والإلحاد من الجمهور المحافظ ، ثم قتل أخيراً في سبيل عقيدته . وإننا إذا ما أردنا بيان حياة هذا الفيلسوف الكبير فنقول : " انه لعب دوراً هاماً في ميدان الفلسفة ، وأدى أجلّ الخدمات الفكرية في المجال العلمي ، ونذهب الى أبعد من ذلك لنقول انه عميد مدرسة الدعوة الاسماعيلية الفكرية في القرن الثالث للهجرة ، وقد ظهر أثره الفكري في تلميذه (احمد حميد الدين الكرمانلي حجة العراقيين) الذي سار على مناهجه ، ودعا الى تعاليمه والانتهال من فيض ينابيعه واذا علمنا أن الكرمانلي درس الفلسفة على السجستاني أمكننا وضع السجستاني في المرتبة الأولى بين المفكرين المسلمين وعلماء فلاسفة العالم المشهورين .

عاصر الدعوة الإسماعيلية الباطنية في عصر الظهور ، أي إبان ازدهار الدولة الفاطمية وظهورها كدولة إسلامية ذات كيانه حضاري وعلمي واجتماعي وسياسي وبالرغم من أنه عاش في بلاد يتمذهب أهلها بمذهب يختلف عن مذهبه فقد كان مجبراً أن يتخذ « التقية » ستاراً له ويحذر أشد الحذر في حركاته ودعواته ولهذا السبب جاءت حياته غامضة بعض الغموض . وقد لا نكون ملومين إذا كنا لم نستطع الوصول إلى معرفة سيرة حياته معرفة تامة أو نتصل بكل شيء عنها ، ومن جهة ثانية فإنه لم يصل إلينا الشيء الكثير عن الداعي الكبير النسفي غير ما ذكره المؤرخون عن جهوده واتصاله (بنصر بن أحمد الساماني) في بلاد ما وراء النهر إلى أن اعتنق الساماني الدعوة الإسماعيلية ، كما أننا نعلم شيئاً كثيراً عن أبي حاتم الرازي العالم اللغوي الأجل وصاحب أقوم سفر في علم اللغة العربية وهو كتاب « الزينة » وعن (حجة العراقي) أحمد حميد الدين الكرمانلي بالرغم من وصول أكثر مؤلفاته وآثاره إلينا ، ولو لم يكتب المؤيد في الدين (هبة الله الشيرازي) صديق ومناظر (أبو العلاء المعري) سيرته بيده لما تسنى لنا أن نعرف شيئاً عنه ، وهكذا نقول عن غموض حياة كبار رجال الدعوة الإسماعيلية وشيوخهم من الحجج ودعاة الجزائر في سوريا وإيران واليمن وغيرها ، فإن حياتهم غامضة أشد الغموض ، كما أن كتبهم التي دونوا فيها سير حياتهم قد فقدت ولم يبق لها أي أثر .

ينسب إلى « سجستان » وهي مقاطعة في جنوب (خراسان) من أسرة فارسية قيل أنها أسرة بطل الفرس (رستم) وهناك من يقول أنه من أصل عربي جاء جده من الكوفة واستوطن سجستان . يزعم بعض الباحثين الذين عالجوا فلسفته أنه مات سنة ٣٣١ هـ ، ولكن هذا الرأي لا يتفق والواقع التاريخي ، فالمعروف عن السجستاني أنه كان معلماً للكرماني والكرماني ظل حياً حتى سنة ٤١١ هـ ، إذن متى أخذ الكرماني عنه علوم الدعوة الفلسفية ؟ وهناك نص صريح في كتاب « الافتخار » للسجستاني نفسه يذكر فيه أنه وضعه سنة ٥٣٦٠ هـ ، وقد ورد ذكر كتاب الافتخار في كتاب « الرياض » للكرماني أي أنه كان

داعياً في مقاطعة (بخارى) بعهد خلافة الإمام المعز لدين الله الفاطمي ومعنى هذا أنه كان معاصراً للداعي الكبير « جعفر بن منصور اليميني » وللفقيه العلامة « القاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي التميمي » قاضي الدولة الفاطمية ولغيرهما من كبار المؤلفين وعلماء الدعوة في ذلك العصر الذهبي العلمي الزاهر ، وليس أدل على قيمة السجستاني العلمية من كتبه ومؤلفاته التي تركها بعده وهي موضوعة باللغة العربية وقسم ضئيل منها وضعه باللغة الفارسية وقد ذكرها (اسماعيل بن عبد الرسول بن مطاخان الأيبي) المتوفي سنة ١١٨٣ في المجموعة وفهرست الكتب وقد أشار إليها « البيروني » في كتبه كما ذكرها البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) .

ترك السجستاني بعده كما قلنا مؤلفات علمية غزيرة تعتبر من أقوم ما كتب في الفلسفة ويبلغ عددها ما ينوف على الثلاثين ، ولعل أشهر كتبه « إثبات النبوات » و « كشف المحجوب »^(١) و « تحفة المستجيبين »^(٢) و « الينابيع »^(٣) وهذا الكتاب قسمه إلى أربعين ينبوع فأصبح بعد هذا من الكتب التي قلما يوجد ما يفوقه عمقاً وترتيباً ويظهر أنه قد وضعه لطبقة خاصة من الدعاة وأصحاب المراتب العليا في الدعوة ، وإلى الذين وصلوا في دراساتهم الفلسفية إلى الذروة ، وأما سبب تقسيمه الكتاب إلى أربعين ينبوع فيعود إلى رغبته في جعل كل ينبوع بمحد من الحدود الأربعين الذين يشكلون المجلس الأعلى للدعوة .

ومن كتبه أيضاً وقد أتى على ذكرها الرحالة الكبير والشاعر الفارسي الشهير (ناصر خسرو) بكتابه زاد المسافرين :

أسس الدعوة ، وتأويل الشرائع ، وسوسن النعم أو سوسن البقاء ، والرسالة

(١) حقق هذا الكتاب ونشره في طهران المستشرق هنري كوربان .

(٢) حقق هذه الرسالة « عارف ثامر » وضمها إلى كتاب « خمس رسائل إسماعيلية » .

(٣) حقق هذا الكتاب « عارف ثامر والمستشرق هنري كوربان » وضمها إلى كتاب « ثلاث رسائل إسماعيلية » .

الباهرة ، وكتاب الافتخار ، والموازن وهو مقسم الى تسعة عشر ميزاناً ، وسلم النجاة ، والنصرة ، وقد وضعه في الدفاع عن النخشي لما هاجمه أبو حاتم الرازي وعندما جاء الكرماني ألف كتابه الرياض وجعله لتقريب وجهات النظر ، وله كتاب : المقاليد في معنى الاسر ، ومسليات الاحزان ، وأسرار المعاد ، والمواظ في الأخلاق ، والغريب في معنى الإكسير ، ومؤنس القلوب ، وتأليف الأرواح ، والأمن من الحيرة ، وخزائن الأدلة والبرهان .

وفي هذه السطور نوجز آراء السجستاني في الإلهيات كما عبر عنها في أكثر مؤلفاته فهو يعتقد :

إن مبدع المبدعات خالق قديم وعال وعريق في إيجاد الأولية ، وإن عالم الموجودات والمبدعات محدث لأنه إذا كان غير محدث فيجب ان يكون شيء سابق له قد أحدثه ، ولو كان العالم قديماً قبل الخالق لاستحال تعلق جبروته بالقدم ووجوده بالعدم ولاقتضى موجداً أوجده وهو المتعالى عن درك الصفات فلا ينال بحس ولا يقع تحت نظر ولا تدركه الابصار ولا ينعت بحس ولا يخطر في الظنون ولا تراه العيون ولا يوصف بالحواس ولا يدرك بالقياس ولا يشبه بالناس ، فهو المنزه عن ضد مناف أو ند مكاف أو شبه شيء ، تعالى عن شبه الحدودين ، وتجبرت الأوهام في نعت جبروته ، وقصرت الأفهام عن صفة ملكوته ، وكلت الأبصار عن إدراك عظمتة ، ليس له مثل ولا شبه ، وهو غير ذي ند وغير ذي ضد لأن الضد إنما يصاده مناف دل على هويته بخلقه وآثاره على أسمائه بأنبيائه ، فليس للعقل في نيل سمائه مجال أو تشبيه إذ أن تشبيه المبدع بمبدعه محال ، فهو سبب كل موجود لانه مبدع المبدعات ومخترع المخترعات وسبب كون الكائنات ورب كل شيء وخالقه ومتممه ومبلغه إلى أفضل الأحوال ، جل أن يحده تفكير أو يحيط به تقدير ليس له أسماء لأن الأسماء وضعت لموجوداته ولا صفات لأن الصفات من أيسياته ، وإن حروف اللغة لا يمكن ان تؤدي الى لفظ اسمه أو أن يطلق عليه شيئاً منها لأنها جميعاً من مخترعاته ، وإن كل الاسماء التي أبدعها جعلها أسماء لمبدعاته . فهو قديم وقبل الأزل ، وصاحب

مصدر الأولية بالترتيب ، لأن الحد الأول انبثق منه والموجود الأول فاض عنه ، وهو مبدع المبدعات ومعلل العلل وباري البرايا والدائم الموجود المعروف بفرديته وصدايته وصاحب فعل الإيجاد الأول للعدد الأول الذي جعله أصلاً للأعداد ، كما أن العقل جعله أصلاً للموجودات ، والناطق أصلاً لعالم الدين ويضاف إلى كل هذا بأنه لا ينال بصفة من الصفات ، وأنه ليس جسماً ولا هو في جسم ولا يعقل ذاته عاقل ولا يحس به حاس ، وهو ليس بصورة ولا بمادة ولا يوجد في اللغات ما يمكن الإعراب به عنه ؛ وهو موجود لأنه لا يصح ان يكون غير موجود . ولا ان يكون موجوداً من نوع الموجودات التي وجدت عنه ، وأما الاستدلال عليه فيستخلص من وجود الموجودات الأخرى وذلك بان لا معلول بدون علة ولا موجود إلا بما يوجب وجوده ، وإن الموجودات يستند بعضها الى بعض في وجوده ، وأن بعض الذي يستند إليه البعض الآخر أيضاً من الموجودات غير ثابت في الوجود وغير موجود .

وبعد ذلك ينتقل السجستاني إلى الموجودات بالتسلسل والترتيب فيقول :

إن المبدع لم يوجد في أول الحلقة غير العقل وحصر في جوهره صور المبدعات كلها ، ويضاف إلى العقل اسم (القلم) لأن بالقلم تظهر نقوش الحلقة منذ الابتداء الى الانتهاء ، ويقال للعقل (العرش) أي إنه مقرراً لمن جلس عليه ويجلوسه عليه تعرف جلالته عن من هو منجسط درونه ، ويقال للعقل (الأول) ومعناه أن الأولية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل ما هو موجود وما هو مطبوع عليه أسبوع لقبول آثار الحكمة قبل سائر الحدود لقربه منها واتحاده بها وهي العلم والأمر اللذين هما بمعنى واحد ، وقد يجوز ان العقل فعله سبق قوته ، ولم توجد هذه الفضيلة في موجود سواه لأن جميع الحدود من دونه قواتهم سابقة أفعالهم وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً ، ويقال للعقل القضاء على أن بالعقل تقضي النفس إدراك المعلومات والظفر بالمطلوبات ، ويجوز على ان العقل هو قضاء الله عز وجل بين خلقه ، ويقال للعقل أيضاً (الهيول) فمعناه ان بالعقل قوام ما ينبجس من الصور ، ويقال للعقل الشمس ومعناه إن بالعقل تبصر

الحقائق ، ثم إن النفس وهي الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول وإنما سميت نفساً لأنها تتنفس دائماً للاستفادة ليكون بتواتر نفسها قوام الحلقة ، ويقال للنفس (اللوح) فمعناه إن الذي انفطر من العقل من أنوار الحكمة ينسطر في النفس ، ومن النفس يتصل مجرياتها المنبعث منها على مقدار صفائها ولطافتها ؛ ويقال للنفس الملك ومعنى ذلك أن النفس هي ملك العقل وقينه لأن بالنفس ظهرت فضيلة العقل كما أن بالملك تظهر فضيلة الملك ، ويقال للنفس (التالي) فمعناه أن الذي يتلو العقل في باب قبول آثار الكلمة إنما هي النفس ، ويجوز على أن النفس بقوتها تتلو العقل بفعله ، ويقال للنفس (القدر) فمعناه إن الذي يتحد بالنفس من فوائد العقل فإن التقدير والتحديد محيطان به ، ويقال للنفس الصورة ومعنى ذلك أن النفس تصورت من جوهر العقل وضيائه وأنها متى همت أن تلحق به لتنزل منزلة محق نورها ، كما أن القمر يستفيد نوره من نور الشمس وإذا اجتمعا في المنزلة محقت نوره ، ويقال للعقل والنفس بكلمة واحدة (الأصلان) .

هذه بعض آراء السجستاني الفلسفية في الإلهيات عرضنا لها عرضاً وجيزاً ولعلها تعطي الدليل الواضح على اضطلاع بالعلوم وعراقته بوضع النصوص بترتيب جذاب وتنسيق بديع وكَم هو حري بالعلماء ورجال الفكر أن يتفرغوا لدراسة هذه الآثار المغمورة ، وإظهار هذه الكنوز الفلسفية من كهف تقيتها بعد أن مرت عليها قرون وهي مدفونة في طيات الأزمنة وكهوف الاستتار .

أحمد حميد الدين الكرمانى

شخصية علمية خارقة يكتنف تاريخ حياتها الغموض ، وفيلسوف كبير عاش في عصر علمي زاهر ، وداعٍ جليل خط في صفحات الفكر أقوم البحوث وأعمق السطور ، وترك للأجيال عدداً من المؤلفات أقل ما يقال عنها إنها كنز

ثمين وتراث خالد .

يضع دعاة اليمن وعلماء الاسماعيلية أمام اسمه كلمة « سيدنا » مبالغاً في تكريمه ، وتعظيماً لمكانته وقدره ، ويعتبره فلاسفة العالم الاسلامي أعظم عالم انتجته المدرسة الفكرية الاسماعيلية في عهد الدولة الفاطمية . أما كتابه « راحة العقل » فهو من الكتب النادرة القيمة التي قلما يوجد بين كتب الفلاسفة المعاصرين أو الغابرين ما يعادله قوة ومتانة وعمقاً ، لذلك كان طلبه قليلاً ورواجه بطيئاً محدوداً ومقتصراً على طبقة خاصة من العلماء الافذاذ والفلاسفة المتبحرين .

ذكره الداعي الاسماعيلي والمؤرخ اليمني الكبير ادريس عماد الدين في كتابه (عيون الاخبار) فقال :

« هو أساس الدعوة التي عليه عمادها ، وبه علا واستقام منارها ، وبه استبانَت المشكلات وانفرجت المضلات » .

ووصفه الداعي الاسماعيلي السوري نور الدين أحمد في كتابه « فصول وأخبار » فقال :

« لو ان الدعوة الاسماعيلية لم تنتج غير الكرمانى لكفاهها فخراً ومجداً ولكان ذلك كافياً » .

ظهر أثره وعظم شأنه في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وكان لقبه المشهور « حجة العراقيين » أي انه كان مسؤولاً عن شؤون الدعوة الثقافية في فارس والعراق ، وفي القاهرة كان مركزه كمقام « حجة جزيرة » فهو أحد الحجج الاثني عشر المكلفين بإدارة شؤون الدعوة الإمامية الاذاعية الفكرية في العالم ، ثم انه استخدم بعد ذلك كرئيس لدار الحكمة في القاهرة ، وهي المؤسسة الثقافية التي نستطيع ان نقول انها أول جامعة أنشئت في العالم .

وفد على القاهرة سنة ٤٠٨ هـ بناءً على طلب الصادق المأمون (اختكين الضيف) داعي دعوة الدولة الفاطمية في عهد الحاكم بأمر الله عندما حمي وطيس

المعارك الدينية وقامت الدعوات الجديدة وراج سوق البدع التي كانت تهدف الى الغلو والقول بالوهمية الحاكم بأمر الله ، فألقى الدروس والمحاضرات في دار الحكمة وقاوم الدعوات الجديدة التي تتنافى ومبادئ الفاطميين الأساسية ، ووضع كثيراً من البحوث والكتب أشهرها « الرسالة الواعظة » في الرد على الحسن الفرغاني القائل بتأليه الحاكم بأمر الله ، ورسالة « البشارات » و« المصاييح » وقد تمكن فيها من اثبات الإمامة كواقع كوني لا بد منه وذلك ببراهين معقولة وحجج دامغة جاءت زاخرة بالتعابير العبرية والسريانية والفارسية مأخوذة من كتب الانبياء النطقاء السماوية ، ثم انه اتخذ الآراء الافلاطونية اساساً لبحوثه فذكرها بمهارة لم يسبقه اليها أحد ، وقد جاءت جميعها كدعوة عامة لتوطيد النظام الفكري الفلسفي ورفع مستواه ، ومحو اي اثر للشك والجدل والارتياح والنقاش .

ومهما يكن من أمر ففي هذا البحث الوجيز لن أحاول تقديم الفيلسوف الكرمانى كداعٍ من دعاة الاسماعيلية الذين لعبوا دوراً هاماً في مجال الفكر على عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، أو من الفلاسفة الذين خدموا الدعوة الفاطمية خدمات فكرية جلي ، بل أقدمه كفيلسوف من فلاسفة العالم صال وجال على مسرح الفلسفة الكونية وعمل كل ما في وسعه لايجاد مدرسة فلسفية ترتكز على أسس عقلية جديدة بالنسبة لعصره ، وعلى نظريات مبتكرة حديثة لها شأنها ، وعلى نظم فلسفية تطويرية تنطبق على نظرية وحدة الوجود التي يقول فيها المعلم الثاني والشيخ الرئيس مع توسع بالشرح وخروج عن المنهاج العام الموضوع لدعاة الاسماعيلية ومن قد سبقوه أو عاصروه وهم الذين كانوا مجبرين على السير وفق قواعد عامة مدروسة لا يمكن تخطيها او اجتياز حدودها . ومن الرجوع إلى مؤلفات الكرمانى والتمعن في قراءتها ، وتحليل ما فيها نراه قد اعتنق النظرية القائلة بأن بين الموجودات تضاداً وتنافراً وانها محاولة من جانب بعضها لمحو البعض الآخر ، وان هذه الموجودات موجودة بالرغم من هذا التنافر وهذا التضاد ، كما انه لا يفقد شيء منها بوجود ضد وانما هي كلها تحت الوجود

محفوظة وكل هذا مطابق لنظرية المعلم الثاني بالإبداع التي يقول فيها : « حفظ ادامة وجود الشيء الذي ليس وجوداً لذاته ادامة لا تتصل بشيء من العلل غير ذات المبدع »^(١) ويقول ابن سينا في سياق الكلام عن الممكن والواجب بغيره من الموجودات حديثاً يتبين من خلاله معنى دوام الوجود على الموجودات وذلك بقوله : « أما كون المعلول ممكن الوجود في نفسه واجب الوجود لغيره فليس يناقض كونه دائم الوجود بغيره »^(٢) . ويكاد يقرب ما يذهب اليه الفلاسفة الثلاثة المعلم الثاني والشيخ الرئيس وحجة العراقيين في هذا الصدد ما ذهب اليه في العصر الحديث الفيلسوف العلمى ديكارت الذي يقول : « إذ يوجد من الفعل الذي يحفظ الله به العالم وبين الفعل الذي خلقه به » ، وذلك فيما يعرف في فلسفته باسم نظرية « الخلق المستمر »^(٣) . والحقيقة فان الكرمانى قد شارك الفلاسفة المسلمين وتأثر بالبعض منهم وخاصة القائلين بالفلسفة اليونانية وامتاز عنهم بأنه عندما عرض هذه الفلسفة اتسمت ببحوثه بسهات الجدة والطرافة والابتكار ، وكان اسبق إلى التجديد من الفلاسفة الأوروبيين المعاصرين والشرقيين الغابرين ، وعليه بالامكان القول ان الكرمانى ترك مؤلفات وانتج افكاراً يجب ان لا ينظر اليها بوصفها آراء الاسماعيلية الفكرية فحسب بل آراء فلسفة اسلامية عامة ذات مستوى رفيع تبحث في جوهر الاشياء والنواحي العقلية العميقة بشكل ثابت متقن متين تتجلى فيها العبقرية والنبوغ .

أجل ... قال الكرمانى بالنظم الافلاطونية الحديثة ، وبذل جميع جهوده في سبيل تطبيق بعض موادها باسلوبه الفلسفي الكلامي الجذاب . وعمل على اثبات أمر النبوة والامامة من الوجهتين الفلسفية والدينية ، وفي هذا نستطيع ان نقرنه بحجة الاسلام الغزالي في استخدامه نظم الفلاسفة لتأييد التصوف والباطن ، وقد أيد النظرية القائلة بمبدأ التمسك بظاهر الشريعة تمسكاً يؤدي

(١) الفارابي - عيون المسائل . ص ٦

(٢) ابن سينا - الاشارات . ص ٢٤٠

(٣) ديكارت : مقال عن المنهج - القسم الخامس ، ومبادئ الفلسفة فقرة (٢١) .

إلى العبادة العلمية ، واقتصار هذه العبادة التي يدخل في ضمنها التأويل والكلام الفلسفي على الحدود والمأذونين الذين وصلوا إلى مستوى عالٍ في الفلسفة والعلوم ، وكل هذه الظواهر نجدتها إذا أمعنا النظر في « الرسالة الوضيئة » وفي « المصابيح في اثبات الإمامة » وفي « تنبيه الهادي والمستهدي » وفي « راحة العقل » ، مضافاً إلى ذلك ان للكرماني فضلاً كبيراً في تطور النظام الفكري ، والتوسع في الكلام النظري الخاضع مع اضافة عناصر جديدة ، وتوسيع لبعض الموضوعات ووضع القواعد الاساسية للتفسير ، ومنع التناقض والتشابه وخاصة بموضوع « الإمامة » التي كانت تدور حولها آراء ونظريات غير مستقرة ولا ثابتة ، ولهذا فان كتابه « راحة العقل » قد حدد قواعدها وأصولها ومراتبها ومركزها ، ووضع لها القواعد والاسس والنظم والترتيب . وهذا الكتاب بالنسبة للفلسفة الاسماعيلية ، ككتاب « احياء علوم الدين » لدى الغزالي الذي قرّر وحدّد الاسس والأصول للتصوف الإسلامي .

لقد كانت الكرماني مبرزاً في مذهب الدعوة للوجود وفي نفي الأبيسية والليسية والصفات عن الله نفيّاً مطلقاً ، ومذهب الدعوة في التوحيد ، ومذهب الدعوة في الاصلين الابداع والانبعاث والغلو الإمامي والافضلية بين الإمامة والنبوة ، وكل هذا بأسلوب منطقي علمي بحت ، ولم يقف عند هذا الحد بل جمع لأول مرة الأصلين الاولين ، العقل الفعال والنفس الكلية ، مع بيان العقول العشرة الافلاطونية التي ايدها المعلم الثاني وقد قابل وطابق بين عالم الابداع (وهو عالم العقول . او النفوس الروحاني) وبين العالم الجرماني (وهو عالم الافلاك والكواكب) وبين العالم الجسماني (وهو ما دون فلك القمر) ، وبين عالم الدين (وهو معرفة مراتب حدود الدين) ثم رسم لها المخططات الجغرافية والفلكية والأرضية والجسدية التي جاءت غاية في الفن والإبداع ودلّت على براعة في التعبير ، وعلو كعب في الفلسفة .

ومن الرجوع إلى « راحة العقل » واستعراض ما جاء فيه ، نراه قد زخر بتعابير وأدلة عن ابطال الابسية عن الله ، ونفي الصفات الالهية ، وما قاله وأيده .

قوله ان الله تعالى لا ينال بصفة من الصفات ، وانه ليس جسماً ولا هو في جسم ، وانه لا يعقل ذاته عاقل ، ولا يحس به محس ، وانه ليس بصورة أو مادة ولا ضد له ولا مثل ولا يوجد في اللغات ما يمكن الاعراب عنه كما انه ليس له رتبة في الموجودات . وهذا يدل على ما كان يمتاز به من إلمام واسع بأنواع العلوم لا سيما العقلية منها ، وفي هذا يوافق المعتزلة والمتكلمة ويتفق مع ابن رشد ، كما انه في موضوع ايجاد « العلية » عن وجود الله نراه يتفق مع ديكرت ، وان كانا يختلفان بإيراد التفاصيل وطريقة التعبير ، وكل هذا بالإضافة إلى بعض البحوث نراه يضمّن حلوله وافكاره بعض آراء الفلاسفة المتقدمين عليه والمعاصرين له كأفلاطون وأرسطو والكندي والفارابي وابن سينا . هذا ونلاحظ من الرجوع إلى ما كتبه الباقلاني والبغدادي والغزالي انهم قرروا ان الاسماعيلية بنفيهم الصفات يعتبرون « معطلة » ، ولكن الكرماني دفع هذه التهمة وقال ان التعطيل الصريح انما يكون بأن يتوجه فعل حرف النفي « لا » نحو « الهوية » قصداً ، كأن يقال مثلاً « لا هو » و « لا اله » وليس هذا مما تقول به الاسماعيلية ، اذ ان النفي عندهم هو نفي الصفات وحدها ، وتوجيه فعل حرف النفي « لا » انما ينصب أمرهم على الصفات من دون الهوية . ومهما يكن من أمر فان الكرماني قد وجهه عناية خاصة في كتابه « الرياض » الى الحكم بين فيلسوفين هما ابو حاتم الرازي في كتابه « الاصلاح » ، وأبو يعقوب السجستاني في كتابه « النصر » وذلك بسبب تنازعهما في آراء فلسفية وردت في كتاب « المحصول » للنسفي ، كما نراه من جهة أخرى يتوجه بكتابه « الأقوال الذهبية » إلى ما أهمله الداعي ابو حاتم الرازي في مناظرته للفيلسوف محمد بن زكريا الرازي فيما يتعلق في النبوة فيعلن رأيه الجريء بكتاب « الأقوال الذهبية في الطب النفساني » لمحمد بن زكريا الرازي . أما في كتابه « راحة العقل » فقد خالف جميع الفلاسفة والأدباء والمؤرخين والعلماء وبدلاً من ان يقسم كتابه الى فصول وأبواب وأقسام كما فعل غيره من رجال الفكر والمؤلفين ، نراه قد شبه كتابه بمدينة محاطة بسبعة اسوار على كل داخل اليها ان يجتاز الاسوار السبعة ، ولكي يجتاز الاسوار السبعة عليه ان يواجه سبعة مشاعر متفرعة عن كل سور ، إلا السور السابع والأخير المحيط بالمدينة فهذا له

اربعة عشر سوراً ، وإذا كنا هنا لا نتطرق الى شرح ما قسده الكرمانى من اسواره ومشارعه مخافة التطويل ، فان هذا لا يمنعنا من القول والاعتراف بعلو باعه في الفلسفة ، وقوة تفكيره وفهمه العميق لجواهر الأشياء .

للكرمانى عدد من المؤلفات نشر البعض منها أهمها الرسالة الدرية^(١) ، رسالة الإنظم ، الرسالة الوضيئة ، الرسالة المضيئة ، الرسالة اللازمة ، الرسالة الحاوية ، الرسالة الواعظة ، الرسالة الكافية ، تنبيه الهادي والمستهدي ، معاصم الهدى ، الأقوال الذهبية ، فصل الخطاب وإنابة الحق المتجلي عن الارتياح ، الرياض ، رسالة المعاد ، رسالة الفهرست ، المقادير والحقائق ، رسالة التوحيد في المعاد ، تاج العقول ، ميزان العقل ، كتاب النقد والإلزام ، الكيل النفسي ، كتاب المقاييس ، المجالس البغدادية والبصرية ، رسالة الشعرى في الخواص ، راحة العقل^(٢) ، رسالة اسبوع دور الستر^(٣) .

وأخيراً فان الكرمانى من الفلاسفة المغمورين في علمنا الفلسفي ، وفي الواقع فإن دراسة مؤلفاته وانتاجه من الأهمية بمكان وهي تعطي صورة واضحة عن اثر الفلسفة في تاريخ الفكر بالنسبة للمهتمين بالدراسات الشرقية والفلسفة الاسلامية .

الاسماعيلية في اليمن^(١)

يعيش الاسماعيليون بمجموعات صغيرة مبعثرة في اليمن وان مركزهم الرئيسي هو بمقاطعة « نجران » التي كانت في عهد نبي المسلمين (محمد) (صلعم) مركزاً هاماً للمسيحية . ومنذ سنة ١٩٣٤ أصبحت هذه المقاطعة تابعة للمملكة السعودية الحجازية وفي الشمال وادي (هبونه) مركز الداعي المطلق ويسمى اليوم عادة داعي قبائل « يام » لأن قبائل « يام » أصبحوا اليوم حملة لواء الاسماعيلية الاساسية في اليمن وتشمل ايضاً قبائل يام جماعات اسماعيلية اخرى وبالأخص القاطنين جبال « حراز » التي هي على الطريق بين حديدة وصنعاء بعد اجتياز منطقة السهول عبر الهضاب التي تمتد الى (حجلة) البالغ ارتفاعها - ٦٥٥ - متراً عن سطح البحر ومن هناك تتصل بالوادي الضيق (برور) حتى تصل إلى ارتفاع (١٤٧٠) في المنطقة الوعرة وفي الجهة الشرقية الشمالية تعتبر مناطق « عثارة » الاسماعيلية حتى تصل إلى « مراغة » التي يبلغ ارتفاعها (٢٣٢٢) متراً عن سطح البحر ، ان بعض هذه القبائل الاسماعيلية من حراز تخضع إلى قبائل بني يام في نجران الذين ابعدها السادة الزيديين ومن الملاحظ ان توزيع القبائل الاسماعيلية في اماكن استراتيجية هامة في اليمن ممتزجين مع الزيديين الذين يشكلون الأكثرية جعلهم يلعبون دوراً سياسياً هاماً اثناء سيطرة القوى الاجنبية على اليمن وفي كل العصور وفي الجهة الشمالية الغربية من صنعاء وفي (ذي المرمز)

(1) Achronological list of the imams and Dais of the mustali-
lien Ismailis (Fyze) (J. B. B. R. A S. and « Kleinere Ismai-
litische Schriften - Von (R. Strothmann.)

(١) تحقيق الدكتور محمد كامل حسين ،
(٢) تحقيق الدكتور مصطفى حلمي ومحمد كامل حسين ،
(٣) تحقيق عارف ثامر .

ما هي عليه ، جماعات قوية ذات معنوية مرهوبة الجانب الى يومنا هذا .

ينحدر علي بن محمد الصليحي وهو رأس اسرة الصليحيين من جبال حراز وكان قد اعتنق العقيدة الاسماعيلية بواسطة « الأمير عبد الله الزواجي » وبعد وفاته عين خلفاً له وأصبح المؤسس للدولة الاسماعيلية في اليمن ، وفي عام ٤٥٥ هـ فتح الصليحي عاصمة اليمن صنعاء وفرض سيادته على كافة امارات اليمن وعشائرها ، ومن سنة ٤٦١ الى ٥٣٢ حكمت اليمن السيدة الحرة زوجة وأرملة خلف المؤسس « أحمد المكرم » فكانت شبيهة بالملكة بلقيس ملكة سبأ او بالسيدة ست الملك التي انقذت الملكة الفاطمية بعد اختفاء الامام الفاطمي الحاكم بأمر الله برأيها السيد وذكائها النادر وقد ظل الانسجام قائماً بين البلاط الفاطمي واليمن حتى وفاة الامام المستنصر بالله الفاطمي وبعد ذلك سار القطر بأجمعه بركاب المستعلي ونجده الأمر بأحكام الله حتى آخرهم العاضد ومها يكن من أمر فالاسماعيليين اليانين هم في الحقيقة سند الفاطميين وقد ظلوا محافظين على مجموعاتهم كشعوب قوية مرهوبة الجانب لأنهم ظلوا دائماً في معزل عن العمليات الحربية والسياسية وقد استقرت تنظيماتهم وسيادتهم في عشيرة « يام » بصورة خاصة وما هو جدير بالتنويه ان داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي هو الأب الروحي لهذه المنظمة اليمنية ولدعاتها الأفذاذ والحقيقة فان اقليم اليمن هو القطر الشرقي الوحيد الذي كان محط انظار الفاطميين وموضع اهتمامهم هذا ويحدثنا أكثر من مؤرخ ان الفاطميين الذين كانوا يقيمون ببلدة (سلمية - سوريا) في القرن الهجري الثاني وما بعده كانوا يرغبون في اقامة دولتهم الفاطمية في اقليم اليمن ولكن أسباباً متعددة جعلتهم يتجهون الى بلاد المغرب فيقيمون دولتهم فيها بعد ان نشروا تعاليم دعوتهم في اليمن ومهدوا كافة الصعوبات التي كانت تعترض سيرها وهذه البذور التي غرسوها لم تلبث ان نمت وترعرعت ثم تطورت حتى وصلت الى مصاف الدول الشرقية الكبرى وفي عهد الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله بلغت الذروة واستقرت في الأوج واصبحت ذات شأن كبير .

المكان الذي كان أكثر من مرة مركزاً للداعي المطلق وخاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين وفي المكان المعروف « بياسريم » جنوبي صنعاء يوجد عدد من الاسماعيلية وهكذا يتجلى لنا بصورة قاطعة ان الاسماعيلية في اليمن هي بقايا تنظيمات منتشرة في كل مكان وقد كانت تدار من قبل زعماء لهم دراستهم الاجتماعية والسياسية والثقافية الروحية بدرجة ممتازة .

بلغ عدد الاسماعيلية في اليمن ما يقارب المئتين ألف ، وفي نجران اي في المملكة العربية السعودية يوجد ما يقارب السبعون ألفاً وجميعهم من الفرقة الاسماعيلية المستعلية (البهرة) بفرعها الداودية والسلمانية .

ساهمت اليمن بالتأسيس السياسي الأول للاسماعيلية وتابعت السير على المنهج الفاطمي بصورة مستقلة وظلت هكذا حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية بدرجة ان هذا القطر كان الموضوع الأول لانتشار الدعوة الثقافية والمكان الذي انتج دعاة اوجدوا للمكتبة الاسماعيلية العامة أنفس المؤلفات وأقومها ولا يزال للآن هذا القطر يحتفظ بجماعات اسماعيلية لها مرونتها الخاصة وتقاليدها العربية الاسلامية وثقافتها الفلسفية العريقة .

يعتبر عبد الله بن الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الشيعي الكوفي وأخوه ابو العباس اللذان ادخلا الامام « محمد المهدي بالله » الى « رقاده » وعملوا على نشر المذهب الاسماعيلي في افريقيا الشمالية اول من ادخل التعاليم الاسماعيلية الى اليمن وجاء بعدهما « علي بن الفضل » « وأبي القاسم بن زاذان بن حوشب » (جعفر بن منصور اليمن) وقد لعبا دوراً هاماً في اليمن وأسساً حكماً كبيراً فكان علي في « برج مذبحرا » في جنوب اليمن وجعفر في قلعة « المصور » في الشمال الغربي من صنعاء ، غير ان علي بن الفضل انفصل عن سيادة الفاطميين فيما بعد وأعلن استقلاله عنها فمات مسموماً سنة ٣٠٩ هـ وجاء ابنه يحاول السير على خطاه فأعدم مع اتباعه في حصن « مذبحرا » ، أما جعفر بن منصور فقد ظل أميناً ووفياً للفاطميين حتى أواخر حياته وبعد ذلك توالى الأحداث على القطر اليمني ، فحكم الصليحيون وبعد انقراض الدولة الفاطمية ظلت الاسماعيلية على

علي بن محمد بن الوليد الأنف العبشي القرشي :

هو والد الحسين مؤلف رسالة (المبدأ والمعاد^(١)) كان يقيم في منطقة (حرّاز) وهو داعي اليمن الخامس وصاحب لقب « الأنف » مات عام ٦١٢ هـ ومن المحتمل أن يكون هو مؤلف نصوص الفصوص التي تسمى « تحفة الطالب وأمنية الباحث الراغب » . كان كاتباً عظيماً غزير المادة وشاعراً من الملمهين . تقلّد مراسيم الدعوة في بلاد اليمن وما انضاف إليها بعد وفاة الداعي علي بن حاتم الحامدي وكان له مع الداعي حاتم وابنه الداعي علي الرتبة السامية واليد الطولى . جده بن أبي سلمه سفير علي بن محمد الصليحي الى الحضرة المستنصرية الشريفة . كان جده يلقب بالأنف لتقدمه على اضراجه تقدم المارن على الوجه . تحسنت الدعوة في عصره واتسقت امورها وتحسنت احوال اهلها واجتمعت على تأييده ونصرة دعوته بعض الملوك والزعماء في همدان وغيرها وكان الداعي علي بن حنظلة أبي سالم المحفوظي الوداعي الهمداني من المعاضدين له . كانت وفاة الداعي علي بن محمد بن الوليد القرشي في شهر شعبان سنة ٦١٢ وكان عمره قد اوفى على التسعين اي ان ولادته كانت سنة ٥٢٢ هـ . مات وهو صحيح الخواس يؤلف الكتب ويقوم بالعبادة ويشغل بالدرس والتدريس وكان يذب عن حمى الدعوة بنشاط ويكافح عنها بقلمه ولسانه وقد شارك الدعاة السابقين امثال ابراهيم بن الحسين الحامدي والشيخ محمد بن طاهر الحارثي والداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي فاضطلع بقسط وافر في وضع الاسس للحركة العلمية داخل منطقة الدعوة .

اشهر مؤلفاته

١ - دامغة الباطل وحتم المناضل (٢) ضياء الالباب المحتوي على المسائل والجاب (٣) الايضاح والتبين في كيفية تسلسل ولادة الجسم والدين (٤) جلال العقول (٥) مختصر الأصول (٦) ملهمة الازهان ومنبهة الوسنان (٧) رسالة

(١) حقق هذه الرسالة ونشرها الاستاذ عارف ثامر ضمن كتاب ثلاث رسائل اسماعيلية منشورات المعهد الفرنسي طهران - ايران .

في معنى الاسم الأعظم (٨) لباب الفوائد وصفو العقائد في علم المبدأ والمعاد . (٩) مجالس الناس والبيات (١٠) الديوان (١١) لب المعارف (١٢) تاج العقائد ومعدن الفوائد (١٣) الايضاح والتفسير في معنى يوم النذير (١٤) تاج الحقائق (١٥) تحفة المرتاد وغصة الاضداد (١٦) جلاء العقول وزبدة المحصول (١٧) الرسالة المفيدة (١٨) ضياء الالباب المحتوي على المسائل والجاب (١٩) مجالس الفصح والبيان (٢٠) رسالة لب المعارف (٢١) كتاب الذخيرة (٢٢) ملحقة الازهان (٢٣) نظام الوجود في ترتيب الحدود .

أمّا شعره فعلى جانب عظيم من القوة والسمو وهذه بعض مقاطع من قصيدة طويلة :

ما العمر ان طال للانسان او قصرا نافع في غدي او دافع ضررا
ولا حياة الفتى تغني اذا هو لم يكن بها قاضياً في دينه وطرا
فأنت يمت جاهلاً ما ذا أريد به فبالحقيقة في الدارين قد خسرا
لم يخلق المرء في الدنيا ليجمع من حطامها آكلاً منه ومدّخرا
وشاغلاً فكره همّاً به ولما يأتيك من غده من ذاك منتظرا
او ان يرى شرفاً يسمو به وعلا اذا طفى او لأبنا جنسه قهرا
ومنها :

فلينته كل ذي نفس تريد لها تخلصاً وليجد في امره النظرا
ويتخذ زاده التقوى لمرجه ليحرز الفوز في عقباه والظفرا
ويسأل العلم اهل الذكر انهم بين العباد وبين الخالق السفرا
ويصفهم وده اجرأ لخدمهم مؤدياً فرض ما في الذكر قد ذكرا
وبالولا لأمام العصر نجلمهم الزاكي يكن ممسكاً منه وثيق عُرّا
اذ كل عصر به الطاعات واجبة موصولة نصها في الذكر قد سُطرا
به نال الذي نرجو ونأمله والضد يهوي الى سجين منحدرّا
ومنها :

والحي في الدين من تلقاه منتهاً في دينه لأمام الحق مؤتمرا

كما يرى سائر الاعضاء مؤتمراً للقلب في الشخص حتى الشعر والظفرا
شمس الشمس اذا اسرت أشعتها الى الذوات اعادتها بلا صوراً
كالشمس في الافق لا تنفك طالعة ضياؤها يلاً الآفاق منتشراً
فإن يحل دونها ظل الغمام ترى الجرم المنير عن الابصار منستراً
من غير شك بأن الشمس باقية ترى الى العالم التأثير كيف سرا
هذا كذلك في التمثيل متفق فليفسد معتبراً من كان معتبراً
ومنها :

يا آل طه انا العبد المقرُّ بأن لا دين إلا لمن كنتم له امراً
بجكم تقبل الاعمال ان قبُلت ويُغفر الذنب للعاصين ان غُفرا
ومن قلاكهم ولم يعلق بجمكم ففي غدٍ سوف يصلى راعماً سقرا
انا المقصر في علمي وفي عملي ارجو بجمكم تتميم ما قصرا
أسلمت نفسي اليكم وهي خائفة عظيم ذنب لها عن ذاتها صدرا
لكنها وثقت فيكم بكونكم يوم الشفاعة في العقبى لها وزرا

ومن قصيدة أخرى له :

والمهلكات السبع فهي مزمل ثم البروج وطارق والخاشعة
ثم الضحى مع تين لأبلاء واهلاك العدو مسارعه

ومن قصيدة أخرى له :

فاقصِدْ إلى باب مولى ليس يرتج من أمة جاء يسعى نحوه الفرج
بنية لم يكن في سيرها عوج يا صاحب الهم ان الهم منفرج
ابشر بخير فان الفارج الله

وان رمتك الليالي الهم بالندب فاهتف بأحمد خير العجم والعرب
وبالوحي على كاشف الكرب فكم حزين يبيت الليل في تعب
لا يصبح الصبح حتى فرّج الله

الشاعر تميم بن المعز الفاطمي

لقد أجمعت جميع المصادر التاريخية ، والادبية ، بأن حياة الشاعر الامير تميم
ابن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، كانت تكتنفها ستور كثيفة من الغموض
والكتمان ، بالرغم من انه كان ابن خليفة ، واخا خليفة من خلفاء الفاطميين ،
وزادت المصادر فقالت : ان اكثر شعره جاء في مدح ابيه ، واخيه ، ذكر ذلك :
الشعالي في اليتيمة ، والباخرزي في الدمية ، وابن خلكان في الوفيات ، وياقوت
في معجم الادباء ، وابن فضل الله في المسالك ، والمقرئ في الخطط ، والسيوطي
في حسن المحاضرة .

عرف تميم بأنه من الشعراء الامراء الذي يقرن بالشاعر العباسي ابن المعتز ،
فكلامهما امير ، وكلاهما شاعر وجداني رقيق حلق في اجواء الشعر ، وغرد على
أفئانه ، وسكب خواطره وشعوره ألحاناً عذبة .. كلاهما كان له ولوع
بالتشبيهات ، والاستعارات ، والوصف الجميل ، والغزل البديع ، حتى ان بين
القدماء من كان يقول : (ان الامير تميماً كان يحتذي حذر ابن المعتز وينهج
نهجه) وقال ابن الفضل العمري في كتاب مسالك الابصار : (تشبه تميم بابن
عمه ابن المعتز وتشبهت بذيله) وقال ابن الاكبر في كتاب الحلة السراء : (شاعر
اهل بيت العبيديين ^(١) غير منازع ، ولا مدافع ، وكان فيهم كان المعتز في بني
العباس ، غزارة علم ، ومعاناة ادب ، وحسن تشبيه ، وابداع تخيل ، وكان

(١) العبيديين : نسبة الى محمد المهدي الملقب (عبيد الله) وهو جد الاسرة الفاطمية التي
حكمت المغرب ومصر ومحمد المهدي من مواليد سلمية - سوريا

يقتفي آثاره ، ويصوغ على مناحيه في اشعاره .

عن فتنة دبرها ، أو معصية بدت منه ضد أخيه ، بل بالعكس كان يدحه بالرغم من انه أصغر منه سناً ، ويتجلى في مديحه الخضوع ، والوفاء ، والعاطفة الصادقة ، مما جعل أخاه يهيه ، ويعطيه ، ويجعل له القصور والبساتين .

هكذا كانت صلة الاخ الخليفة بأخيه الاكبر ، ولكن هذا الصفاء كانت تشوبه بعض فقرات تسرب منها الوشاة بالوقية ، فأخذ الشاعر يرسل إلى الخليفة مقطوعات ذكرت في ديوانه ، يذكر هؤلاء الوشاة الساعين بالشر ، ويذكره باخوتها ، وبرأته مما يقول الواشون ، وكل هذا لم يجدي نفعا ، فاضطر العزيز ان ينفي تميم الى الرملة في فلسطين . وفي ديوانه تتجلى الشكوى من الغربة ، والفراق ، والاقامة في الرملة ، والحنين إلى حياة مصر .

عاش تميم في مصر كما قلنا حياة فيها كل أنواع اللهو والترف ، وقد هيأت له البيئة المصرية جميع المتطلبات من متنزعات وديار وقصور ما وافق هواه ومزاجه ، فأكثر الخروج إلى جزيرة الروضة وإلى دير القصير ، وشارك المصريين في لهُوم ، فكان يركب عشارى خاصة وتتبعه الزوارق المحملة بالفاكهة والطعام والشراب ، فان كانت الليالي مقمرة اتخذ من أنوار القمر ما يجعله مرتاح البال والضمير ، وإلا استعمل من الشموع ما يعيد الليل نهراً ، فاذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتاً امرهم باعادته وسألهم عما عز عليهم فإمر لهم به ، وينتقل إلى غيرهم بثل هذا الفعل عامة ليله ، ثم ينصرف عند الصباح إلى قصره ليستريح في النهار بعد ان يكون قد قضى ليلته ساهراً متمتعاً بكل أنواع اللذات :

كم صبح شدته بغبوق وظلام وصلته بنهار
انما العمر ان تروح عشياً قاصفاً عازفاً خليع العذار

كان تميم كريماً يسرف في الكرم إلى حد السفه ، مقبلاً على الشراب محباً للسمع ، مشاركاً أصحاب اللذة واللهو والمجون لا يتورع عن التظاهر بذلك بالرغم من مركز أسرته وواقعه الذي يوجب عليه التستر والتحفظ . ولم يعمر طويلاً فقد مات سنة ٣٧٥ هـ . وهو في نحو الثامنة والثلاثين من عمره .

ولد الامير تميم ابن الامام المعز بن المنصور بن القائم بن محمد المهدي (عبيد الله) في مدينة المهدية بتونس ، وهي المدينة التي بناها جده محمد المهدي ، واتخذها عاصمة له سنة ٣٠٨ هـ . عندما جاء الى المغرب من بلدة سلمية - سوريا اثر انشقاق القرامطة ، وتضييق العباسيين الحصار عليه ، وقد ظل مقيماً فيها هو وآل بيته . وكبار رجال شيعته ، إلى أن بنى المنصور مدينة المنصورية سنة ٣٣٧ هـ . بعد نجاحه في اخماد الثورات التي كانت ضد حكمه ، إذن فتكون ولادة تميم في عهد خلافة جده المنصور ، ومن الطريف ان اباه المعز كان يكنى بأبي تميم ولما يولد تميم بعد .

وصم الامير تميم بنواحي خلقية في حياته ، وخرج عن قاعدة الآداب العامة المفروض فيه اتباعها باعتباره ولياً لعهد الخلافة الفاطمية ، وهذه من الاسباب التي جعلت أباه المعز لدين الله بما عرف عنه من حصافة الرأي وبعد النظر ان يصرف عن تميم ولاية العهد ويجعلها في ابنه الثاني عبد الله وعندما توفي هذا الاخير وهو في شرح الشباب عهد بها إلى ولده الثالث نزار الملقب بالعزيز .

قدم الامير تميم إلى مصر من المغرب وهو في الخامسة والعشرين وسكن القصر الكبير في القاهرة ، ويظهر ان المعز لدين الله كان شديد الحرص على الابعاد إلى تميم بأي عمل او يوليه أي منصب في الدولة ، بعد انصرفه الكلي العلني الى اللهو والشراب ، والمجون ، وعندما مات أخوه الاكبر الامير عبد الله بكاه بقصيدة تعتبر من عيون الشعر أظهر فيها عاطفته الحزينة ، ولوعته المشبوبة على فقدته مطلعها :

كل حي إلى الفناء يصير والليالي تعلقة وغرور

وتطلع الناس إلى الامير تميم مرة أخرى ، يأملون ان يكون ولياً للعهد ولكن المعز صرفها مرة ثانية عنه ، وجعلها في ابنه الاصغر نزار (العزيز) كما قلنا فاستسلم تميم إلى حكم الله الذي حرمه الملك ، بعد ان كان مقبلاً عليه ، ولم يسمع بعد

طرق الأمير تميم جميع أبواب الشعر وخاض بحره الزاخر بجميع الفنون ، فكان في الوصف مبدعاً ، وفي الرثاء جديراً وفي الغزل رائعاً ، وفي العتاب رقيقاً ، وها اننا نقدم بعض المقاطع من ديوانه وفيها الدلالة على شاعريته المرفهة وحسه المستيقظ ونبدأ بقسم الغزل ، قال :

لا والمضرج ثوبه في كربلاء من الدماء
ما حلت يا ذات اللمي عما عهدت من الوفاء
ها فانظريني ساجداً في الدمع من طول البكاء
وضعي يديك على فؤا د قد تهياً للفناء
قالت تلطف شاعر لسن وخدعة ذي ذكاء
امسك عليك فقد تقنع منك وجهي بالحياء
واعبت بما في العقد مني لا بما تحت الرداء
ان الرجال اذا شكوا لعبوا باخلاق النساء

انه لقسم جميل ، وعهد مكين ، يفرضه على نفسه ، وديباجة رائعة تتجلى فيها كل أنواع الرقة الشعرية ، والعدوبة اللفظية ، ان تميم بإرادته هذه المحاررة يعرض صوراً جذابة في قواف رقيقة تدل على عراقة شعرية متمكنة في قرارة نفسه . وقال :

تعيب الورود حمرة وجنتاه وتلعب بالقرائح مقلتاه
تبسم عن حصي برد ولكن جنيت المحرصراً من جناه
يغيرني ويبليني التناي وليس يحول عن قلبي هواه
ومن طول المواعد ليس سؤلي وحظي منه الا ان اراه

تظهر هنا الروعة الشعرية في كل بيت من هذه الابيات مقرونة بالعتاب المشبوب ، والشكوى الخارجة من أعماق قلب اصماه الحب وأضناه التناي والهجران .

وننتقل إلى قصيدة من قصائده يصف فيها قصة غرام عنيفة جرت له في حانة

دير القصير الذي كان يختلف اليه مع رفاقه وندمائيه فيقضون الليالي الممتعة الصاخبة بلهوها وبجونها وشرابها :

غدوت به يوماً إلى بيت حانة وللغيم دمع يكف له سكب
فافضى بنا الادلاج بعد تعسف إلى زولة^(١) شمطاء منزلها رحب
وقالت لنا اهلاً وسهلاً ومرحباً وقل لكم مني البشاشة والرحب
من أنتم ؟ فقلنا عصبية من بني الصبا دعاهم اليك القصف والعزف واللعب
فقال على اسم الله خطوا رحالكم فعندي الفتاة الرؤد^(٢) والامرد الرطب
وراح نفى أقضاءها طول عمرها فجاءت كما يذري مدامعه الصب
فقلنا لها هاتي بها وتعجلي ولايك فيما قلت خلف ولا كذب
فجاءت تجر الزق نحوي كأنه على الارض زنجي بلا هامة يحبو
وطافت بها هيفاء مخطفة الحشا معاطفها سلم والحاظها حرب
تمايل ردفاها وادرج خصرها لياناً وعطفاً مثل ماتدرج الكتب
شكا كشحها الزنار مما يحببه وضاق بها الخللخال وامتلأ القلب^(٣)
أحلت لي الصبهاء تقبيل وجهها وما كان قبل السكر في لثمه عتب
سلام على دير القصير ومرحباً به فله مني التخصص والقرب
فكم لذة فيه قضيت وغلة شفيت ولا واش علينا ولا شغب

صور تميم نفسه وهو العايب الماجن في حانة دير القصير وقد برزت اليه عجوز شمطاء خفيفة الظل ظريفة الملقى تقول له اهلاً وسهلاً .. عجوز تعودت ان تراه في اكثر الليالي .. تعودت ان تنال من يده الأموال والعطايا .. وتعودت ان تقدم له أحسن الخمر وأحسن المغنين .. وأجل العازفين .. وأبدع النساء .. وتشاء الصدق ان تتحفه في تلك الليلة بهيفاء مخطفة الحشا في معاطفها سلم وفي الحاظها حرب يتمايل ردفاها تحت خصر يدرج فيه اللين والانعطاف كتدرج الكتب

(١) الزولة : المرأة الخفيفة الظريفة

(٢) الرؤد : الشابة الحسناء

(٣) القلب السوار

ثم ينتقل ليقول : بان الزنار كان يشكو ضمرتها ويضيق الخلخال والسوار من امتلاء في مرافقها وساقها وينتقل من هذا الوصف الاخاذ ليصف لنا كيف قبلها وفي هذا الدليل القاطع على الحرية والانطلاق من القيود التي كان يفرضها المجتمع على الحياة الماجنة المسرفة التي كان يعيشها تميم مع صحبه وندمائيه . وقال :

ناولتها مثل خديها مشعشة صرفاً كان سناها ضوء مقياس
قلت اشربي انها دمعي وحمرتها دمعي وطانجها في الكأس أنفاسي
قالت اذا كنت من حي بكيت دماً فاسقنيها على العينين والراس
يا ليلة بات فيها البدر معتنقي وباتت الشمس فيها بعض جلالي
وبت مستغنياً بالثغر عن قدحي وبالحدود عن التفاح والآس

كان تميم يتبع الحياة الواقعية فقلما نراه يصف قصة غرام الا وتكون هذه القصة قد حدثت معه بالفعل مما يجعلها غنية بالالوان الجميلة والصور الرائعة والحال البراق التي تظهر فيها الروعة الشعرية وتنساب خلالها القوافي الموسيقية في نهر من الابداع والجمال . وقال :

آه من تغيير عيني لك ووردي شفتيك
آه مما جال من ماء الصبا في وجنتيك
آه من ليل تبدي طالعاً من طرتيك
آه من قبلك اذ ما ل على ردفتيك
آه من صبح وليل كمننا في عارضيك
فاز من قبل يا قر عيني بديك

هذا ما استطعنا اقتطافه من روائع الشاعر الامير تميم ، ومهما يكن من امر فخي ديوانه صور زاخرة بكل روعة وفن . انها تبهر النظر وتأخذ بجماع الالباب . انه كالروضة الغناء التي تزخر بالماء والخضرة والجمال والفواكه الشهية والمناظر الخلابة .